جمع القرآن الكريم عند المستشرقين

جون جلكريست -أنموذجاً-


بسم الله الرحمن الرحيم

العتبة العباسية المقدسة
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

جمع القرآن الكريم عند المستشرقين
جون جلكريست -أنموذجاً-

المؤلف: رباح صعصع عنان الشمري
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع
الإخراج الفني: نصير شكر
الطبعة : الأُولى ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على خير الأنام محمد وآله الطيبين الطاهرين ورضي عن صحبه المنتجبين..

أما بعد:

شيءٌ جدٌّ مهم للإنسان عموماً والباحث العلمي بشكل خاص، أن يقرأ تراثه وعقائده بعين الآخر ولا يبقى منطوياً، منعزلاً في ما يفكر ويعتقد، لأنه سوف يفقد التجدد والحركية والديناميكية، وهذا التجدد والإصلاح الذي يتولد نتيجة المباراة مع الآخر، يجعل من دين الفرد ومعتقده على مرّ الزمن، حياً، غضاً، طرياً، لاتشوبه التخرصات ولا تعبث به الشبهات، وهذه الدراسة تتناول مسألة جمع القرآن من زاوية الطرف الآخر ورؤيته، وهي الرؤية الاستشراقية لهذا الموضوع، وتخصص البحث في مستشرق معين (جون جلكريست John Gilchrist) وهو مستشرقٌ معاصر من جنوب أفريقيا، كتب عن جمع القرآن وما يرتبط به، تارةً بشكل متناثر في مؤلفاته، وأخرى مستقل، تمثل بكتابه:

«JAM' AL-QUR'AN THE CODIFICATION OF THE QUR'AN TE»

«جمع القرآن ـ تدوين نص القرآن».

وقد تناول الباحث تحليل موقف المستشرقين وشبهاتهم حول جمع القرآن وتدوينه وكتابته، التي كانت مادتها الأولى، هي المصادر الإسلامية، ثم القيام بمناقشة آرائهم مناقشة علمية، بعيدة عن التهجم والشتم وتراشق الكلام، بعد بسط آرائهم وعرضها عرضاً وافياً ثم مقارنتها مع ما جاء به المستشرق جون جلكريست من استدلالات وتساؤلات يقول عنها: بأنه لا يستطيع أحد من المسلمين الرد عليها، فسيعمد الباحث لدراستها ونقدها وتحليلها بدقة وبإنعام النظر.

وعن أهمية الموضوع وصلته بالمنظومة القرآنية، فلا يخفى على المتتبع، أن مسألة جمع القرآن تحتل أهمية كبرى على مستوى البحث القرآني، وإن كانت هي من مفردات تاريخ القرآن، إلا أنه لا يخفى أيضاً، أن هناك تداخل وثيق بين علوم القرآن وتأريخه.

فاستمد هذا الموضوع أهميته لتعلقه بتاريخ النص القرآني وإثبات تماميته ودفع الشبهات التي تتجه صوب حجية هذا التاريخ وحقيقته، فضلاً عمّا تمثله من خطورة في الاجواء والمناخات التي تحيط بعملية حفظ القرآن الكريم وصونه، وذلك ان قضية جمع القرآن إذا لم يتم اثباتها بالدقة المتوخاة والطريقة المثالية الصحيحة، التي تليق بالكتاب السماوي العظيم، فسوف يواجه البحث العلمي، مشاكل كبيرة وخطيرة بحدّ ذاتها، وعلى رأسها فسح المجال أمام شبهة تحريف القرآن، وسيتجه البحث نحو سالبية القضية بانتفاء موضوعها، فلا تبقى موثوقية بصدور النص القرآني وقدسيته أصلاً؛ فمن ذلك اكتسب البحث أهميته.

أما إشكالية البحث فتتعلق بولوج المستشرقين في نفق عملية جمع القرآن

لاستحداث الشبهات حول صحة وكمال النص القرآني، وتلخصت تلك الإثارات والتساؤلات على يد المستشرق جون جلكريست وإثارة شبهة التحريف ووقوع الزيادة والنقصان فى سوره وآياته، محتجين لإثبات ـ وهذه مشكلة البحث الثانية ـ ذلك بما جاء بكتب الحديث والصحاح والسيرة وكتب التاريخ والتفسير حول قضية جمع القرآن وترتيبه بعد العصر النبوى.

والغريب في موقف بعض علماء المسلمين إلى الآن، أنهم يعمدون إلى تأكيد صحة هذه الروايات؛ لأنها واردة بكتب الصحاح، متناسين أن ما جاء بكتب الصحاح لا يعني إلا صحة السند، وصحة السند لا تعني صحة المتن أو صحة الحديث. وغافلين عن لوازم هذا الموقف، وأهمها ما يمكن أن يبنى على ظواهر متون تلك الروايات والنصوص من شبهات في فهم الحقائق الإسلامية.

وهذا الأمر قد زاد من موقف المستشرقين المشككيين في سلامة القرآن وحفظه من التحريف، صلابةً وقوة؛ لأن إقرار هؤلاء العلماء ورجال الدين بصحة هذه الروايات ـ التى ليس للمشككين حجة سواها للنيل من القرآن ـ شكّل ركيزة أساسية وحجة قوية لهم ظاهراً للتأكيد على عدم حفظ القرآن ووقوع التحريف فيه، فليس هناك حجةً أقوى من شهادة شاهد من أهلها. وهكذا أقاموا منظومة شبهاتهم، إنطلاقاً من قاعدة ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم .

فما هى حقيقة هذا الجمع؟ وهل توفي النبى ﷺ ولم يقم بجمع وترتيب القرآن فى مصحفٍ إمام ويسلمه للأمة كما تقول بعض الروايات؟ وهل تمت فعلاً عملية جمع وتدوين للقرآن فى عهد أبى بكر وعمر؟ وما هي حقيقة عملية الجمع أو توحيد المصاحف التى تمت فى عهد عثمان؟ وهل هناك من أدلة تدفع تلك الشبهات وتثبت سلامة وصيانة القرآن؟

وفرضية حلّ إشكالية البحث المتصورة كما يلي: بدايةً، أن يتم التحقيق في معرفة الأساس الذي بنى وشيّد عليه المستشرقون تشكيكهم حول القرآن، هل كان على أساس الرأي القائل بجمع القرآن في عهد النبي الكريم ﷺ وبعناية إلهية وتحت إشراف جبريل عليه السلام، وإنه لم يترك الأمة سدى، بل ترك لها كتاباً كاملاً يعصم من تمسك به من الضلال، إذ قال: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي...)، أم أنهم بنوا تشكيكهم ذلك على الأساس الذي يُصرّ بأن القرآن تركه النبي ﷺ حتّى توفّاه الله عزّ وجلّ مفرقاً بين الرقاع واللخاف والعسب وأكتاف الإبل وصدور الرجال، إلى أن أعوزتهم الحاجة بعد سنة كاملة في معركة اليمامة فجُمع على إثرها.

الأمر الآخر: بعد معرفة الأساس الذي اعتمده المستشرقون، يتم التحقيق في الموارد التي استورد منها المستشرقون أدلتهم وحججهم، عبر ذلك الأساس الذي اعتمدوه في بناء رؤيتهم، والوقوف على تلك الاستدلالات إن كانت ناهضة، معتبرة، تصمد أمام النقد العلمي أو لا. فكل ما تقدم ذكره، مع أنه كان عرضاً لموضوع البحث وإشكاليته وإستفهامات تخص ذلك، وفرضيات للحلول، تعد من جانب آخر، أسباباً حفّزت الباحث إلى الدخول في هذه الحلبة البحثية لخوض غمار الفكر والعلم فيها ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

وهناك أسباب أُخرى لهذه الدراسة:

السبب الأول: يعدّ على رأس كل الأسباب بل وأهمها، وهو أنّ المستشرق جون جلكريست، مستشرق معاصر، ومعاصرته الآن، تعني الشيء الكثير والمهم، ولاسيما إذا تأكد أنه نقل واجتر أغلب آراء من سبقه من المستشرقين، وأهمهم

نولدكه (١٨٣٦م ـ ١٩٣٠م) الذي يُعد من أشهر المستشرقين وأوائل من تناولوا موضوع جمع وترتيب القرآن، وكما سيتضح أن كل من أتى بعده كان يعتمد كثيراً على كتابه (تاريخ القرآن) ومنهم جلكريست.

ويُذكر أن نولدكه قد نشر كتابه عام ١٨٦٠ ميلادية، ومعنى ذلك، أن تلك الشبهات والإجتهادات التي أثارها نولدكه ومن تبعه، مرّ عليها ما يقارب قرناً ونصف من الزمن، وقد يتصور كثيرٌ من المتابعين لهذا الشأن، أنها من الشبهات والآراء التي عفا الدهر عليها ونسيها، وأصبحت من الآراء القديمة، لكن هذا الشيء (معاصرة المستشرق جلكريست الآن) يفسر تفسيراً مغايراً من ذلك، وهو لا يعني سوى أن تلك الآراء والشبهات، ما زالت حيّة، غضة، طرية، تعيش في الأوساط العلمية ولسان حالها يقول: أنا الحقيقة الباقية التي يجب أن تصدقوا وتسلّموا بها.

فالمستشرق جلكريست عمد إلى صياغة تلك الآراء صياغة جديدة، وتأطيرها بإطار ملون بألوان المنهجية والعلمية الحديثة، التي قد تستهوي المتلقي بسهولة؛ ومن هنا كان هذا السبب، أهم الأسباب.

السبب الثاني: عدم وجود الدراسات الكافية والمستفيضة التي من شأنها إغناء البحث واشباعه، مما يختص برؤى المستشرقين لجمع القرآن، ولا سيّما لمناقشة مستشرق اختص بالكتابة عن جمع القرآن، نعم هناك بعض الدراسات بهذا الشأن، إلا أن مناقشاتها وردودها من قبل بعض المهتمين بهذا الشأن، هي نفسها تشكّل منطلقا وتأييداً لشبهة المستشرق وتأتي بمثابة التأكيد والدعم لكلام الآخر.

قد يعترض معترض على هذا ويقول: إن موضوع جمع القرآن قد أُشْبِعَ بحثاً وتفصيلاً من علماء الفريقين. فجوابه: لو أن شخصاً معاصِراً ـ والمعاصَرة هي المهمة هنا، وهذا الشخص مسموع الكلمة عند الجيل القارئ ـ ألّف كتاباً يُشكلُ

فيه على نبوة النبي ﷺ، وعدم اهتمامه بجمع القرآن، فهل يكفي أن يُقال له في معرض الرد على إشكالاته: إذهب فدونك موسوعة الكتب القرآنية الكثر التي ردت على إشكالات شبيهة بإشكالاتك، ستجد فيها أقوى الحجج التي يمكن أن نحتج عليك بها. بالبداهة هذا جواب ليس بصحيح ولا مُقنع، بل الصحيح تناول مفردات هذا المُشْكِل، مفردة مفردة، وإشكالاته واحداً تلو الآخر، وطريقته في الاستدلال وغيرها، وهكذا كي يُجاب عليه من خلال حيثية وطبيعة الإشكال الذي يطرحه.

وبناءً على ما تقدم ذكره تم تقسيم الكتاب بعد المقدمة والتمهيد إلى خمسة فصول وأُردفت بخاتمة وقائمة بالمصادر. تكفّل الفصل الأول بحسب عنوانه (الرؤية الإسلامية حول جمع القرآن الكريم) بعرض الروايات المهمة التي ضمنتها كتب التاريخ والمصادر الحديثية، والتي بُنيت على أساسها آراء مختلف طوائف المسلمين، فكانت ضرورة هذا الفصل أن يكون الأول؛ للتعرف في البدء على جمع القرآن من خلال ما أقره المسلمون أنفسهم، قبل الوثوب إلى رؤى المستشرقين.

الفصل الثاني، كان عنوانه: (الرؤية الإستشراقية حول جمع القرآن الكريم) فقد اعتنى هذا الفصل، بما استنتجه المستشرقون من مادة الفصل الأول (الروايات الإسلامية الخاصة بالجمع)، وكيفية انتهاج المستشرقين في تعاملهم معها، وأي منحى من المصادر اتخذوا ليستخرجوا نتائجهم. ثم تناول عرض لأكثر من خمسين مستشرقاً، تناولوا جمع القرآن وتدوينه في مؤلفاتهم، وتمت مناقشة تلك العروض ونقدها وتحليلها.

ثم يأتي الفصل الثالث، كالانتقال من الكلي إلى الجزئي، إذ ضيّق الدائرة بعد أن كانت في ثُلة من المستشرقين، فأصبحت مسلطة ضمن مستشرق معين وهو

جون جلكريست، فبعد أن تسلط الضوء على بعض من ترجمة حياته واهتماته ومؤلفاته ومناظراته العلنية المتلفزة مع علماء المسلمين، كانت هناك حزمة كبيرة من هذا الضوء على أسباب وأهداف تأليفه لكتابه (جمع القرآن) وكيف كان هذا الكتاب يمثل ردة فعل إنفعالية من قبله ـ مع أنه حاول أن يخفي الإنفعالية ـ على منشورات صادرة من قبل ثلاثة من علماء المسلمين.

وكُرّس الفصل الرابع الذي كان عنوانه: (مع المستشرق جون جلكريست في جمع القرآن) لدراسة منهجيته في تعاطيه مع الروايات والنظرة الإسلامية في تقسيم الجمع إلى مراحل ما بعد النبي وإغفال أي احتمال لجمعه في أثناء حياة النبي صلى الله عليه وآله.

وفي الفصل الخامس سار البحث صوب النهاية ؛ ليبين حقائق أسهمت في إذكاء فتيل الشبهات، بسبب الخلط والإرباك الحاصل من جراء تداخل المصطلحات؛ لذا كان عنوانه: (حقائق جمع القرآن) منها مصطلح الجمع، الكتاب والمصحف، القراءة والإقراء، وحقيقة أخرى تناولها لها الخطورة الواضحة في هذا المجال، وهي النسخ وحقيقة ارتباطه بالجمع، وأخيراً حقيقة تعود بالبحث من حيث بدأ في الفصل الأول، وهي حقيقة روايات جمع القرآن، لماذا كان لها هذا الصدى وحامت حولها كتابات المستشرقين.

تبقى المصادر التي أغنت البحث، كانت مجموعة من المصادر المتنوعة العربية والاجنبية التي اختصت بموضوع الاستشراق والدراسات القرآنية، فاحتلت كتب المستشرقين الصدارة، وعلى قمتها مؤلفات جون جلكريست وهي كثر، فبالإضافة إلى كتابه (جمع القرآن) الذي شغل المساحة الأكبر.

وبحوث الاستشراق لا يمكن إلا أن تمر عبر كتاب (تاريخ القرآن) لشيخ المستشرقين نولدكه، وكتب أخرى كثيرة أهمها: (جمع القرآن ـ جون بريتون)

و(أدوات تاريخ النص القرآني ـ Arthur Jeffery) و(تدوين القرآن ـ كانون سل) و(حياة محمد ـ وليام موير) وبعنوان (مقدمة في القرآن) ريتشارد بل، وبلاشير، ومونتجمري وات.

واستُفيد من المصادر الإسلامية العربية لإثراء البحث، منها كتب الحديث وعلى رأسها كتب الصحاح الستة، وكتب التاريخ والسير، كتاريخ الطبري، وكتب التفاسير، كتفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، والأمثل لناصر مكارم الشيرازي، وتفسير الكبير للفخر الرازي، ومؤلفات أخرى في القرآن، كان لها الأثر المهم، مثل كتاب المصاحف لابن أبي داود و(البيان في تفسير القرآن) للسيد الخوئي، وكتاب السيد مرتضى العسكري (القرآن الكريم وروايات المدرستين).

فهذه الدراسة ستكون بمنزلة المختبر لعرض وتحليل ونقد موضوعي لآراء المستشرقين، وستكون دراسة مقارنة بين ما توصل إليه المستشرقون من نتائج وبين أصل النصوص التراثية الإسلامية وكيف فهموا مسألة جمع القرآن، ومن ثم توصلهم إلى تلك النتائج، ونقد هذا الفكر ومدى استيعابه لها.

وأخيراً، أستميحكم والتمسكم العذر بعد العذر لهفوات القلم وأخطائه، وأتمنى على القارئ المتتبع أن ينظر لهذه الدراسة بعين العناية والرضا؛ لأنّ عين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلة، في الحين ذاته ألاّ يبخل علينا بملاحظاته وتقويماته السديدة، لأنها ستكون محطّ نظر واهتمام، والله ولي التوفيق.

إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ

رباح صعصع الشمري

***

بين يدي البحث

أولاً ـ أهمّ مصطلحات البحث

ثانياً ـ محاكاة الضمير الاستشراقي، جون جلكريست ـ أنموذجاً ـ

ثالثاً ـ منهج البحث

رابعاً ـ كتاب (جمع القرآن) للمستشرق جون جلكريست

أولاً ـ أهم مصطلحات البحث :

١ ـ الاستشراق:

اختلفت تعريفات الاستشراق، يرى المستشرق رودي بارت أن الاستشراق هو: «علم يختص بفقه اللغة خاصة، وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه كلمة استشراق مشتقة من كلمة «شرق» وكلمة شرق تعني مشرق الشمس»[١] أو هو «دراسة يقوم بها الغربيون لقضايا الشرق، وبخاصة كل ما يتعلق بتأريخه ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته»[٢]. أما المفكر إدوارد سعيد فيعرّف الاستشراق بأنه: «نمطٌ من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه»[٣].

٢ ـ المستشرق:

وإذا كان الاستشراق يستقطب هذه الصيغ من التعريف الاصطلاحي

---

١ ـ بارت، رودي: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه)، ص ١١.

٢ ـ عبد النور، جبور، المعجم الادبي، ١٧.

٣ ـ سعيد، إدوارد: الاستشراق، ص ١٢٠.

فالمستشرق ـ بهذا المعنى ـ هو الغربي الذي يدرس تراث الشرق، وكل ما يتعلق بتأريخه ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته[1]. ولهذا يرى المستشرق الألماني ألبرت ديتريش أن المستشرق: «هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة ما لم يتقن لغات الشرق»[2]. إذن فالمستشرق هو: «عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه»[3].

من خلال ماتقدم يحق للباحث أن يعد جون جلكريست مستشرقاً بامتياز، وإن لم يوجد اسمه في الموسوعات والمعاجم الإستشراقية. إذ أنه كتب عدة مؤلفات تخص الشأن القرآني وأبرزها كتاب جمع القرآن.

٣ـ جمع، تدوين، ترتيب، (القرآن):

جاءت الروايات في هذا الباب، مرة بلفظ (جمع القرآن) ومرة (تدوين القرآن) وأخرى (ترتيب القرآن) فكان لزاماً التمييز والتفريق بين هذه الألفاظ الثلاثة:

أ ـ الجمع: في اللغة: «جَمَع الشيْءَ المتفرّق فاجتمع وبابه قطع وتَجَمَعَ القوم اجتمعوا من هُنا وهُنا»[4]. وقال الراغب (ت ٥٠٢ هـ) في مفرداته: «الجمع ضم الشئ بتقريب بعضه من بعض، يقال جمعته فاجتمع»[5].

---

١ ـ ظ: الصغير، د محمد حسين،، المستشرقون والدراسات القرآنية، ص١١.

٢ ـ ظ: ديترش، البرت: الدراسات العربية في ألمانيا، تطورها التألريخي ووضعها الحالي، ص٧، جوتنجن/١٩٦٢م، نقلاً عن: ظ:الصغير، د.محمدحسين، المستشرقون والدراسات القرآنية، ص١١.

٣ ـ مراد، يحيى: أسماء المستشرقين،، ص٦.

٤ ـ الرازي، مختار الصحاح، مادة جمع، ص١١٠، وينظر: بن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٥٣.

٥ ـ الراغب الاصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن، ص٩٦، باب الجيم.

والجمع اصطلاحاً: «جمع القرآن له معنيان احدهما حفظه في الصدور على سبيل الاستيعاب لجميع آياته ومنها قولنا جمّاع القرآن أي حفاظه والمعنى الآخر لجمعه كتابته وتسجيله في أوراق بشكل كامل»[1].

ب ـ التدوين: مشتق من الديوان وهو مجتمع الصحف، ومنه دَواوِينُ، وقد دَوَّنَ الديوان أنشأه[2]. والتدوين على وزن تفعيل بمعنى جعل الشيء في الديوان.

وفي الاصطلاح .فالتدوين يتحدد معناه بما أضيف إليه، فتدوين القرآن هو غير تدوين السنة، وهما غير تدوين العلوم الأخرى.

ج ـ الترتيب: «رَتَبَ الشيءُ يَرْتُبُ رُتُوباً : ثَبَتَ ودَامَ ولم يَتَحَرّك كتَرتَّب، وعَيْشٌ رَاتِبٌ : ثَابِتٌ دَائِمٌ وأَمْرٌ راتِبٌ أَي دَارٌّ ثَابِتٌ»[3].

والترتيب في الاصطلاح: «لقد اصطلح القدماء على ترتيب سور القرآن وآياته داخل السورة اصطلحوا على تسمية ذلك: بالتأليف. فمصطلح تأليف القرآن يعني جمع آياته وسوره حسب ترتيبها في المصحف»[4].

ثانياً ـ محاكاة الضمير الاستشراقي، جون جلكريست ـ أنموذجاً ـ:

١ ـ بما أن هذا الكتاب بحكم عنوانه (جمع القرآن الكريم عند المستشرقين، جون جلكريست أُنموذجاً) موجّه بصورة مباشرة أو غير مباشرة، صوب المستشرقين الذين اعتنوا بالشأن القرآني ولا سيما جون جلكريست، فهو موجه

---

١ ـ الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، ص١١١.

٢ ـ ظ: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص١١٩٧ . وينظر: المعجم الوسيط، ج١، ٦٣٤، مادة (دون).

٣ ـ الزَّبيدي، تاج العروس، ج٢، ص٤٨١، مادة (رتب)، وينظر: بن منظور، لسان العرب، ج١،ص٤٠٩.

٤ ـ الموسوي، السيد هاشم، القرآن في مدرسة أهل البيت، قرص المكتبة الشاملة ٣ /٤.

نحو هذه الشريحة الرائدة في البحث العلمي، ليحاكي الضمير بما هو ضمير، والعقل بما هو عقل بمعزل عن الانتماء الديني والمذهبي والجغرافي.

٢ ـ وبما أن أغلب المستشرقين بما فيهم جلكريست، في الأساس لا يؤمنون بنبوة ورسالة الرسول الاعظم ﷺ ومعجزته الخالدة (القرآن الكريم)، الأمر الذي جعلهم يعيثوا في البحث فساداً، وإنهم لو آمنوا واعتقدوا بنبوة النبي الكريم لحُلَّت كثيرٌ من المشاكل. ـ وليس بشرط أساسي أن يتركوا ما يعتقدون به من أديان ويعتنقوا الإسلام كدين ـ فقط لو كانوا يؤمنون به كنبيٍ مبعوث من قبل السماء.

٣ ـ ولأن هذه الوريقات الاولى تسمى (تمهيداً) أي تمهّد لقراءة المحتوى والمضمون، صار من المناسب فيها أن يمهّد الباحث لهذه المواجهة العلمية الفكرية، وأن يقدم دليلاً ولو بسيطاً، يستدل به على نبوة النبي الخاتم.

والدليل هو دليل علمي استقرائي بما أسماه مفكر عصره وفيلسوف زمانه السيد محمدباقر الصدر. ومنهج الدليل الاستقرائي القائم على حساب الاحتمالات يتم من خلال عرض دراسة تحليلية كاملة، للأسس المنطقية للاستقراء. ونظرية الاحتمال[1].

فأنت في حياتك الاعتيادية، حين تجد أن طبيباً نجح في علاج حالات مرضية، فتثق به وتتعرف على أنه طبيب حاذق. وحين تستعمل إبرة بنسلين في عشر حالات مرضية، وتصاب فور استعمالها، في كل مرة بأعراض معينة متشابهة، فتستنتج من ذلك أن في جسمك حساسية خاصة اتجاه مادة البنسلين. أنت في كل هذه الاستدلالات وأشباهها تستعمل في الحقيقة، منهج الدليل الاستقرائي، القائم

---

١ ـ يراجع : الصدر، محمد باقر، الاسس المنطقية للاستقراء، ص١٣٠-٤١٠.

على حساب الاحتمالات[1].

والاستدلال لإثبات نبوة الرسول الأعظم ﷺ بالدليل الاستقرائي كالآتي: هناك مثال قبل خطوات الاستدلال: إذا تسلم الإنسان رسالة من أحد أقاربه، وكان هذا القريب صبياً يدرس في مدرسة إبتدائية بأحد الأرياف فلاحظ الإنسان الذي تسلم الرسالة، أنها قد كتبت بلغة حديثة، وبعبارات مركزة وبليغة، وعرضها بصورة مثيرة، فسوف يستنتج ـ مستلم الرسالة ـ أن شخصاً مثقفاً، واسع الإطلاع، قد أملى الرسالة على هذا الصبي.

وإذا أردنا أن نحلل هذا الاستنتاج إلى الخطوات التالية:

الاولى: إن كاتب الرسالة صبي ريفي ويدرس في مدرسة ابتدائية.

الثانية: إن الرسالة تتميز بأسلوب بليغ، ودرجة كبيرة من الإجادة الفنية.

الثالثة: إن الاستقراء يثبت في الحالات المماثلة، أن صبياً بتلك المواصفات التي تقدمت في الخطوة الاولى، لا يمكنه أن يصوغ رسالة، بالمواصفات التي لوحظت في الخطوة الثانية.الرابعة: يتنتج من ذلك، إذن إن الرسالة من نتاج شخص آخر، استطاع ذلك الصبي بشكل وآخر، أن يستفيد منه ويسجله في رسالته.

ملخص الاستدلال: كلما لوحظت ظاهرة معينة، ضمن عوامل وظروف محسوسة، ولوحظ استقرائياً أن هذه العوامل والظروف المحسوسة في الحالات

---

١ ـ ظ: الصدر، محمد باقر، كتاب المرسل،الرسول، الرسالة، ص٢٠. تفصيل هذا الاستدلال لمن أراد أن يراجع، في المصدر السابق ما يقارب شرحه أربعة عشر صفحة، ص٧١-٨٤. لكن سيتم عرضه هنا بصورة موجزة ومقتضبة جداً.

المماثلة، لا تؤدي إلى نفس الظاهرة، فيدل ذلك على وجود عامل آخر غير منظور لا بد من افتراضه لتفسير الظاهرة.

فإن النتيجة إذا جاءت أكبر من الظروف والعوامل المحسوسة، بحكم الاستقراء للحالات المماثلة، كشفت عن وجود شيء غير منظور وراء تلك الظروف والعوامل المحسوسة.

(وهذا ما يصدق تماماً على نبوة الرسول الأعظم ﷺ، والرسالة التي أعلنها على العالم باسم السماء) وذلك ضمن الخطوات التالية:

الأُولى: إن هذا الشخص، الذي أعلن رسالته على العالم باسم السماء، ينتسب إلى الجزيرة العربية، التي كانت من أشد أجزاء الأرض تخلفاً في ذلك الحين من عدة نواحي ولم تمر الحجاز بالذات تأريخياً بمثل الحضارات، التي نشأت قبل ذلك بمئات السنين.

وحتى القراءة والكتابة بوصفها أبسط أشكال الثقافة، كانت حالاً نادرة نسبياً، وكان شخص النبي ﷺ لم يكن قبل البعثة يقرأ ويكتب، ولم يتلق أي تعليم منظم أو غير منظم. ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبوت ٤٨)، وهذا النص القرآني، دليل واضح على مستوى ثقافة الرسول قبل البعثة. وهو دليل حاسم حتى في حق من لا يؤمن بربانية القرآن؛ لأنه على أي حال نص أعلنه النبي ﷺ على بني قومه فلم يعترض أحد على ما قال وعلى ما ادعى، وقد عاش أربعين سنة قبل البعثة في قومه، دون أن تبرز في حياته أي بذور علمية، أو اتجاهات جادة نحو عملية التغيير الكبرى. ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ولو كان النبي ﷺ قد بذل جهداً

للاطلاع على مصادر الفكر اليهودي والمسيحي، للوحظ ذلك، ولا يمكن أن تمر محاولة من هذا القبيل من دون أن تترك بصماتها على كثير من التحركات والعلاقات.

الثانية: إنّ الرسالة التي خرج بها النبي صلى الله عليه وآله على العالم متمثلة في القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، تميزت بخصائص كثيرة.

منها: إنها جاءت بنمط فريد من الثقافة الإلهية عن الله سبحانه، وهذه الثقافة الإلهية لم تكن أكبر من الوضع الفكري والديني لمجتمع وثني منغمس في عبادة الاصنام فحسب، بل كانت أكبر من كل الثقافات الدينية التي عرفها العالم يومئذ، وقد جاء كل ذلك على يد إنسان أمي، في مجتمع وثني شبه معزول[1].

وإن محاكاة العقل هذه، والفطرة السليمة الأصيلة، انتزعت من المستشرق الفرنسي (اتيين دينيه)، صيحة الضمير الإنساني التي يقول فيها: «حقاً إنه ليدهشني أن يرى بعض المستشرقين أن محمداً قد انتهز فرصة الخلوة هذه فروَّى ورتَّب عمله المستقبل. بل قد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فوسوس بأن محمداً ألّف في تلك الفترة القرآن كله. أحقاً لم يلاحظوا أن هذا الكتاب الإلهي خالٍ من أية خطة سابقة على وجوده، مرسومة على نسق المناهج الإنسانية، وأن كل سورة من سوره منفصلة عن غيرها وخاصة بحادثة وقعت بعد الرسالة، طيلة فترة تزيد على عشرين عاماً، وأنه كان من المستحيل على محمد أن يتوقع ذلك ويتنبأ به؟»[2].

ومنها: إنها جاءت بقيم ومفاهيم عن الحياة والإنسان والعمل والتشريعات والأحكام وكانت كلها ـ حتى من وجهة نظر من لا يؤمن بربانيتها ـ من أنفس

---

١ ـ ظ: الصدر، محمد باقر، كتاب المرسل،الرسول، الرسالة، الصفحات من٦٧-٨٤.

٢ ـ دينيه، اتيين، كتاب، محمد رسول الله، وشارك في تأليفه: الجزائري، سليمان إبراهيم، ص٨٧.

ومن أروع ما عرفه تأريخ الإنسان من قيم حضارية وتشريعات اجتماعية.

فابن مجتمع القبيلة ظهر على مسرح العالم والتاريخ فجأة، لينادي بوحدة البشرية ككل، وابن البيئة التي كرّست ألواناً من التمييز عل أساس العرق والنسب، وابن الصحراء التي لم تفكر إلا في همومها الصغيرة وسد جوعتها، ظهر ليقودها إلى حمل أكبر الهموم وانقاذ المظلومين في شرق الدنيا وغربها، وابن ذلك الفراغ الشامل سياسياً واقتصادياً، ظهر فجأة ليملأ ذلك الفراغ ويجعله مجتمعاً ممتلأً له نظامه وشريعته في الحكم ويعلن مبادئ التكافل الاجتماعي التي لم تناد بها التجربة الاجتماعية البشرية، إلا بعد مئات السنين.

ومنها: إنّ الرسالة تحدثت عن تاريخ الانبياء وأممهم وما مرت بهم من وقائع وأحداث بتفاصيل لم تكن بيئة النبي العربي الوثنية والأمية تعرف شيئاً عنها وقد تحدّى علماء أهل الكتاب اليهود والنصارى النبي صلى الله عليه وآله أكثر من مرة.

ومنها: إن القرآن بلغ في روعة بيانه، وبلاغته وتجديده في أساليب البيان إلى درجة جعلت منه حتى من وجهة نظر غير المؤمنين بربانيته، حداً فاصلاً بين مرحلتين من تاريخ اللغة العربية، وأساساً لتحول هائل في اللغة وأساليبها.

وقد استسلموا أمام التحدي المستمر والمتصاعد، الذي واجههم النبي به. إذ أعلن عجزهم مجتمعين عن الإتيان بمثله. وأخرى عجزهم عن الإتيان بما ينظر سورة واحدة، أعلن ذلك وكرره على مجتمع لم يعرف صناعة، كما عرف صناعة الكلام، ولم يتقن فناً كما أتقن فن الحديث، والطريف أنّ الذي جاء بهذا الزاد الأدبي الجديد، إنسان مكث فيهم أربعين سنة، فلم يعهدوا له مشاركة في حلبة أدبية، ولاتميزاً في أي فن من فنون القول[1].

---

١ ـ ظ: الصدر، محمد باقر، كتاب المرسل،الرسول، الرسالة، الصفحات من٦٧-٨٤.

ومنها وحدة المصدر للأديان السماوية الإلهية الحقة، وهذا ما أقره هانس كونج: فـ «كل من ينظر في التوراة والكتاب المقدس والقرآن، يجد أنهم جاءوا من منبع واحد... أليس إذن الاعتراف بأنبياء إسرائيل وإنكار نبوة محمد حكماً جدلياً خاطئاً... كل هذه الأشياء تحتم علينا نحن المسيحين أن نصحح تصورنا عن محمد ونترك الأحكام الخاطئة التي نشأت من الكراهية ضد الإسلام»[1].

وهنا يأتي دور الخطوة الثالثة: لنؤكد على أساس الاستقراء العلمي، في تاريخ المجتمعات، إن هذه الرسالة بتلك الخصائص التي درسناها في الخطوة الثانية، هي أكبر بدرجة هائلة من الظروف والعوامل التي مرت في الخطوة الاولى، فإن تاريخ المجتمعات إن كان قد شهد حالات كثيرة، إنساناً يبرز على صعيد مجتمعه، فيقوده ويسير خطوة إلى الأمام غير أننا لا نواجه حالة من تلك الحالات لوجود فوارق كبيرة.

فمن ناحية نحن نواجه هنا طفرة هائلة وتطوراً شاملاً، في كل جوانب الحياة، وانقلاباً في القيم والمفاهيم بمختلف مجالات الحياة إلى الأفضل.

ومن ناحية أخرى إن أي تطور شامل في مجتمع، إذا كان وليد الظروف والمؤثرات المحسوسة، فلا يمكن أن يكون مرتجلاً ومفاجئاً، ومنقطع الصلة عن مراحل تمهد له وعن تيار يسبقه ويظل ينمو ويمتد فكرياً وروحياً حتى تنضج في داخله القيادة الكفوءة لتزعمه، وخلافاً لذلك نجد أن محمداً صلى الله عليه وآله في تاريخ الرسالة الجديدة لم يكن حلقة من سلسلة، ولم يكن يمثل جزءاً من تيار، وأما التيار الذي تكوّن من صفوة المسلمين الأوائل، فقد كان من صنع الرسالة والقائد، ولم يكن هو

---

١ ـ التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام،: هانس كونج وجوزيف فان إس، ص٣١-٣٢.

المناخ المسبق الذي ولدت فيه الرسالة؛ لذا نجد أن الفارق بين عطاء النبي وعطاء أي واحد من هؤلاء، كان فارقاً أساسياً لاحدّ له، وهذا يبرهن على أن محمداً ﷺ لم يكن جزءاً من تيار بل كان التيار الجديد جزءاً منه[1].

فـ«لا شك أن محمداً لم يدر بخلده أثناء تلك الفترة، شيء مما يزعمه المستشرقون ولم يرو في نفسه أية خطة أو منهج. حقيقة أنه، في خلوته كان يتأمل، ولكنه لم يكن يقدر، ولقد استمر كذلك إلى أن حان الموعد الذي حددته العناية الإلهية لتتجلى عن طريق من اختارته رسولاً»[2].

ومن ناحية ثالثة يبرهن التاريخ على أن القيادة الفكرية والعقائدية والاجتماعية لتيار جديد، إذا تركزت في محور واحد، من خلال حركة تطور فكري واجتماعي، فلا بد من أن يكون في هذا المحور من القدرة والثقافة والمعرفة، ما يتناسب مع ذلك، ولا بد من ممارسة متدرجة أنضجته ووضعته على خط القيادة لذلك التيار. وخلافاً لذلك نجد أن محمداً ﷺ قد مارس بنفسه القيادة الفكرية والعقائدية والاجتماعية، من دون أن يكون تاريخه ـ كإنسان أمي لم يقرأ ولم يكتب ولم يعرف شيئاً من ثقافة عصره وأديانه المتقدمة ـ يرشحه لذلك من الناحية الثقافية. ومن دون ممارسات تمهيدية للعمل القيادي.

وعلى ضوء ذلك كله ننتهي إلى الخطوة الرابعة: التي نواجه فيها التفسير الوحيد، المعقول والمقبول للموقف، وهو افتراض عامل إضافي وراء الظروف والعوامل المحسوسة، وهو عامل الوحي، عامل النبوة الذي يمثل تدخل السماء في توجيه الأرض[3].

---

١ ـ ظ: الصدر، محمد باقر، كتاب المرسل،الرسول، الرسالة، الصفحات من٨١-٨٣.

٢ ـ دينيه، اتيين، كتاب، محمد رسول الله، وشارك في تأليفه، الجزائري، سليمان أبراهيم، ص٨٨.

٣ ـ ظ: الصدر، محمد باقر، كتاب المرسل،الرسول، الرسالة، الصفحات من٦٧-٨٤.

من أجل ذلك رجع توماس كارليل (١٧٩٥ ـ ١٨٨١م) واستنطق العقل وقال قولته المشهورة: «من أكبر العار القول أن محمداً كذاباً: لقد أصبح من أكبر العار، على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى من يظن بأنّ دين الإسلام كذب، وأن محمداً خدّاعاً مزوراً، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا(*)، خلقهم الله الذي خلقنا، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاشت بها، وماتت عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول، فما الناس إلا بلّه ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة، كان الأولى بها أن لا تُخلق»(١).

ثالثاً ـ منهج البحث:

منهجي في هذه الدراسة يتلخص بالنقاط التالية:

١ ـ هناك منهج يُعرف بالمنهج التفصيلي حاولت من خلاله مناقشة ومعالجة كلّ مفردة من مفردات المستشرقين بحسبها، من دون الخوض في الكليّات الأساسيّة الجامعة لها والحاكية عنها، وستوضع هذه المناقشات والمعالجات في سياق تفصيلات مفردات الشبهات التي ستَرِدُ تباعاً ويُشار لها في إطار تبويبات هذا البحث.

---

* ـ أما الان فالمدة أكثر من أربعة عشر قرناً وتعداد الناس أكثر من مليار نسمة.

١ ـ كارليل، توماس، محمد رسول الله المثل الأعلى، ص١٠.

٢ ـ وهناك منهج آخر مُتَبَع، يُعرف بالمنهج الكلّي، وعن طريقه عملت بانتزاع عنوان كلّي عن كلّ مجموعة تفصيلات معبّرة عن شبهة أساسيّة معينة، ويتم نقدها وتحليلها وبيان الحق في مقابلها ضمن بحثٍ مستقلٍ بها.

٣ ـ حاولت تقييم بعض المصادر وإثبات كونها بدرجة من الموثوقية ليست بعالية، منها مصادر إسلامية ومنها مصادر للمستشرقين، لكن في نفس الوقت استشهدت بتلك المصادر ولا تكاد تخلو صفحة واحدة، إلا وكانت لها حظٌ من تلك المصادر؛ إنما الذي أجاز ذلك، هو قاعدة ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم، فقد كانت طبيعة مستندات المستشرقين من نفس تلك المصادر، مستشهدين بها.

٤ ـ اضطر الباحث أن يتطـرق إلى موضوعات، يراها الرائي خارج موضوع جمـع الـقرآن (موضـوع البحث) لكن المستشرق جلكريست هو الذي حاول سحبها بصورة أو بأخرى لجمع القرآن؛ لكي يثبت ما يثبت من شبهات، مثلاً من الموضوعات (اختلاف المصاحف، الخط والرسم القرآنيان، الأحرف السبعة، الحجاج وتغييره لآي القرآن، والناسخ والمنسوخ) وغيرها.

٥ ـ هناك آراء للمستشرقين، تم عرضها فقط، من دون تحليلها ونقدها؛ لأنها سوف تناقش مع آراء جلكريست، بوصفها لا تختلف عنها في المضمون، فمناقشة وتحليل آراء جلكريست واجتهاداته، هي بمثابة نقاش آراء المستشرقين بهذا الموضوع بالذات لا غيره، وبالعكس أيضاً، تحليل ومناقشة آراء المستشرقين، تعد بمثابة آراء جلكريست؛ لأنها لا تختلف معها في المحتوى. أما التي تتقاطع فيما بينها، فكان لها كلام آخر.

٦ ـ رأي المستشرق جلكريست في أغلب الأحيان، هو محور البحث، وعليه تُعقد المناقشة، وأسلوب المناقشة معه ومع غيره كلٌ بحسبه، فإذا كان

استدلاله على رأيٍ ما أو شبهةٍ ما، نقلي، سيكون جوابه ونقاشه عبر المنظومة النقلية، وإذا كان عقلياً، منطقياً، فلسفياً، سيكون كذلك.

رابعاً ـ كتاب (جمع القرآن) للمستشرق جون جلكريست:

تعريف إجمالي:

هذا الكتاب كان أكثر ما تدور رحى البحث حوله، لأن المستشرق ضمّن جلّ آرائه حول جمع القرآن فيه، وتناول مرحلتي الجمع المشهورتين في كتب المسلمين (مرحلة جمع أبي بكر، ومرحلة عثمان بن عفان)، ويُفهم من عرضه هذا، أن لا جمع في عهد النبي للقرآن، بذلك تناول ما أسماها مراحل تطور القرآن في زمن النبي وبعده، ويُذكر أنّه تناول تدوين القرآن، وغيرها من الموضوعات المرتبطة بما تقدّم من مراحل.

والـذي يقرأ كتابه لأول مرة، سيظن ـ لا أقول سينخـدع ـ بأن المستشرق لم يترك شاردة أو واردة في جمع القرآن إلا وذكرها، لا ليس الأمر كذلك، وإنما أخذ المستشرق من جمع القرآن، ما يحتاج إليه وما تعتاش عليـه شبهاته ، وتـرك ـ قد يكون تعمداً ـ كثيراً من القضايا والروايات المهمة التي لا يُستنطق منها إثارة أية شبهة حول القرآن. لكن لم أعمل على دراسة هذا الكتاب بكل ما فيه؛ لسبب وجيه ذُكر في نقطة سابقة، وهو درجه لموضوعات خارج نطاق البحث. فكان عنوان البحث لا يسمح بذلك؛ لأن العنوان عن جمع القرآن بالخصوص.

واجتهد المستشرق على إظهار صورة غير صحيحة عن القرآن، بأنه غير مكتمل، وغير مدون بالكامل، بالتالي إثارة شبهة تحريفه، بالرغم من قوله أكثر من مرة، إن القرآن غير محرف، وقد جاء كتابه هذا، رداً على ثلاثة مقالات من علماء

المسلمين من جنوب افريقيا، وكانت هذه المقالات نفسها ردوداً على مقال كان قد نشره جلكريست سابقاً. وبحسب ادّعاء جلكريست، كانت بعض ردودهم على مقاله ملؤها الشتم والتهجم، لذا قال: «لا أجد مبرراً للرد على هؤلاء العلماء المسلمين بعبارات شاتمة كالتي استعملوها ضدي لأنني أمتلك الحرية الكاملة للخوض في هذا الموضوع بدون أية عراقيل نفسية وبدون أية فرضية أو فكرة مسبقة»[1].

***

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 6.

الفصل الأول

الرؤية الإسلامية حول جمع القرآن الكريم

توطئة :

في هذا الفصل سيتم الوقوف عند أهمّ الروايات والآراء المطروحة في الفكر الإسلامي، حول جمع القرآن، وهل تشكل منظومة واحدة مترابطة؛ كي نسلِّم بها ونلتزم معها؛ أو أنها متضاربة في ما بينها ويوجد فيها من التهافت والتناقض الكبير، فلا يمكن أن يسكت الفكر والحال هذه، والأخذ بالرأيين المتناقضين معاً ؛ لأنه خلاف المنطق والعقـل ، ولا يمكن ترجيح رأي واتجاه معين من دون الآخر بلا مرجح عقلائي، ودليل برهاني.

وستُعرَض في هذا الفصل روايات وأحاديث، ضمنتها كتب التاريخ والمصادر الخاصة بالقرآن، وقفتْ على ماهية الجمع وما يشمل من معـاني، وكيف تم ، ومتى، وهل تم قبل رحيل الرسول الأكرم وتحت إشرافه، أو بعد مفارقته هذه الدنيا، وإنه ترك الأمر بلا ضمانات للامة، هي التي تقوم بجمعه بعد ان يرحل، كما ترك مسائل أخرى كذلك كمسألة الخلافة للشورى ـ بحسب رأي شريحة واسعة من المسلمين ـ .

لذا سيكون الفصل ذا مبحثين: يتعرض الأول للرأي والاتجاه القائل بأنّ

جمع القرآن كان بعد النبي صلى الله عليه وآله والثاني عن الاتجاه القائل أنّه تمّ في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ومعرفة أيهما يتناغم وروح الإسلام والقرآن والنبوة وثوابت العقل والمنطق، وهذان الاتجاهان غايتهما وهدفهما واحد ، لكـن الوسائل والطرق للوصول لـذلك الهدف قد تختلف، وسيتضح جلياً سلوك أيّ الطريقين يؤدي لذلك الهدف المثالي.

المبحث الأول

الاتجاه القائل بجمع القرآن بعد الرسول صلى الله عليه وآله

المطلب الأول : في عهد الخليفة الأول أبي بكر:

هناك جملة من الروايات تفيد أن جمع القرآن لم يكن من قبل النبي وفي عهده، بل تم على يد الخليفة الأول أبي بكر، وقد ذكر الزركشي في البرهان أنّه «جُمع القرآن على عهد أبي بكر»[1] وعن زيد بن ثابت قال «قبض النبي ولم يكن القرآن جمع في شيء»[2] ويعلل ذلك السيوطي بقوله «قال الخطابي إنما لم يجمع صلى الله عليه [وآله] وسلم القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة»[3] .

أقول: إن هذا الإلهام جاء متأخراً لمدة سنة كاملة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله

---

١ ـ الزركشي، بدر الدين محمد،: البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٣٣، النوع الثالث عشر.
٢ ـ السيوطي : الاتقان في علوم القرآن،النوع الثامن عشر، ج١، ص٥٨.
٣ ـ م . ن : ج١، ص٥٨-٥٩.

لأن هذا الجمع بدأ بعد معركة اليمامة التي وقعت في السنة الثانية عشرة وكانت خلافة أبي بكر في السنة الحادية عشر من الهجرة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وإذا كنا نعلم جيداً أن جبرائيل عليه السلام عرض على الرسول صلى الله عليه وآله القرآن في السنة الأخيرة، مرتين؛ فقد جاء في صحيح البخاري «وقال مسروق عن عائشة عن فاطمة عليها السلام أسر إلي النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي»[1] فهل يُعقل كان النبي لايعلم أن هناك ناسخ للقرآن؟

وعلى فرض أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله جمع القرآن ونزل بعدها ناسخ؛ ألا يمكن أن يضع الناسخ في مكانه؟ فالرواية المعروفة في وقعة اليمامة، تبين أن سبب جمع القرآن، جاء كردة فعل على اشتداد القتل في قراء القرآن في تلك الوقعة، فعن عبيد بن السباق روى زيد بن ثابت «أرسل إلي أبوبكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

قلت لعمر كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه [وآله] ؟ قال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال: أبوبكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني

---

١ ـ البخاري: الجامع الصحيح المختصر، المعروف، صحيح البخاري، ٤ -١٩١١، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم.

نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال هو والله خير، فلم يزل أبوبكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ (التوبة: ١٢٨)، حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر»[١].

وهكذا أفاد المستشرقون، ومنهم جلكريست؛ بأن محمداً نفسه لم يهتم بجمع القرآن رغم ضخامة المشروع الذي من أجله تردد زيد وابو بكر، وأن القرآن كان مفرقاً في أماكن متناثرة، راح زيد يبحث عنها وأنه وجد آية لو لم يجدها عند ابي خزيمة لفقدت من القرآن[٢].

أقول: هناك روايةٌ أخرى تناقض الرواية الآنفة، في ما ذكره زيد من إيجاد آيةٍ فُقدت منه، ففي الرواية الآتية يذكر ان الآية المفقودة، هي آية ٢٣ من سورة الاحزاب ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ وليست آخر سورة التوبة، كما جاء في كتاب المصاحف: «عن الزهري، عن عبيد بن السباق، عن زيد بن ثابت قال ... فوجدتها عند رجل من الأنصار ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ

---

١ ـ صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ،الحديث ٤٧١٠. ومسند أحمد بن حنبل، باب مسند أبي بكر، الحديث٥٧، ج ١، ص ٢٢٤، وينظر : السجستاني ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص٥.

2 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 11.

ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾ فألحقتها في سورتها...»[1]، وقد لا يمكن التوفيق بين الروايتين والجمع بينهما؛ لأن الروايتين، تارةً تُذكر في زمن الخليفة الأول أبي بكر، وأخرى تُذكر بنفس مضمون فقرة فقدان الآية من زيد بن ثابت في زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان فـ «عن أنس بن مالك، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام... مع أهل العراق، فرأى حذيفة اختلافهم في القرآن، فقال لعثمان بن عفان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلي بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت حفصة إلى عثمان بالصحف، فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن الزبير أن انسخوا الصحف في المصاحف، وقال للرهط القرشيين الثلاثة: ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، بعث عثمان إلى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوا، وأمر بسوى ذلك في صحيفة أو مصحف أن يحرق ـ وقال غيره: يخرق ـ قال الزهري: وحدثني خارجة بن زيد أن زيد بن ثابت قال: فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقرؤها : ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ فالتمستها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت [أو أبي خزيمة]، وألحقتها في سورتها وقال الزهري: واختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه، فقال النفر القرشيون: التابوت، وقال زيد: التابوه، فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه التابوت، فإنه بلسان

---

١ ـ السنن الكبرى للنسائي، ج٦، ص٤٣٠. وصحيح البخاري، ج٦، ص٢٦٢٩، رقم الحديث ٦٧٦٨، باب: يستحب للكاتب أن يكون أمينا عاقلا. والمعجم الكبير للطبراني، ج٥، ص١٢٩. والمصاحف لابن أبي داود، ص٧-٨.

قريش»[1].

فهل أن زيداً فقد الآية مرة أخـرى في عهد الخليفة الثالث ، أو قد يُحتمل ـ تماشياً مع ما جاء في هذه الروايات ـ أن ما فُقد في زمن الخليفة الاول، هو آخر سورة التوبة، وأن ما فقد في المرة الاخرى في زمن الخليفة الثالث، هو الآية ٢٣ من سورة الاحزاب؟ لكنَّ المشكلة تكمن في كلمة ومعنى (الفقدان)، فقد ذُكرت هذه الكلمة (فَقدتُ، فقدنا، فُقِدتْ) في أكثر من رواية؛ فكانت ثقيلةً على مسامع المسلمين، طيِّعةً خفيفةً على مسامع المستشرقين، فهذا جلكريست كان في حلبةٍ واحدة مع هذه الروايات وناقشها بإسهاب، وقال لصاحبه ـ كوكب صدّيق ـ وهو يحاوره، ما نصه: «يحاول صدّيق من جديد أن يقنعنا بأن زيداً لم يجد الآية في شكل مكتوب رغم كونها معروفة جيداً لدى الصحابة. إنه يرفض المعنى الواضح للحديث الذي قدمنا (فُقِدت آية من سورة الأحزاب...) قائلاً إن فيه شيء من (عدم الدقة) وإن المعنى الحقيقي هو (لم أجد آية...) بعبارة أخرى لم يكن زيد يجهل وجود هذه الآية بل حاول فقط التأكد من وجودها على شكل مكتوب»[2].

لكن جلكريست لم يرتض هذا التأويل؛ لأن «الكلمة الرئيسية في الحديث هي (فُقِدَت) وتعني (ضاع مني، حُرِمت من...) و هي شائعة الإستعمال في حالة وفاة شخص ما (المفقود = الشخص المتوفى). المعنى في سياق الحديث الذي يهمنا ليس أن زيداً حاول البحث عن آية محفوظة عند الصحابة في ما كتب من القرآن، بل حاول أن يجد آية ضاعت كلياً من القرآن ولم توجد أخيراً إلا عند أبي

---

١ ـ صحيح البخاري، ج٤، ص١٩٠٨، رقم الحديث ٤٧٠٢، باب جمع القرآن. ومسند أبي يعلى، ج١، ص٩٢، باب مسند أبي بكر الصديق. ومصنف عبد الرزاق الصنعاني، ج٨، ص٣٦٧، باب شهادة خزيمة بن ثابت.

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QURAN: p ,54.

خزيمة»[1].

وهناك رواية أخرى تنقل نفس المضمون، بأن من يجد عنده زيد الآيتين من سورة التوبة هو (خزيمة الانصاري) وليس أبو خزيمة ـ وسيأتي بعد قليل، إنهما ليسا واحد ـ «... فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة بن ثابت الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ ﴾...»[2] وكذلك رواية أخرى ذُكرت، لكنها تتعارض مع ماسبق من الروايات في ما ذُكر من فقدان الآيتين من آخر سورة براءة من زيد بن ثابت وانه تتبعهما بنفسه وإنه وجدها عند خزيمة بن ثابت الانصاري، ولم يجدها مع أحد غيره «حدثنا أبوجعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، أنهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر الصديق، فكان رجال يكتبون ويملي عليهم أُبيّ بن كعب، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٧) ظنوا أنّ هذا آخر ما أُنزل من القرآن، فقال أُبي:

إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قد أقرأني بعدهن آيتين ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QURAN: p ,54 - 55.

٢ ـ صحيح البخاري، ج٤، ص١٩٠٧، رقم الحديث ٤٧٠١، باب جمع القرآن. وصحيح بن حبان، ج١٠، ص٣٦٠، باب ذكر ما يستحب للإمام اتخاذ الكاتب لنفسه لما يقع من الحوادث والأسباب في أمور المسلمين. ودلائل النبوة للبيهقي، ج٧، ص١٤٩-١٥٠ باب ما جاء في تأليف القرآن، وقوله عز وجل إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون.

تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (التوبة: ١٢٧ ـ ١٢٨) قال: فهذا آخر ما أُنزل من القرآن فختم الأمر بما فتح به لقول الله جل ثناؤه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الانبياء: ٢٥))[١].

فهذه الروايات، تبرز بوضوح أن زيداً والصحابة الآخرون افتقدوا كلياً هاتين الآيتين عند نسخ القرآن. ولولا خزيمة بن ثابت، أو أُبي خزيمة لما كانتا ضمن القرآن. فقط نستغرب من كون زيد لم يكتشف فقدان آية من القرآن إلا بعد مرور (١٩) سنة على وفاة محمد وبمحض الصدفة يكون قد وجدها عند نفس الصحابي الذي وجد عنده الآيتين الأخيرتين من سورة براءة! [٢]، فالتناقض في الروايات واضح، وعدم امكان التوفيق بينها، فهنا ـ وفي عهد الخليفة الاول أبي بكر أيضاً ـ أُبي هو بنفسه الذي نبّه على الآيتين من سورة براءة، وليس زيداً هو الذي تتبعها ووجدها عند خزيمة بن ثابت.

ومن جملة ما ذكره السيد الخوئي ـ من تناقض وتعارض في روايات الجمع ـ وهو: من الذي أتى بهاتين الآيتين (آخر سورة براءة)؟ هل هو خزيمة بن ثابت؟ أو أبو خزيمة الانصاري؟ ـ « وهما رجلان ليس بينهما نسبة أصلاً على ما ذكره ابن عبدالبر»[٣] فقد جاء في تفسير القرطبي «قال ابن عبد البر: أبو خزيمة لايوقف على صحة اسمه وهو مشهور بكنيته وهو أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار شهد بدراً وما بعدها من المشاهد

---

١ ـ مسند أحمد بن حنبل، ج٥، ص١٣٤، رقم الحديث ٢١٢٦٤، باب حديث أبي العالية الرياحي عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه. والمصاحف لابن أبي داود: ص٩. ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ج٧، ص١١٤.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QURAN: see, p35-36.

٣ ـ السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن: ص٢٤٩.

وتوفي في خلافة عثمان بن عفان وهو أخو مسعود بن أوس قال ابن شهاب عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت: وجدت آخر التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري وهو هذا وليس بينه وبين الحارث بن خزيمة ابي خزيمة نسب إلا اجتماعهما في الأنصار أحدهما أوسي والآخر خزرجي»[1] فتجد عدم التماسك جلي بين الروايات، فقول زيد إن آية بل آيات خزيمة وأبي خزيمة قد ضاعت، نعم ضاعت في الجمع الأول قبل بضع عشرة سنة عندما جمع هو القرآن في زمن عمر، ثم وجدها زيد عند خزيمة! ثم ضاعت ثانية ووجدها زيد أيضاً! ولم تكن موجودة عند أحد من الناس إلا عند آل خزيمة ! فقبل زيد شهادة خزيمة وحده ولم يطلب شاهدين، لأن النبي ﷺ سمّاه: ذا الشهادتين، وفي رواية عن زيد نفسه أنه وجدها عند ابن خزيمة وليس عند خزيمة، وفي رواية أنه وجدها عند أبي خزيمة لا ابنه ولا حفيده! وفي رواية أنه وجدها عند(خزيمة آخر) فأجرى عليهم جميعاً حكم خزيمة ذي الشهادتين، لمجرد اسم خزيمة ![2].

ـ وأجواء هذه الروايات كان لها الاثر البيّن في فتح بابٍ لإطلاق الشبهات وفتح الثغرة أمام المستشرق؛ ليلج منها، فهو لابدّ له من مستند واضح الدلالة أو فيه ثغرة يمكن النفاذ لإيجاد وإبراز أوتقديم دلالة معينة تخدم غرضه، ومنها إثارة شبهة أن القرآن اعتُمِد في أخذه على مصدر واحد؛ هذا لأن «زيداً بن ثابث اعتمد بخصوص الآيتين الأخيرتين من سورة التوبة على مصدر واحد فقط لأن لا أحد غير أبي خزيمة كان على دراية بهما ولو لم يكن الأمر كذلك لفقدتا من القرآن»[3] وإن الحديث كما دوّنه البخاري لايشير إلى ما ادعاه بعض علماء المسلمين: أن

---

١ ـ تفسير القرطبي: ج١، ص٥٦.

٢ ـ ظ: الكوراني، تدوين القرآن، ص٣٢٣.

3 - Gilchrist, John, JAM' AL-QURAN , p 31.

الآيتين كانتا مكتوبتين عند كل الصحابة ولكنّ أبا خزيمة كان فقط الوحيد الذي أتيحت له فرصة كتابة الآيتين تحت الإشراف المباشر لمحمد، فالأحاديث لا تشير بتاتاً إلى شيء من هذا القبيل[1].

وقد حاول بعض علماء المسلمين، الرد على السؤال التالي: هل يمكن ويعقل ان القرآن يُنقل ويصل إلى المسلمين كافة، بخبر الواحد، أو الإثنين؟ «فالجواب: أنّ خزيمة رضي الله عنه لما جاء بهما تذكرهما كثير من الصحابة وقد كان زيد يعرفهما ولذلك قال: فقدت آيتين من آخر سورة التوبة ولو لم يعرفهما لم يدر هل فقد شيئا أو لا، فالآية إنما ثبتت بالإجماع لا بخزيمة وحده. جواب ثانٍ: إنما ثبتت بشهادة خزيمة وحده لقيام الدليل على صحتها في صفة النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فهي قرينة تغني عن طلب شاهد آخر بخلاف آية الأحزاب فإن تلك ثبتت بشهادة زيد وابي خزيمة لسماعهما إياها من النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم»[2].

أقول: (حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء) فقد غاب عن المفسر الكبير القرطبي، ما تناقلته مصادر المسلمين من أحاديث وروايات تدل على الحفظ الواسع والغالب للقرآن من قبل الصحابة؛ وماتداولته آراء علماء المسلمين، في أن حفظ القرآن كان الشغل الشاغل للمسلمين أيام الرسول ﷺ وكان يحرص على تعليمهم وحفظهم، فكيف يتناسب هذا ـ حفظ الصحابة المشهور للقرآن ـ مع القول أن الصحابة لم يتذكروا الآيتين إلا بعد ما جاء بهما خزيمة؟ فقد جاء «عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، يُشغلُ فإذا قَدِمَ رجل مهاجرعلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، دفعه إلى رجل منا يعلمه

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QURAN , p , 32.

٢ ـ تفسير القرطبي: ج١، ص٥٦.

القرآن...»[1] وكما جاء في صحيح البخاري «وقال أبو بردة عن أبي موسى: قال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من فبعد أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار...»[2] وقد خص الله تعالى هذه الأمة في كتابهم هذا المنزل على نبيهم صلى الله عليه [وآله] وسلم، بما لم يكن لأمة من الأمم في كتبها المنزلة فإنه تعالى تكفل بحفظه من دون سائر الكتب ولم يكل حفظه إلينا قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩) وذلك إعظام لأعظم معجزات النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة[3].

«أما بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فقد أتم حفظ القرآن آلاف مؤلفة من الصحابة كذلك كان كل من حفظ القرآن أو شيئا منه من الصحابة حفظه مرتب الآيات على هذا النمط، وشاع ذلك وذاع وملأ البقاع والأسماع يتدارسونه فيما بينهم ويقرؤونه في صلاتهم ويأخذه بعضهم عن بعض ويسمعه بعضهم من بعض بالترتيب القائم الآن فليس لواحد من الصحابة والخلفاء الراشدين يد ولا تصرف في ترتيب شيء من آيات القرآن الكريم»[4].

هذا الحفظ للقرآن الذي لا نظير له؛ كيف يمكن ـ إذا عقلنا الامور، عقل

---

١ ـ مسند احمد، ج٥، ص٣٢٤،رقم الحديث ٢٢٨١٨، حديث عبادة بن الصامت.

٢ ـ صحيح البخاري، ج٤، ص١٥٤٧، رقم الحديث ٣٩٩١، باب غزوة خيبر. وصحيح مسلم، ج٤، ص١٩٤٤، رقم الحديث ٢٤٩٩ باب من فضائل الأشعريين.

٣ ـ ظ: ابن الجزري: النشر في القراءات العشر:، ج١، ص ١٢-١٤.

٤ ـ الزرقاني، محمد عبدالعظيم، مناهل العرفان: ١-٢٤٠.

دراية، لا عقل رواية ـ أن نذعنَ ونؤمنَ، بأن الصحابة كانوا ينتظرون شخصاً واحداً ليذكرهم بآية من القرآن الكريم.

هناك رواية أخرى في شأن جمع الخليفة أبي بكر، تقول بأن الجمع تم في عهده «عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لما استحر القتل بالقراء يومئذ فَرَقّ أبوبكر على القرآن أن يضيع فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت: اقعدوا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه»[1] إنّ المتصدي لجمع القرآن في هذه الرواية؛ هو زيد بن ثابت وعمر بن الخطاب بإشارة من أبي بكر، في حين روايات أخرى قرأناها، صرحت بأن من تصدى للجمع زيد بتكليف من أبي بكر، بعد إشارة عمرعليه[2].

ورواية أخرى «عن عبد خير قال قال علي يرحم الله أبا بكر هو أول من جمع بين اللوحين رحم الله أبا بكر هو أول من جمع بين اللوحين»[3] لكن يوجد فيها امرٌ آخر قد يُعد متناقضاً مع غيرها، وهو فيما تقدم من أن الخليفة الأول أبابكر، هو الذي أشار على عمر وزيد بن ثابت بجمع القرآن، وهذه لا تتوافق مع أخرى تقول: إن الذي أشار بعملية الجمع زيد إلى عمر بن الخطاب ومن ثمَّ إلى أبي بكر فـ «روى سليمان بن أرقم، عن الحسن وابن سيرين، وابن شهاب الزهري. قالوا: لما أسرع القتل في قراء القرآن يوم اليمامة قتل منهم يومئذ أربعمائة رجل، لقي زيد بن ثابت عمر بن الخطاب، فقال له: إن هذا القرآن هو

---

١ ـ ابن ابي داود: المصاحف : ص ١٢.

٢ ـ ظ:السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن: ص ٢٤٧.

٣ ـ مصنف ابن أبي شيبة: ج٦، ص١٤٨. وينظر: المتقي الهندي كنز العمال : ٤٧٥٢ وينظر: ابن ابي داود، المصاحف:، ص ٥. وينظر: الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٣٣ .

الجامع لديننا فإن ذهب القرآن ذهب ديننا، وقد عزمت على أن أجمع القرآن في كتاب، فقال له: انتظر حتى أسأل أبا بكر، فمضيا إلى أبي بكر فأخبراه بذلك، فقال: لا تعجل حتى أشاور المسلمين، ثم قام خطيباً في الناس فأخبرهم بذلك، فقالوا: أصبت، فجمعوا القرآن، فأمر أبو بكر منادياً فنادى في الناس: من كان عنده شئ من القرآن فليجئ به»[1].

وفي مقابل ذلك روايات صريحة، تصرح بأنّ الخليفة الثاني عمربن الخطاب، هو من أشار على أبي بكر، والأخير تكلم بهذا الشأن مع زيد بن ثابت، كما مرّ آنفاً[2].

بينما توجد رواية مخالفة لجميع ماتقدم، تؤكد بأن الخليفة الثاني عمر قُتل والقرآن بعدُ لم يجمع «عن محمد بن سيرين قال: قُتل عمر ولم يجمع القرآن»[3] وهذه الرواية فيها دلالات مهمة لو لبست ثوب الاعتبار، منها: ستنسف كل ما قيل عن الجمع في عهد أبي بكر، بل أكثر من ذلك، حتى ما قيل في الجمع بعهد النبي، أما إذا أُريد لها السقوط عن الاعتبار:

أولاً: كونها آحاد ولم تنقلها كتب الصحاح، والذي نقلها فقط صاحب كنز العمال.

وثانياً: يوجد ما هو على طرفي نقيض معها، ما جاء «عن الحسن أن عمر ابن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله فقيل كانت مع فلان وقتل يوم اليمامة

---

١ ـ المتقي الهندي، كنز العمال، ج٢، ص٥٧٥، رقم الحديث ٤٧٦٢.

٢ ـ صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ،الحديث ٤٧١٠. ومسند أحمد بن حنبل، باب مسند أبي بكر، الحديث٥٧، ج ١، ص ٢٢٤، و شعب الإيمان للبيهقي، ج١، ص١٩٥. وسنن الترمذي، ج٥، ص٢٨٣، رقم الحديث ٣١٠٣، باب سورة التوبة.

٣ ـ المتقي الهندي: كنز العمال،ج٢،ص٥٧٤، رقم الحديث٤٧٥٧، وجامع الأحاديث، للسيوطي، ٢٧/ ٤٩٦ قرص المكتبة الشاملة.

فقال : إنا لله وأمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه في المصحف»[1] ولكن سقوطها عن الاعتبار سوف لا يعدّل من واقع الروايات شيئاً، إذ نجد في الرواية الآتية، أن المتصدي للجمع هو أبو بكر نفسه، جمع القرآن ومن ثم بعد ذلك سأل زيداً للنظر في ما جمع، وأبى زيدٌ ذلك، فاستعان أبو بكر بعمر، وهي أيضاً لا تتفق لما مرّ آنفاً في ما سبق من رواية وقعة اليمامة، «عن ابن شهاب، عن سالم، وخارجة، أن أبا بكر الصديق كان جمع القرآن في قراطيس وكان قد سأل زيداً بن ثابت النظر في ذلك، فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل، وكانت تلك الكتب عند أبي بكر حتى توفي ...»[2].

المطلب الثاني: في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب :

تذهب بعض المصادر الإسلامية التي تضمنت موضوع جمع القرآن الكريم، إلى تقسيم مراحل الجمع على ثلاث، تنسب الجمع إلى عهد الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم أو عهد أبي بكر، أو عهد عثمان بن عفان؛ و لم أجد بحسب الاستقراء من أفرد للخليفة الثاني عمر بن الخطاب جمعاً للقرآن، أو جعل جهده في الجمع، مرحلةً من مراحله. إذ أن الرأي السائد في أغلب الأبحاث، كما هو رأي الحاكم في مستدركه حيث قال: «إنّ جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد جمع بعضه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق، والجمع الثالث هو في

---

١ ـ ابن أبي داود، المصاحف، ص١٠، باب جمع عمر القرآن في المصحف. وجامع الأحاديث للسيوطي، ١١٣/٢٦ قرص المكتبة الشاملة. ونقلها أيضاً المتقي الهندي في كنز العمال، ج٢، ص٥٧٤، رقم الحديث ٤٧٥٨.

٢ ـ الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ج٥، ص٣٠٤. والدارقطني، كتاب الأحاديث التي خولف فيها مالك بن أنس، ص٥٤. وكنز العمال للمتقي الهندي، ج٢، ص٥٧٣، رقم الحديث ٤٧٥٥. والمصاحف لابن أبي داود، ص ٩.

ترتيب السورة كان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان»[1].

وهناك من استثنى عهد النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، وقصرها على اثنين وعلّل امتناع النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، عن جمعه بأنه «إنما ترك جمعه في مصحف واحد لأن النسخ كان يرد على بعض فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض لأدّى إلى الاختلاف واختلاط الدين فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدون»[2].

ويجعل من استثنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أبا بكر أول جامع للقرآن[3] ويستدل بما جاء عن عبد خير قال : «أول من جمع كتاب الله بين اللوحين أبو بكر»[4].

ويستدل ابن كثير على ذلك بـ «الدليل على أن من المهاجرين من جمع القرآن أن أبا بكر قدّمه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، في مرضه إماماً على المهاجرين والأنصار، مع أنه صلى الله عليه [وآله] وسلم، قال: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله) فلولا أنّه كان أقرؤهم لكتاب الله لما قدّمه عليهم»[5].

أمّا ابن أبي داود (٢٣٠ ـ ٣١٦ هـ) في المصاحف فقد أفرد لعمر بن الخطاب جمعاً خاصاً بعنوان: (جَمْعُ عمر بن الخطاب القرآن في المصحف)[6]. وعـزى ابن أبي داود الجمع الخاص لعمر بن الخطاب، لما تقدمت من رواية أن عمر سأل عن

---

١ ـ المستدرك على الصحيحين: باب طوبى للشام، البرهان في تفسير القرآن: ج١ ص٢٣٧.
٢ ـ البرهان في تفسير القرآن، ج١ ص٢٣٥.
٣ ـ ظ: م . ن، ج١ ص٢٣٣.
٤ ـ القاسم بن سلام، فضائل القرآن، ص٢٨٠. والمصاحف ٤٣٠ هـ: ص٥. وابن بشران، في كتابه أمالي ابن بشران، ص٨٣.
٥ ـ تفسير بن كثير: ج١، ٥٣.
٦ ـ ظ: ابن أبي داود، المصاحف، ص١٠.

آية في القرآن، فكان أول من جمع القرآن في المصحف، وهكذا ما تتوجه به رواية أخرى تؤكد هذا المعنى، وتشير إلى أن الخليفة الثاني عمر، هو من كتب المصحف الامام «عن عبد الله بن فضالة قال: لما أراد عمر أن يكتب [المصحف] الإمام أقعد له نفراً من أصحابه وقال: إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر، فإنّ القرآن نزل على رجل من مضر»[1] ، بينما سنجد في ما بعد في الروايات ـ وهو المعروف والمشهور ـ أنّ الذي كتب المصحف الإمام، هو الخليفة الثالث عثمان بن عفان.

ونجد من بين الروايات ما ينسب للخليفة عمر جمعاً جزئياً ففي روايةٍ أنه قُتل ولم يكتمل جمعه للقرآن، وهذا ماجاء «عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن، فقام في الناس فقال: من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان فقتل وهو يجمع ذلك إليه فقام عثمان بن عفان فقال: من كان عنده من كتاب الله شيء فليأتنا به وكان لا يقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد عليه شهيدان، فجاء خزيمة بن ثابت فقال: إني قد رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما. قالوا: وما هما؟ قال: تلقيت من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ إلى آخر السورة قال عثمان: فأنا أشهد أنهما من عند الله فأين ترى أن نجعلهما؟ قال: اختم بها آخر ما نـزل من القرآن فختمت بها براءة»[2] وهكذا يذهب ابن

---

١ ـ المتقي الهندي، كنز العمال، ج٢، ص٥٧٥.

٢ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٦، ص٣٦٥. وكنز العمال، للمتقي الهندي،، ج٢، ص٥٧٥، رقم الحديث ٤٧٥٩. والمصاحف لابن أبي داود، ص١٠-١١.

أبي داود في هذا الباب، إلى أن المتصدي الاول للجمع، هوالخليفة الثاني عمر.

ومن جرّاء هذه الروايات وأمثالها، شكك بروكلمان في جمع أبي بكر وفي معركة اليمامة، كونها السبب الذي دعى لجمع القرآن من قبل أبي بكر، فقال: «ومما يحتمل كثيراً من الشك ما ذكرته الرواية من أن معركة اليمامة الحاسمة مع مسيلمة سنة ١٢ هـ ـ ٦٦٣ م التي قتل فيها عدد كبير من قراء الصحابة، هي التي قدمت الداعي إلى جمع القرآن ... على أن الخليفة عمر هو الذي أمر زيد بن ثابت وكان شاباً مدنياً كتب كثيراً للنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أن يقوم بجمع القرآن وكتابات الوحي. وبقي هذا المجموع في حوزة عمر، ثم ورثته حفصة. ولعل هذا المجموع الأول كان صحفاً متناثرة»[1].

ويلاحظ هنا ـ بحسب هذه الرواية والروايات الأخرى ـ استبعاد لأي دور للخليفة أبي بكر في جمع القرآن، فالرواية صريحة بأنه كان في عهد عمر، فقد قالت (فقتل وهو يجمع ذلك فقام عثمان...) وفيها ايضاً، أن خزيمة بن ثابت هو الذي جاء بالايتين من نفسه، بلا تتبع من قبل زيد بن ثابت.

وعن آلية هذا الجمع يورد اصحاب هذا الرأي رواية: «عن أبي إسحاق عن بعض أصحابه قال: لما جمع عمر بن الخطاب المصحف سأل عمر من أعرب الناس؟ قيل سعيد بن العاص فقال: من أكتب الناس؟ فقيل زيد بن ثابت قال: فليملِ سعيد وليكتب زيد فكتبوا مصاحف أربعة فأنفذ مصحفاً منها إلى الكوفة ومصحفاً إلى البصرة ومصحفاً إلى الشام ومصحفا إلى الحجاز»[2].

---

١ ـ بروكلمان: تاريخ الادب العربي، ج١، ص١٣٩ وما بعدها.

٢ ـ المتقي الهندي، كنز العمال: ج٢ ص٥٧٨.

وعليه يمكن أن يقال في مقام النقد والمناقشة: إن كان الجمع في عهد أبي بكر بدأ سنة (١٢هـ)، وهي أقرب خلافة لزمن الرسالة وكانت عليه كل هذه المؤاخذات والنقوص والنقوض فكيف الحال إن كان في عهد الخليفة الثاني عمر أو عهد الخليفة الثالث عثمان، بالتأكيد ستتراكم شبهات على مدى ثلاثة عهود من الخلافة، فيبقى الجمع في عهد راعي الرسالة السماوية، الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، بعيد عن أي شبهات وتناقضات كما سيتبين.

لذا حرص المستشرقون على إثارة شبهاتهم من خلال مراحل الجمع بعد النبي فقال قائلهم: «من خلال المعلومات التي نتوفر عليها حول جمع القرآن بعد وفاة محمد نستنتج أن القرآن لم يتم أبداً وضعه في مصحف واحد في عهد محمد»[١] ذلك لأنهم لم يجدوا ثغرة يلجوا منها إذا كان الجمع قد تم في عهد النبي صلى الله عليه وآله فـالمستشرق «يستنتج من هذا أن المصحف[الذي جُمع خلال مرحلتي أبي بكر وعمر] كانت له قيمة عالية لذلك استفاد من رعاية أبي بكر وعمر خلال فترتي خلافتهما. لكن بالرغم من كل هذا فليس هناك أدنى شك أن هذا المصحف لم يُعطَ له أي طابع رسمي في عهديهما»[٢] ليعلل ذلك بالقول: «فلو كان محمد نفسه هو الذي رخَّص وأشرف على عملية جمع القرآن لصح نعت المصحف بالرسمي»[٣].

أمرٌ آخر قد يجهض كل ما قيل في هذا الجمع المختص بعهد الخليفة عمر، وكذلك الجمع الذي عُرف بـ(جمع عثمان)، إذ أمر به وتصدى له الخليفة الثالث عثمان عندما رأى اختلاف الناس في القرآن ـ على ما سيأتي ـ وهو: أن الدواعي

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p, 19-20.

2 - Ibid, p, 40.

3 - Ibid, p , 46.

الحقيقية لجمع القرآن ـ إن لم يكن جُمع في عهد النبي ﷺ ـ هي دواعي أقوى وأشد تأكيداً في عهد أبي بكر منها في عهد عمر أو عثمان، منها: غياب الرسولﷺ ورحيله عن مسرح الدنيا، ووصيتهُ لأصحابه بجمع القرآن وأن لايضيعوه كما ضيعت اليهود والنصارى كتبهم، الحاجة إلى جمعه ـ حتى ولو لم يوجد الداعيان المتقدمان ـ حروب الردة وخوف فقدان الحفاظ، وبدء تحرك الصحابة للأمصار لنشر القرآن الكريم وتعليمه، وأخيراً ويبدو أنه الشيء الأهم، هو احتياج الخلافة الأولى ـ بغض النظر عن تسمية شخصها ـ إلى عمل وثيق يربطها روحياً ويجعلها امتداداً للرسول ورسالة السماء، ولا يوجد عمل أفضل من الحفاظ على دستور السماء بعد غياب محرره.

المطلب الثالث: في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان :

الرواية المشهورة والتي انقدح منها، ما يُعرف بجمع عثمان للمصاحف هي: «عن أنس بن مالك، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فرج أرمينية ... وأذربيجان مع أهل العراق، فرأى حذيفة اختلافهم في القرآن، فقال لعثمان بن عفان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلي بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت حفصة إلى عثمان بالصحف، فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وعبدالله ابن الزبير أن انسخوا الصحف في المصاحف، وقال للرهط القرشيين الثلاثة: ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، بعث عثمان إلى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوا، وأمـر بسوى ذلك في صحيفـة أو مصحف أن يحرق قال

ابن شهاب وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ فألحقناها في سورتها في المصحف»[1].

المستشرق جون جلكريست، يقف طويلاً عند مضامين هذه الرواية وما جرى فيها من إحراق المصاحف، فجمع عثمان: هل هو جمع مستقل بالمعنى الذي سبق في أبي بكر وعمر، أو هو مرحلة ثالثة وأخيرة من مراحل الجمع؟ إن قيل إنه جمع منفرد بذاته عن سابقيه؛ سيواجَه بالسؤال الآتي: ما معنى الجمعين السابقين؟ و« ماذا كانت منزلة المصحف الذي جُمع من قبل زيد بأمر من أبي بكر؟ هل كان مصحفاً خاصاً بالخليفة أم كان الغرض جعله مصحفاً رسمياً للأمة الإسلامية التي كانت آنذاك سائرة في النمو؟»[2].

وإن قيل هو مرحلة ثالثة مكملة من مراحله، سيُجابه هذا القول بشبهة أنه لم يكن هناك قرآناً مصحفاً رسمياً موحداً على مدى عشرين سنة من وفاة النبي إلى زمن خلافة عثمان، كما عده جلكريست؛ ليثير أن القرآن لم يكتمل نصه لحين خلافة عثمان، إذ قال: إن المصحف الأصلي الذي جمعه زيد في عهد أبي بكر وعهد عمر، قد يميل البعض إلى الاعتقاد أن نسخه كان كافياً في عهد عثمان من دون أية حاجة إلى بحث موسع عن ما يجب أن يحتوي عليه وإعادة النظر فيه.

---

١ ـ صحيح البخاري: ج٤، ص١٩٠٨، رقم الحديث٤٧٠٢ باب جمع القرآن، والسنن الكبرى للبيهقي، ج٢، ص٤١. ومسند أبي يعلى، ج١، ص٩٢، رقم الحديث٩٢، باب مسند أبي بكر.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p, 39.

لكن هناك أدلة تشير إلى أن هذا النص لم يكن ينظر إليه على هذا الأساس واذ نجد أن عثمان قد أمر بإعادة جمعه وكذا تصحيحه كلما تطلب الأمر ذلك.

وربما كانت هناك مراجعة شاملة للمصحف، ودليله أن زيداً لم يكتشف فقدان آية من القرآن إلا بعد مرور وربما كانت (١٩) سنة على وفاة محمد وبمحض الصدفة يكون قد وجدها عند نفس الصحابي الذي وجد عنده الآيتين الأخيرتين من سورة براءة[١].

وقد يمكن التوفيق والخروج من هذا، بفرضية الأمر بين أمرين، أي من ناحية، إنه جمع مستقل، ومن ناحية أخرى هو مرحلة مكملة لسابقه.

وينتقد جلكريست ما يسميه تبرير المسلمين لضرورة توحيد المصاحف القرآنية بكون أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن لم تكن معروفة عند كل المسلمين لذلك يكون قد وجب الإبقاء على نص واحد؛ لذلك شرعن المسلمون القرار الذي اتخذه عثمان بإحراق مصاحف مهمة ومشروعة آنئذ، يبرره الصراعات التي كانت قائمة آنذاك في المناطق التي تم فتحها بين مسلمين حديثي العهد بالقرآن لم تكن لهم دراية بكل أشكال القراءات المشروعة. واختلاف القراءات؛ فكان من الصعب جداً تدقيق كل النسخ القرآنية لدرجة وجب معها كحلّ وحيد تنحية جميع هذه النسخ من أجل الحفاظ على مصحف واحد يجتمع عليه كل المسلمين[٢].

وقال أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (١٧٠-٢٤٣هـ): والمشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان وليس كذلك إنما حمل عثمان الناس على القراءة

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN: see, p , 51- 53.

2 - Ibid,see, p, 50.

بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القراءات والقرآن وأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى أنزل بها القرآن[1].

«إذن أصبح من الملائم تنحية ست قراءات مشروعة لفائدة قراءة واحدة فقط لأن الخليفة رأى أنه من الصعب قراءة المصاحف الأخرى بالرغم من أنه كان بالإمكان تصحيح وتدوين كل هذه المصاحف كما حصل مع مصحف زيد. لايمكن للمرء إلا أن يستغرب من الطريقة التي يحاول بها بعض المسلمين تبرير ما قام به عثمان من إحراق مصاحف كانت لها قيمة عالية في نفوس المسلمين دون أن يخدش هذا التفكير أحاسيسهم»[2]. واستمر جلكريست بتحريك مشاعر المسلمين: إنه لمن المشوق معرفة ما سيكون رد المسلمين لو قام أحد في عصرنا الحاضر بإحراق أجزاء من القرآن تحت نفس الذريعة، أو لو قرر أحدهم تصوير شريط حول ما قام به عثمان. قرار إحراق مصاحف قرآنية، لا يمكن تفسيره بهذا الإستخفاف لذلك وجب على الباحثين المسلمين أن يُقَيِّموا بجدية هذه المسألة[3].

كلام المستشرق جلكريست هذا، وما عرضه من تبرير المسلمين لإحراق المصاحف بسبب اختلاف الأحرف السبعة، كله يؤخذ بنظر الاعتبار لو كان للاحرف السبعة وجودٌ وسندٌ شرعي من القرآن أو السنة النبوية الشريفة، لكن القضية، سالبة بانتفاء الموضوع كما يعبِّر المناطقة، فثبِّت العرش ثم النقش، أي يجب

---

١ ـ ظ: الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، ج١ ص٢٣٩.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p, 50.

3 - Ibid, see: p, 50.

إثبات وجود الأحرف السبعة أولاً، وهل لها أساس على الساحة القرآنية والحديثية عن طريق الرسول الأكرم ﷺ ثم بعدها يجري النقاش فيها؛ هل تنفع أن تكون سبباً لذلك أو لا تنفع. أما ما تناقلته بعض مصادر المسلمين من أحاديث الأحرف السبعة، فقد أفاد السيد الخوئي هذا الموضوع وأشبعه بحثاً وتفصيلاً، وأثبت تناقض تلك الأحاديث وتهافت معانيها، فإذا تبين «أن الاختلاف في القراءة كان نقمة على الامة. وقد ظهر ذلك في عصر عثمان، فكيف يصح أن يطلب النبي ﷺ من الله ما فيه فساد الامة. وكيف يصح على الله أن يجيبه إلى ذلك ؟ وقد ورد في كثير من الروايات النهي عن الاختلاف»[1].

وإذا كان الاختلاف الذي أوجب لعثمان أن يحصر القراءة في حرف واحد، قد اتفق في عصر النبي ﷺ، وقد أقر النبي ﷺ كل قارئ على قراءته، وأمر المسلمين بالتسليم لجميعها، وأعلمهم بأن ذلك ـ الأحرف السبعة ـ رحمة من الله لهم، فكيف يجوز لأحد أن يشدد عليها، وإذا كان ذلك للرحمة فكيف صح لعثمان أن يتجاوز هذه الرحمة؟ وكيف جاز للمسلمين رفض قول النبي ﷺ وأخذ قول عثمان وإمضاء عمله، أفهل وجدوه أرأف بالأمّة من نبيها أو أنه تنبه لشئ قد جهله النبي ﷺ من قبل وحاشا، أو أن الوحي قد نزل على عثمان بنسخ تلك الحروف؟![2].

على أن الرواية ـ التي تقدمت بداية المطلب ـ لا تخلو من النقاش ففيها، أنّ مضمون هذه الرواية جرى في عهد أبي بكر، والرواية هنا تصرح بأنه جرى في عهد عثمان، وبين التاريخين كثير من المدة. وكيف يصح أن نقول: هذا كان في عهد

---

١ ـ السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن،ص١٨٢. وللتفصيل مراجعة ن. م من ص١٧٠ – ١٩٣.

٢ ـ ظ: الصغير، د محمد حسين، تاريخ القرآن، ص٩٨–٩٩. وينظر: السيد الخوئي، البيان، ص١٨٢.

أبي بكر، ثم نقول: كان هذا في عهد عثمان ولو اختلف تاريخ الحديث؟ ونعلم أنّه لو اختلف تاريخ صدور الحديث في يوم من اوله وآخره لوجب رده؛ فكيف ان يختلف بين هاتين المدتين الطويلتين؟[1].

قال القاضي ابوبكر ابن العربي: «هذا أمر لم يخف وجه الحق فيه، انما جمع زيد القرآن بذهاب القراء .... وأمّا جمعه في زمان عثمان، فكان لاجل الاختلاف الواقع بين الناس في القراءة، فجُمع في المصاحف ليرسل إلى الآفاق حتى يرفع الاختلاف»[2].

يبقى سؤال يوجه إلى ابن العربي وهو: إذا كان القرآن قد جمع على عهد أبي بكر، وافتقدوا يومئذ آخر سورة التوبة ووجدوها عند أبي خزيمة، وانتهى بذلك كتابة المصحف، وكان عند أبي بكر، ثم عمر، ثم أخذ عثمان المصحف من حفصة واستنسخه. فكيف إذن فقدوا آية من الاحزاب، ووجدوها عند خزيمة بن ثابت الانصاري؟![3].

وفي رواية أخرى فيما يخص جمع عثمان «حدثنا إسماعيل قال: حدثنا أيوب، عن أبي قلابة قال: لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين قال أيوب: لا أعلمه إلا قال: حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيباً فقال: أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون، فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافاً، وأشد لحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد واكتبوا للناس

---

١ ـ ظ: القرآن الكريم وروايات المدرستين، السيد مرتضى العسكري، ج٢ ص٨٨.
٢ ـ ن. م: ج٢ ص٨٩.
٣ ـ ظ: ن. م: ج٢ ص٨٩.

إماماً، قال أبو قلابة: فحدثني أنس بن مالك قال: كنت فيمن أملي عليهم فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ولعله أن يكون غائباً، أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها حتى يجيء أو يرسل إليه، فلما فرغ من المصحف كتب إلى أهل الأمصار: أني قد صنعت كذا محوت ما عندي فامحوا ما عندكم»[1].

وهذه لا تنسجم مع ما جاء في الراويات، أن جمعاً من الصحابة كانوا قد جمعوا وحفظوا وتعلموا القرآن على عهد رسول الله ﷺ ! وكيف كانوا يحتاجون في كتابة الآية إلى من كان في البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدَعون موضعها حتى يجيئ أو يُرسل إليه وهل كان الرسول ﷺ قد بلغها ذلك الرجل وحده ولم يبلغ الآية غيره وكتمها عن الآخرين؟[2]، وأيضاً فيها أنّ السبب هنا في توحيد القراءة لم يكن بما أشار به حذيفة بن اليمان بُعيد عودته عندما كان يغازي أهل الشام في فرج أرمينية؛ وانما كان بسبب اختلاف الغلمان والمعلمين وتكفير بعضهم بعضاً؛ إلا أن نقول: إنّه سبب آخر مضاف للاول.

وفي روايات من نوع آخر تؤكد عملية جمع ثانية قد حصلت، وليس نسخاً لصحف أبي بكر فحسب «عن مصعب بن سعد قال: قام عثمان فخطب الناس فقال: أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون قراءة أُبيّ وقراءة عبدالله يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً

---

١ ـ ابن ابي داود، المصاحف: ص٢١.

٢ ـ ظ: القرآن الكريم وروايات المدرستين، السيد مرتضى العسكري، ج٢ ص٨٥.

فناشدهم هل سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وهو أملاه عليك ؟ فيقول: نعم، فلما فرغ من ذلك عثمان قال: من أكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت قال: فأي الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص قال عثمان: فليمل سعيد وليكتب زيد، فكتب زيد، وكتب مصاحف ففرقها في الناس، فسمعت بعض أصحاب محمد يقول: قد أحسن»[1].

وفي رواية شبيهة بسابقتها، إلا أن فيها تاريخ رحيل النبي ﷺ مختلف عن الأولى «عن مصعب بن سعد قال: سمع عثمان قراءة أبي وعبد الله ومعاذ، فخطب الناس ثم قال: إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة، وقد اختلفتم في القرآن، عزمت على من عنده شيء من القرآن سمعه من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لما أتاني به فجعل الرجل يأتيه باللوح، والكتف والعسب فيه الكتاب، فمن أتاه بشيء قال: أنت سمعت من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ؟ ثم قال: أي الناس أفصح؟ قالوا: سعيد بن العاص، ثم قال: أي الناس أكتب ؟ قالوا: زيد بن ثابت قال: فليكتب زيد وليمل سعيد قال: وكتب مصاحف فقسمها في الأمصار، فما رأيت أحداً عاب ذلك عليه»[2].

نلاحظ هنا في ذينك الروايتين وكأن عملية جمعٍ جديدة قد تمت، فطلب الخليفة عثمان من كل رجل أن يأتي بما كان معه شيء من كتاب الله، ويناشدهم الله انه ان كان سمع ذلك من الرسول الله ﷺ وأملاه عليه، وقد كان قبل ذلك جمع أبي بكر كاملٌ وسالم من أيّ نقص ـ وقد نطقت وأكدت الروايات بكمال الجمع

---

١ ـ ابن أبي داود، المصاحف: ص٢٣. السيوطي، جلال الدين، جامع الأحاديث، ٢٩ /١٢٤ قرص المكتبة الشاملة.

٢ ـ ابن أبي داود، المصاحف:ص٢٣. وكنز العمال للمتقي الهندي،ج٢، ص٥٨٥، رقم الحديث: ٤٧٨٠.

حينئذ ـ فلماذا احتيج إلى الجمع مرةً أخرى؟ وقد قرأنا سابقاً، ان عثمان لم يجمع القرآن وإنما وحّد القراءات على قراءة واحدة، ففي أيّام خلافته فقط «استنسخ تلك الصحف في مصاحف على تلك الكتبة وأقرّ أصحاب النبي عمل أبي بكر وعثمان»[1].

يبدو أن طلب الخليفة من الناس لما عندهم من القرآن ومناشدته إياهم إنهم تلقوه من الرسول ﷺ كان للتثبت ليس إلا، وللتحقق أكثر وضبط النصوص ومطابقتها مع ما كان لديه من الصحف التي جمعها ابوبكر، لكن مضامين الروايات لا يساعد على ذلك؛ فقد جاء في المطلب السابق أنّ عمر أراد أن يجمع القرآن «فقتل وهو يجمع ذلك إليه، فقام عثمان بن عفان فقال: من كان عنده من كتاب الله شيء فليأتنا به وكان لا يقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد عليه شهيدان، فجاء خزيمة بن ثابت فقال: إني قد رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما ...»[2].

وهنا من حق المستشرق جلكريست أن ينبري لإثارة التساؤلات المريبة: «فقط نستغرب من كون زيد لم يكتشف فقدان آية من القرآن إلا بعد مرور (١٩) سنة على وفاة محمد وبمحض الصدفة يكون قد وجدها عند نفس الصحابي الذي وجد عنده الآيتين الأخيرتين من سورة براءة! لقد رأينا سالفاً أن خزيمة هذا هو الذي أثار انتباه زيد إلى عدم وجود آيتين من سورة براءة. فإذا كان هنالك نص آخر فُقد ولم يوجد إلا معه فلماذا بقي صامتاً ولم يتحدث عنه خلال هذه المدة الطويلة ؟»[3].

---

١ ـ الزرقاني، محمد عبدالعظيم، مناهل العرفان، ج١ ص٢٦١.

٢ ـ ابن أبي داود، المصاحف ص١١.

3 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p, 32.

على أنّ هناك روايات أخرى تتناقض وتتعارض مع مجموع ما ذكر من الروايات، سيأتي تفصيلها في محلـه من الكتاب ، منهـا على سبيل المثال لا الحصر:

«عن ابن بريدة قال: أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة، أقسم لا يرتدي برداء حتى جمعه فجمعه، ثم ائتمروا ما يسمونه فقال بعضهم: سموه السفر، قال: ذلك تسمية اليهود فكرهوه، فقال: رأيت مثله بالحبشة يسمى المصحف، فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف»[1] بينما السيوطي يقول: إسناده منقطع أيضاً وهو محمول على أنه كان أحد الجامعين بأمر أبي بكر[2]. لكن لا توجد صراحةً في الرواية على ذلك «وقد قتل سالم مولى أبي حذيفة في وقعة اليمامة»[3] وأنّ جمعّ أبي بكر بدأ بعد وقعة اليمامة.

فالمخرج الوحيد من هذا، التسليم مرةً أخرى بتناقض هذه الروايات وعدم انسجامها فيما بينها؛ لأن هذه الروايات لو صحت يلزم منها فتح باب التحريف؛ لأن الجمع على طريقة هذه الروايات كما أشار السيد الخوئي يكون قابلاً للزيادة أوالنقصان[4].

وبمقارنة بسيطة بين الروايات وهي دعوة للمستشرقين الذين سلّموا تسليماً بتلك الروايات، لا لشيء إلا لخدمة أغراضهم، دعوتهم للتوفيق بين متناقضاتها إن استطاعوا، وسؤالهم بنفس المصادر التي استنبطوا منها ـ ببداهة الروايات ـ أن أبابكر هو أول من جمع القرآن بعد النبي لإثارة شبهة «إذا كان محمد قد ترك

---

١ ـ السيوطي، الاتقان: ج١ ص٥٩، النوع الثامن عشر.
٢ ـ ظ: السيوطي، الاتقان: ج١ ص٧٢، النوع العشرون.
٣ ـ ن .م: ج١، ص١٩٢.
٤ ـ ظ: السيد الخوئي: البيان في تفسير القرآن، ص٢٥٧.

بالفعل نصاً كاملاً ومجموعاً كما يزعم العلماء المسلمون فلماذا كانت هناك حاجة إلى جمعه بعد وفاته»[1].

فيقال: إن المصدر الذي نطق لكم بذلك وسالَ لعابُ أقلامكم نحوه، يخبركم في موضع آخر: أن عمر أول جامع للقرآن، وفي آخر: قتل عمر ولم يجمع القرآن، وفي ثالث: أن عملية الجمع تمت بأمر عثمان، وغيرها كثير، وجميعاً بنفس درجة الموثوقية لديهم.

فيثبت بذلك «بطلان هذه الروايات ، وعدم إمكان الأخذ بمضمونها ، وأنّه لا محيص عن الالتزام بكون الجمع والتأليف الراجع إلى تميّز الآيات بعضها عن بعض، وتبيّن كون الآية الفلانية جزء من السورة الفلانية، بل وموقعها من تلك السورة، وأنّها هي الآية الثانية منها ـ مثلاً ـ أو الثالثة أوالرابعة وهكذا، وكذا تميّز السور بعضها عن بعض واقعاً في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وعصره بأمره وإخباره، غاية الأمر تفرّقها وتشتّتها من جهة الأشياء المكتوبة عليها، والمنقوشة فيها كالعسب واللخاف ومثلهما»[2].

المبحث الثاني

الاتجاه القائل بجمع القرآن في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

هذا الاتجاه، والذي يقول به كثيرٌ من علماء المسلمين ولهم أدلتهم الوفيرة، يقرر بأنه قد «تمّ جمع القرآن ـ في عهد رسول اللّه صلى الله عليه وآله واهتمّ به المسلمون

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p, 21.

٢ ـ اللنكراني: الشيخ محمّد الفاضل ١٣٥٠ ـ ١٤٢٨هـ، مدخل التفسير، ص٣٠٣-٣٠٤.

الأوائل أقصى درجات الإهتمام، في مجال تعلم أحكامه وحفظه، لدرجة أصبحت فيها مكانة الفرد الإجتماعية تقاس بقدر حفظه من سور القرآن الكريم»[1].

فإن اهتمام النبي صلى الله عليه وآله بأمر القرآن بحفظه، وقراءته، وترتيل آياته، واهتمام الصحابة بذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد وفاته يورث القطع بكون القرآن محفوظاً عندهم، جمعاً أو متفرقاً، حفظاً في الصدور، أو تدويناً في القراطيس، وقد اهتموا بحفظ أشعار الجاهلية وخطبها، فكيف لا يهتمون بأمر الكتاب العزيز، الذي عرّضوا أنفسهم للقتل في دعوته، وإعلان أحكامه، وهجروا في سبيله أوطانهم، وبذلوا أموالهم، وأعرضوا عن نسائهم وأطفالهم، ووقفوا المواقف التي بيّضوا بها وجه التاريخ، وهل يحتمل عاقل مع ذلك كله عدم اهتمامهم بالقرآن؟ حتى يضيع بين الناس، وحتى يحتاج في إثباته إلى شهادة شاهدين؟ وهل هذا إلا كاحتمال الزيادة في القرآن بل كاحتمال عدم بقاء شيء من القرآن المنزل؟ [2].

وما نراه من إصرار لدى جماعة على عدم جمع القرآن في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى نسبة هذا الأمر للخليفة عثمان أو للخليفة الأول أو الثاني، فإنّما يعود إلى ظروف وملابسات تأريخية، وإذا رجعنا إلى استقصاء طبيعة الأشياء في مجال جمع القرآن، ألفينا أنّه من غير المعقول أن يترك النّبي صلى الله عليه وآله هذه المهمّة الكبيرة، بينما نجده يهتمّ بدقائق الأُمور المرتبطة بالرسالة. [3].

أما إذا بقي البحث ملتزم ومتعبد فقط بما تنقله الروايات من أخبار؛ سوف

---

١ ـ الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الامثل، ج٨ ص١٦. وينظر: بحوث في علوم القرآن: محمد باقر الصدر، ٩٦.

٢ ـ ظ:البيان في تفسير القرآن: للسيد الخوئي، ص٢١٦.

٣ ـ ظ: الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الامثل : ج١ ص٢٠.

لا يصل إلى نتيجة معقولة، فهناك مجموعة ظروف وخصائص، موضوعية وذاتية يؤمن المتتبع من خلالها بضرورة قيام النبي صلى الله عليه وآله بجمع القرآن في عهده، فمن تلك الظروف والخصائص الموضوعية:

١ ـ إنّ القرآن الكريم يعدّ الدستور الأساسي للأمة الإسلامية وهو يشكّل حجر الأساس الذي يقوم عليه كيان الأمة العقيدي والتشريعي والثقافي.

٢ ـ عكف المسلمون منذ البدء على حفظ القرآن واستظهاره انطلاقاً من نظرتهم إلى القرآن الكريم وشعوراً بالأهمية التي يحتلها في حياتهم الاجتماعية.

٣ ـ كان الرسول صلى الله عليه وآله يعيش مع الأمة في آمالها وآلامها مدركاً لحاجاتها وواعياً للمسؤولية العظيمة التي تفرضها طبيعة الظروف المحيطة بتكوينها والاخطار التي تتهددها.[١].

٤ ـ إنّ القرآن وُصف بأوصاف خاصّة (كالإعجاز وارتفاع الاختلاف والهداية والنورية والذكرية والهيمنة على سائر الكتب السماوية إلى غير ذلك)، فلو كان تغيّر في شيء من هذه الأوصاف بزيادة أو نقيصة أو تغيير في لفظ أو ترتيب مؤثّر لفقَدَ آثار تلك الصفة قطعاً، لكنّا نجد القرآن الذي بأيدينا واجداً لآثار تلك الصفات المعدودة على أتمّ ما يمكن وأحسن ما يكون، فلم يقع فيه تحريف يسلبه شيئاً من صفاته[٢].

٥ ـ إنّ الكتابة كانت ميسرة في عهد النبي صلى الله عليه وآله، إذ لا تعني هذه الإمكانات حينئذ إلا وجود أشخاص قادرين على الكتابة[٣] من ذلك أن أشخاصاً كانوا

---

١ ـ الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، ص ٩٩-١٠٠.

٢ ـ الطباطبائي، تفسير الميزان ،ج ١٢ ص ١٠٤ ـ ١٠٧

٣ ـ الكوراني، تدوين القرآن، ص٢٣٢.

يكتبون حديث النبي ﷺ قال وهب بن منبه عن أخيه: «سمعت أبا هريرة يقول: ما من أصحاب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنّه كان يكتب ولا أكتب»[1].

٥ ـ تحدي القرآن لمن يأتي بمثله يجعل من الضروري جمعه لكي لا تختلط على الناس المحاولات التي أبداها البشر لتقليد القرآن ومحاكاته ببعض الكلام.

٦ ـ الإخلاص للقرآن الكريم وأهدافه، لا يمكن أن نجد من يشك في توفره لدى النبي ﷺ مهما بلغ ذلك الشخص من التطرف في الشك والتفكير؛ لأنّ القرآن معجزته وبرهان دعوته الذي به تحدى المشركين وهو على هذا الإيمان بالقرآن لابدّ وأن يحرص على حفاظه ويكون مخلصاً في ذلك أبعد الاخلاص.

وهذه العناصر الستة ممكن أن ننطلق ونتجه منها إلى اليقين بأنّ القرآن الكريم قد تم جمعه وتدوينه في زمن الرسول ﷺ؛ لأن أهمية القرآن الذاتية مع وجود الخطر عليه والشعور بهذا الخطر وتوفر أدوات التدوين والكتابة ثم الإخلاص للقرآن حين تجتمع لا يبقى مجال للشك بتدوين القرآن في عهد رسول اللّه وكتابته في زمانه[2].

أدلة هذا الاتجاه:

أولاً ـ الروايات:

فقد حاولت أكثر روايات جمع القرآن، أن تثبت أنه لم يكن مجموعاً كله في كتاب واحد (مصحف) من عهد النبي ﷺ وأنه كان موزعاً سوراً وآيات مكتوبةً

---

١ ـ صحيح البخاري: ج ١، ص٥٤، رقم الحديث١١٣، باب كتابة العلم.
٢ ـ ظ: الحكيم: محمد باقر ،علوم القرآن:، ص ٩٩-١٠٠.

عند هذا وذاك على (العسب والرقاع واللخاف وصدور الرجال) كما يقول زيد بن ثابت في رواية البخاري. غير أنّ المتتبع في مصادر الحديث والتاريخ يجزم بأن القرآن كان مجموعاً في مصحف من عهد النبي صلى الله عليه وآله وان نُسَخَهُ كانت موجودةً في بيت النبي صلى الله عليه وآله، وفي مسجده، وعند كثيرين كما كان محفوظاً في صدور العديد من الصحابة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وغيرهم[1].

فهناك طائفة كبيرة من الروايات المتظافرة التي تدلّ على المطلب، ففي رواية «عن عثمان بن عبدالله بن أوس الثقفي عن جده أوس بن حذيفة قال: كنت في الوفد الذين أتوا النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أسلموا من ثقيف ... فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم حين أصبحنا قال قلنا كيف تحزّبون القرآن؟ قالوا: نحزّبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة وحزب المفصّل من قاف حتى يختم»[2].

إذ لم يكن آنذاك تقسيم القرآن أجزاءً كما اليوم، وإنما يقسمونه إلى أحزاب ـ كما هو الواضح من الحديث ـ فهذا الحديث واضح الدلالة بأنّ القرآن مجموع لتمامه بحضرة الرسول الأكرم صلى الله عليه [وآله] وسلم ومتداول لدى أصحاب الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم لأنه إذا جُمعت عدد السور التي في الحديث ـ ثَلاثَ سُوَرٍ وَخَمْسَ سُوَرٍ وَسَبْعَ سُوَرٍ وَتِسْعَ سُوَرٍ وَإِحْدَى عَشْرَةَ سُورَةً وَثَلاثَ عَشْرَةَ سُورَةً ـ يكون المجموع ثمان وأربعين سورة. وسورة قاف تعدادها في المصحف الذي بين ايدينا اليوم، هوالخمسون. فتكون السور بمجموعها إلى حد

---

١ ـ ظ: الكوراني، تدوين القرآن، ص٢٣١.

٢ ـ مسند أحمد بن حنبل، ج٤، ص٩، رقم الحديث ١٦٢١١، باب حديث أوس بن أبي أوس الثقفي. وجاء بنفس المعنى في سنن بن ماجة، ج١، ص٤٢٧، رقم الحديث ١٣٤٥، باب في كم يستحب بختم القرآن. وفي مجمع الزوائد للهيثمي، ج٢، ص٥٤٩، رقم الحديث ٣٦١٨.

سورة قاف احزابٌ متعددة. وسورة قاف وما بعدها لتمام القرآن حزب واحد ـ بحسب صريح الحديث (وَحِزْبَ الْمُفَصَّلِ مِنْ قَافْ حَتَّى يُخْتَمَ) ـ و(الختم): تعني قفل الشيء بعد بلوغ نهايته وتمامه بأن لا يدخل إليه شيء ولايخرج منه، كما جاء ذلك في معاجم اللغة، قال أَبو إِسحق: معنى خَتَمَ وطَبَعَ في اللغة واحدٌ وهو التغطية على الشيء والاستِيثاقُ من أَن لا يَدخله شيء، كما قال جلّ وعلا ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[1]. والمفصّل: من القرآن يبدأ من سورة (ق) وسمي بالمفصل لقصر سوره وقرب انفصال بعضهن من بعض[2] وبعبارة أخرى إنه يعني «أواخر القرآن وسُمي بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة... والمفصل ثلاثة أقسام: طوال وأوساط وقصار؛ فطواله من أول الحجرات إلى سورة البروج، وأوساطه من سورة (الطارق) إلى سورة (لم يكن)، وقصاره من(زلزلت) إلى آخر القرآن»[3].

وحديث صريح يدل على تمامية وجاهزية القرآن الكريم أيام النبي «عن أنس، رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: إن الله أعطاني السبع مكان التوراة، وأعطاني الراءات مكان الإنجيل، وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصّل، ما قرأهن نبي من قبلي»[4] لكنه يبقى الفرق إلى حدٍّ سورة قاف، سورة واحدة لم تحسب كرقم؛ قد يكون من المحتمل كأطروحة، انهم لم يحسبوا ـ بلغة الارقام فقط ـ سورة براءة لأنها لا تبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه

---

١ ـ ظ: بن منظور، لسان العرب، ج١٢ ص١٦٣، مادة ختم. وينظر: الزَّبيدي، مرتضى، تاج العروس، ج٣٢، ص٤١، مادة ختم.

٢ ـ ظ: صحيح البخاري، ج٤، ص٤٧٠٧، باب تأليف القرآن.

٣ ـ تاريخ نزول القرآن الكريم: الاستاذ الدكتور محمد رأفت سعيد، ص٦٤.

٤ ـ السيوطي، جامع الأحاديث، ٤٦٢/٧ قرص المكتبة الشاملة، وكنز العمال، ج١، ص٥٧٢.

[وآله] وسلم لاَ يَعْرِفُ فَصْلَ السُّورَةِ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»[1].

واستدلّ الشيخ الكوراني بما اشتهر من كتابة المصحف كاملاً على عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قال: إن الرجل المسلم كان يأتي بالورق إلى النبي صلى الله عليه وآله فيأمر النبي الصحابة فينسخوا له القرآن فقد روى البيهقي (٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ) في سننه: «عن ابن عباس قال كانت المصاحف لا تباع، كان الرجل يأتي بورقه عند النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فيقوم الرجل فيحتسب فيكتب، ثم يقوم آخر فيكتب، حتى يفرغ من المصحف»[2] فقد كان الورق موجوداً، اذن فأين ما تصوره الروايات من انعدام الورق، وان وسائل الكتابة كانت على الاحجار الرقاق والعظام والخشب[3]؟

ويدل عليه ايضاً، ما روته مصادر الإمامية عن الامام جعفر الصادق عليه السلام عن مكان المصحف، فقد روى الكليني في الكافي «عن روح بن عبد الرحيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن شراء المصاحف وبيعها فقال: إنما كان يوضع الورق عند المنبر وكان ما بين المنبر والحائط قدر ما تمر الشاة أو رجل منحرف قال: فكان الرجل يأتي ويكتب من ذلك ثم إنّهم اشتروا بعد ذلك قلت: فما ترى في ذلك؟ قال لي: اشتري أحبّ إليّ من أن أبيعه، قلت: فما ترى أن أعطي على كتابته أجراً؟ قال: لا بأس ولكن هكذا كانوا يصنعون»[4].

وروى مسلم (٢٠٦ ـ ٢٦١هـ) في صحيحه أنّه كان يوجد مكان في مسجد

---

١ ـ سنن ابي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ج١ ص٢٨٨.
٢ ـ سنن البيهقي: ج ٦ ص ١٦
٣ ـ ظ: تدوين القرآن: الشيخ علي الكوراني، ص٢٣٨.
٤ ـ الكليني: الكافي: ج ٥ ص ٧٢، باب بيع المصاحف.

النبي ﷺ يسمى (مكان المصحف) وهو مؤيد لما تقدم، ولما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام ففي الصحيح «عن يزيد يعني ابن ابي عبيد عن سلمة وهو ابن الاكوع أنّه كان يتحرى موضع مكان المصحف يسبّح فيه، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم كان يتحرى ذلك المكان، وكان بين المنبر والقبلة قدر ممر الشاة»[1].

ثانياً ـ جُمّاع القرآن:

إنّ القرآن كان مجموعاً في عهد النبي ﷺ وإنّ جامعيه كانوا من الكثرة بحيث يعدون تارة، ويخصصون تارة أخرى، ولا يحاط بهم سواهم؛ فيدلّ عليه طائفة الروايات والدلائل والبراهين لإثباته وجملة كبيرة من الاصحاب الذين جمعوا القرآن الكريم: [2].

١. في البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ)، أنّ من جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة، فعن قتادة «قال سألت أنس بن مالك من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ؟ قال أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد»[3].

٢. «مات النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبوالدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد»[4].

---

١ ـ صحيح مسلم: ج ٢ ص ٥٩، رقم الحديث ١١٦٣، باب دُنوِّ الْمُصَلِّى مِنَ السُّتْرَةِ.
٢ ـ ظ: الصغير، د. محمد حسين علي تاريخ القرآن: ص ٦٥ ـ ٦٦ ـ ٦٨.
٣ ـ صحيح البخاري: ج٤، ص١٩١٣، باب القراء من اصحاب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم.
٤ ـ م. ن: نفس الصفحة، رقم الحديث ٤٧١٨. وأخرجه: الطبراني، المعجم الأوسط، ج٧، ص ٣٦٢.

٣. وجاء في الطبقات الكبرى «أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب وهشام عن محمد قال: جمع القرآن على عهد رسول الله، صلى الله عليه [وآله] وسلم أربعة: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد. قال: واختلفوا في رجلين، فقال بعضهم: عثمان وتميم الداري، وقال بعضهم: عثمان وأبو الدرداء»[١] وأورده البيهقي في كتاب (المدخل) عن طريق ابن سيرين[٢].

٤. وذكر ابن عساكر (٤٩٩ ـ ٥٧١ هـ) في تاريخه «عن الشعبي، جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة: أُبيّ، وزيد، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، ومجمع بن جارية وقد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة. قال : ولم يجمعه أحد من الخلفاء من أصحاب محمد غير عثمان»[٣].

٥. وجمع على عهد النبي صلى الله عليه وآله بعض من الصحابة القرآن كله، وبعض منهم جمع القرآن، ثم أكمله بعد النبي صلى الله عليه وآله ، وذكر محمد بن إسحاق في الفهرست «إن الجمّاع للقرآن على عهد النبي صلى الله عليه وآله هم: علي بي أبي طالب عليه السلام وسعد بن عبيد بن النعمان، وأبو الدرداء، عويمر بن زيد، ومعاذ بن جبل بن أوس، وأبوزيد ثابت بن زيد، وأبي بن كعب، وعبيد ابن معاوية، وزيد بن ثابت»[٤].

٦. «وذكر الحافظ شمس الدين الذهبي، أن الأعداد المتقدمة هم الذين عرضوه على النبي صلى الله عليه وآله واتصلت بنا أسانيدهم، وأما من جمعه منهم، ولم يتصل بنا فكثير. وأما الذين عرضوا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله فسبعة: عثمان بن عفان، وعلي

---

١ ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد، ج٢، ص٣٥٦.

٢ ـ ظ: الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان : ج١ ص٢٤١ ـ ٢٤٢.

٣ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٩، ص١٧٩. وينظر: الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان : ج١ ص٢٤١.

٤ ـ الزنجاني، تأريخ القرآن : ص ٤٦ .

ابن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وأبو الدرداء، وقد أكد الحافظ الذهبي نفسه الجمع في عهد النبي صلى الله عليه وآله فقال: وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة، كمعاذ بن جبل، وأبي زيد، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمر، وعقبة بن عامر» [1].

٧. «روى الخوارزمي في مناقبه عن علي بن رباح، قال: جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي بن كعب» [2].

٨. أخرج بن أبي داود عن طريق محمد بن كعب القرظي، قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبوالدرداء، وأبوأيوب الأنصاري»[3] قال بن حجر: وَإِسْنَاده حَسَن مَعَ إِرْسَاله[4].

٩. قال الحارث المحاسبي، فيما أكده الزركشي «وأما أُبيّ بن كعب، وعبدالله ابن مسعود، ومعاذ بن جبل فبغير شك جمعوا القرآن والدلائل عليه متظاهرة»[5].

١٠. «عن الشعبي قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ستة نفر من الأنصار أبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وأبوالدرداء وسعيد بن عبيد وأبو زيد وكان مجمع ابن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة»[6].

---

١ ـ الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان : ص ٢٤٢ وما بعدها.
٢ ـ الزنجاني، تأريخ القرآن : ٤٧
٣ ـ السيوطي، الاتقان : ج١، ص٢٠٢.
٤ ـ العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص٥٣.
٥ ـ الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان: ج١ ص٢٣٩.
٦ ـ المتقي الهندي: كنز العمال، ج٢، ص٥٨٩.

١١. وذكر ابن أبي داود فيمن جمع القرآن« قيس بن أبي صعصعة، وهو خزرجي يكنّى أبا زيد»[١].

١٢. قال أبو أحمد العسكري : «لم يجمع القرآن من الأوس غير سعد بن عبيد. وقال ابن حبيب في المحبّر: سعد بن عبيد أحد من جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وآله »[٢].

١٣. قال السيوطي : «ظفرت بامرأة من الصحابيات جمعت القرآن، ولم يعدها أحد ممن تكلم في ذلك، فأخرج ابن سعد في الطبقات: أنبأنا الفضل بن دكين، قال حدثنا: الوليد بن عبد الله بن جميع، قال: حدثتني جدتي أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يزورها، ويسميها الشهيدة وكانت قد جمعت القرآن...»[٣].

ولابدَ أن يكون المراد من الجمع في هذه الروايات(التدوين) وإلا، فلا يُعقل أن يكون عدد الحفاظ هذا العدد المحدود. إذن فمن الضروري أن نلتزم بأن القرآن الكريم قد تم جمعه وتدوينه زمن الرسول الله صلى الله عليه وآله بشكل كامل متقن يمنع من تسرب التشويه والتزوير إليه[٤].

ولعل قائلاً يقول: بأن المراد من الجمع في هذه الروايات هو الجمع في الصدور لا التدوين الموحد الجامع، وهذا القول دعوى لا شاهد عليها، أضف إلى ذلك أن حُفاظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا أكثر من أن تحصى أسماؤهم،

---

١ ـ السيوطي: الاتقان ج١، ص٢٠٢.
٢ ـ ن . م : ج١، ص٢٠٢.
٣ ـ ن . م : ج١، ص٢٠٢.
٤ ـ الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، ص١٠٥.

فكيف يمكن حصرهم في أربعة أو ستة؟ !! وإن المتصفح لاحوال الصحابة، وأحوال النبي صلى الله عليه وآله يحصل له العلم اليقين بأن القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأن عدد الجامعين له لا يستهان به وأما ما تقدم في ما رواه البخاري عن أنس، قال: مات النبي صلى الله عليه وآله ولم يجمع القرآن غير أربعة، فهو مردود مطروح؛ لأنه معارض للروايات المتقدمة ويضاف إلى ذلك أنه غير قابل للتصديق به. وكيف يمكن أن يحيط الراوي بجميع أفراد المسلمين حين وفاة النبي صلى الله عليه وآله على كثرتهم، وتفرقهم في البلاد، ويستعلم أحوالهم ليمكنه أن يحصر الجامعين للقرآن في أربعة، وهذه الدعوى تخرص بالغيب، وقولٌ بغير علم[1].

نتيجـة:

فـ «هذه الجملة من الروايات بضم بعضها إلى بعض تبرز لنا طائفة كبيرة من أعلام المهاجرين والأنصار قد جمعت القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وليس من المرجح أن يكون هؤلاء الرواة جميعاً مع اختلاف عصورهم قد تواطئوا على الكذب، فأوردوا ذكر هذه الجمهرة من الصحابة ممن جمعوا القرآن، ولا منازع لهم في ذلك، بل ولا مناقش من الأعلام. وأنت ترى أن هذه الروايات تدل دلالة قاطعة على الجمع المتعارف، وهو التدوين في مجموع، وقد يحلو للبعض أن يفسر الجمع بالحفظ في الصدور، ولا دلالة لغوية عليه، إذ إنه انتقال باللفظ عن الأصل إلى سواه دون قرينة تعرف عن المعنى الأول، ولأنه معارض بجمهور الحفظة الذين لا يعدون في عهد النبي صلى الله عليه وآله كثرة وتواتراً وشيوعاً، من النساء والرجال وفيهم الخلفاء الأربعة وأمهات المؤمنين وذرية رسول الله صلى الله عليه وآله عدا آلاف المسلمين في

---

١ ـ البيان: للسيد الخوئي، ص٢٥١.

طول البلاد وعرضها»[1].

ثالثاً ـ كلام السيد المرتضى ومناقشته:

ذكر السيد الأجل المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ) في كتابه الموضح عن وجه إعجاز القرآن:

«إن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وإنه كان يعرض على النبي ﷺ ويتلى عليه، وإن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وغيرهما، ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث»[2].

وقد أُورد على كلام السيد المرتضى: «أوّلاً: بأنّ القرآن نزل نجوماً، وتمّ بتمام عمره ﷺ فإن صحّ ما نقله فالمراد درس ما كان عنده من السور.

وثانياً: بأنّ قعود أمير المؤمنين عليه السلام في بيته بعده ﷺ لجمع القرآن وتأليفه خوفاً من ضياعه ممّا لا يقبل الإنكار بعد استفاضة الأخبار بذلك، وكيف يجتمع هذا مع كونه مجموعاً مؤلَّفاً مرتّباً متداولاً بين الصحابة في حياته.

وثالثاً: بما ملخّصه أنّ ما نقله من أنّ ابن مسعود، وأُبيّ وغيرهما ... فإنّما هو من خبر ضعيف، رواه المخالفون، ثمّ ذكر طائفة من الروايات المتقدّمة الدالّة

---

١ ـ تَاريخ القُرآنِ : الدكتور محمد حسين علي الصغير: ص٧١.

٢ ـ الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص١٥.

على أنّ الجمع وقع في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله»[1].

وأُجيب عن ذلك بما يأتي: أمّا عن الإيراد على السيّد المرتضى، إنّ نزول القرآن نجوماً وتمامّيته بتمام عمره الشريف، لا ينافي ما أفاده السيّد المرتضى بوجه، ولاسيما بعد ملاحظة أنّ القرآن كان من حين نزوله متّصفاً بأنّه المعجزة الوحيدة الخالدة التي يتوقّف أساس الدين، وأصل الشريعة على بقائها ووجودها بين الناس، كما نزلت إلى يوم القيامة.

وإن مصحف أمير المؤمنين عليه السلام وامتيازه عن المصحف المعروف لا يتفاوت معه في شيء يرجع إلى أصل القرآن وآياته أصلاً، وأما ما نقله من أنّ ابن مسعود وأُبيّ وغيرهما، ختموا القرآن، لم يكن الاعتماد فيه على ضعاف الأخبار العامّية، بل على الأمر المعروف بين المسلمين من وجود مصحف لكلّ واحد منهم، وظهور كون جمعهم في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وعصره[2].

وللدلالة في أنّ النبي صلى الله عليه وآله جمع القرآن قبل وفاته؛ ذكر (ابن طاووس ت٦٦٤ هـ) كلام (البلخي)[*] وانكاره قول مَن قال: إنّ القرآن جمعه أبو بكر وعثمان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله فقال البلخي في إنكار ذلك ما هذا لفظه: وأمّا الذي يدلّ على إبطال قول مَن يدّعي الزيادة والنقصان وأنّ النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم لم يجمعه حتّى جمعه أصحابه بعده، وإنّي لاعجب من أن يقبل المؤمنون قول مَن زعم أنّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ترك القرآن ـ الّذي هو حجّته على أمّته

---

١ ـ ظ: اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير:، ٢٩٨-٢٩٩.

٢ ـ ظ: م .ن : ص٣٠٠.

* ـ البلخي: عبدالله بن أحمد بن محمود المعروف بأبي القاسم البلخي، الّذي سمّى تفسيره جامع علم القرآن. ظ: سعد السعود للنفوس، تاليف: رضي الدين بن الطاووس، ص٤٢٢.

والّذي تقوم به دعوته والفرائض الّتي جاء بها من عند ربّه وبه يصحّ دينه الذي بعثه الله داعياً إليه مفرّقاً في قطع الخرق ولم يجمعه ولم يصنه ولم يحفظه ولم يحكم الأمر في قراءته وما يجوز من الاختلاف فيها وما لا يجوز وفي إعرابه ومقداره وتأليف سوره وآيه، هذا لا يُتوهّم على رجل من عامّة المسلمين فكيف برسول رب العالمين[1].

رابعاً ـ دلالة ترتيب الآيات:

ثمّة أدلّة أخرى تؤيّد حقيقة جمع القرآن بالترتيب الذي بأيدينا اليوم في عصر الرّسول صلى الله عليه [وآله] وسلم وبأمره منها: [2].

١ ـ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم نؤلف القرآن من الرقاع، قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وفيه البيان الواضح: أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد جمع بعضه بحضرة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم [3] .

لكن السيد الخوئي يؤكد بأن «فيه الدليل الواضح : إن القرآن إنما جمع على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله»[4] ودلالة التأليف، تعني الجمع والتدوين، وضم شيء إلى شيء، ليصح أن يطلق عليه اسم التأليف، ولا دليل على إدعاء البعض ومنهم الزركشي، بأن بعض القرآن جُمع بحضرة النبي صلى الله عليه وآله، فلِمَ لا يكون كل القرآن

---

١ ـ ظ: سعد السعود للنفوس، لابن طاووس، ص٤٢٣.
٢ ـ الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الامثل:، ج١ ص١٩.
٣ ـ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين بتعليق الذهبي، ج٢، ص٢٤٩.
٤ ـ البيان: للسيد الخوئي، ص٢٥٤، ظ: الامثل، ناصر مكارم الشيرازي، ج١ ص١٩.

جُمع في حضرة النبي ﷺ علماً بأنه قد سبقه من صرح بجمع القرآن كله لا بعضه في عهد النبي ﷺ، بما نصه[1] «أنه لم يكن يجمع القرآن كله إلا نفر يسير من أصحاب الرسول ﷺ»[2].

٢ ـ والذي يدل على جمعه وتأليفه في عهده ﷺ مارواه جماعة، منهم ابن أبي شيبة وأحمد بن حنبل[3] (١٦٤ ـ ٢٤١هـ) والترمذي[4] (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ) والنسائي (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ) والبيهقي[5] (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ) وابن حبان (ت٣٥٤هـ) والحاكم[6] (٢٨٥ ـ ٣٧٨هـ) عن ابن عباس «قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الانفال وهي من المثاني، وإلى براءة، وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم؟ ووضعتموهما في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه السورة ذات العدد، وكان إذا نزل عليه الشئ يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وتنزل عليه الآيات فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الانفال من أول ما أنزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، وقبض رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: (بسم

---

١ ـ ظ: الصغير، الدكتور محمد حسين، تَارِيخ القُرآنِ، ص٧٢.
٢ ـ مقدمتان في علوم القرآن: ٢٥.
٣ ـ (مسند احمد، ج١، ص٥٧.
٤ ـ سنن الترمذي، ج٥، ص٢٧٢.
٥ ـ البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، ج٢، ص٤٢.
٦ ـ الحاكم، المستدرل على الصحيحين بتعليق الذهبي، ج٢، ص٢٤١.

الله الرحمن الرحيم) ووضعتهما في السبع الطوال»[1].

٣ ـ تسمية سورة الفاتحة بهذا الاسم (الفاتحة)، فتكون هذه التسمية من الشواهد على أن جمع القرآن في مصحف كان في عصر النبي صلى الله عليه وآله وأنها كانت بداية ذلك المصحف المجموع في عصره، بناء على ما روي عنه صلى الله عليه وآله من التسمية المذكورة[2].

٤ ـ ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً» قد نسخها الآية الأخرى فلِمَ تكتبها أوتدعها، قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه[3].

٥ ـ ما رواه مسلم عن عمر قال ما سألت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلمعن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بأصبعه في صدري وقال: تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء[4].

٦ ـ ما أخرجه احمد بإسناد حسن بن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى» إلى آخرها[5].

---

١ ـ ابن ابي داود، المصاحف، ج٢، ص٣١. ومسند أحمد، ج١، ص٦٩، الحديث،٤٩٩، مسند عثمان بن عفان.

٢ ـ الحكيم، السيد رياض، مراجعات قرآنية، ص١١.

٣ ـ الاتقان: للسيوطي ،ص٦٢.

٤ ـ ن . م: الصفحة نفسها.

٥ ـ ن . م: الصفحة نفسها.

وعقّب العلامة الطباطبائي على الرواية قائلاً: أما رواية عثمان بن أبي العاص، فلا تدل على أزيد من فعله صلى الله عليه وآله في بعض الآيات في الجملة لا بالجملة[1]. الا انه يمكن ان يقال حول تعقيب الطباطبائي: إن رواية عثمان بن أبي العاص وإن كانت بظاهرها لا تدل على العموم والشمول، إلا ان يستفاد منها ذلك بعد ملاحظة أنه لاخصوصية لموردها، خصوصاً بعدما ذُكر من الروايات والجهات التي ترجع إلى كون الآيات مرتبة في عهده وبيده صلى الله عليه وآله[2].

«والروايات الدالة على ان النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين إنما كانوا يعلمون تمام السورة بنزول البسملة، لا تنافي صدور الأمر أحياناً بوضع آية كذا في السورة الفلانية، فإن كون العلم بتمام السورة متوقفاً على نزول البسملة لا دلالة فيه على عدم إمكان وضع آية فيها بأمر من جبرئيل أصلاً»[3].

خامساً ـ قراءة القرآن وختمه وكتابته:

قراءة القرآن كلّه، وختمه، في عهد رسول الله تنطق بوجود جمعي له، إذ كيف يقرأ فيه من لم يحصل عليه[4].

١. «عن عبدالله بن عمرو إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم بابنٍ له فقال : يا رسول الله ان ابني هذا يقرأ المصحف بالنهار ويبيت بالليل، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه [وآله] وسلم مَا تَنْقِمُ أَنَّ ابْنَكَ يَظَلُّ ذَاكِرًا وَيَبِيتُ سَالِمًا»[5].

---

١ ـ الطباطبائي، الميزان، ج١٢، ص١٢٥، تفسير سورة الحجر، آية ١-٩.
٢ ـ ظ: الحيدري، السيد كمال صيانة القرآن من التحريف، ص ١٢٧-١٢٨.
٣ ـ ن . م: ص ١٢٨.
٤ ـ ظ: الصغير، د محمد حسين، تَاريخ القُرآنِ، ص٧٣.
٥ ـ مسند احمد، ج٢ ص١٧٣.

٢. «عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: سبعة يجري للعبد أجرهن من بعد موته وهو في قبره: من علم علماً أو كرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته»[١].

٣. «عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي عن جده قال: قال صلى الله عليه [وآله] وسلم: قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة وقراءته في المصحف تضاعف على ذلك ألفي درجة»[٢].

٤. «وعن أبي ملكية قال: كان عكرمة بن أبي جهل يأخذ المصحف فيضعه على وجهه ويبكي ويقول : كلام ربي كلام ربي»[٣].

٥. «عن عثمان بن أبي العاص قال: قدمت في وفد ثقيف حين قدموا على صلى الله عليه [وآله] وسلم... فدخلت على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فسألته مصحفاً كان عنده فأعطانيه»[٤].

٦. «عن عبد الله بن عمرو، قال: قلت يا رسول الله، في كم أقرأ القرآن؟ قال اختمه في شهر، قلت إني أطيق أفضل من ذلك، قال: اختمه في عشرين، قلت إني اطيق أفضل من ذلك، قال: اختمه في خمس عشرة، قلت إني أطيق أفضل من ذلك، قال: اختمه في عشر. قلت إني أطيق أفضل من ذلك، قال: إختمه في خمس،

---

١ ـ مجمع الزوائد: الهيثمي:ج١ ص٤٠٩. وحلية الأولياء للأصبهاني، ج٢، ص٣٤٤. وشعب الايمان للبيهقي، ج٣، ص٢٤٨.

٢ ـ مجمع الزوائد: الهيثمي: ج٧ ص٣٤٣.

٣ ـ الحاكم، المستدرك على الصحيحين بتعليق الذهبي، ج٣، ٢٧١. مجمع الزوائد للهيثمي، ج٩ ٦٤٣.

٤ ـ مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩ ص٦٢٠.

قلت إني أطيق أفضل من ذلك ...»[1].

٧. وروي «عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال صلى الله عليه [وآله] وسلم: لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»[2] فأي قرآن يشير إليه النبيﷺ إن لم يكن مجموعاً ومتداولاً بما تتيسر قرائته عند المسلمين[3].

ومن الأدلة على أنّ القرآن كان مجموعاً من عهد النبي ﷺ، أنّ الكتابة كانت ميسرة في عهد النبي ﷺ بل وقبله، خاصة في المدن وترد ادعاء الباقلاني وغيره بأن الكتابة لم تكن متيسرة في عهد النبي ﷺ وعهد الخليفتين أبي بكر وعمر[4].

وقوله تعالى (الذي علّم بالقلم) والمعنى إنه تعالى امْتَنّ على خلقه بما علمهم من كيفية الكتابة بالقلم، لما في ذلك من كثرة الانتفاع لخلقه، فقد نوه الله بذكر القلم إذ ذكره في كتابه[5]. ومن ذلك: أنّ النبي ﷺ أول من دوّن الدواوين، فقد كان عند النبي ديوان فيه أسماء كلّ المسلمين، وديوان فيه اسماء المجاهدين[6].

وجاء «عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس، فكتبنا له الفاً

---

١ ـ سنن الترمذي، ج٥، ص١٩٦، رقم الحديث، ٢٩٤٦. وجاء بلفظ آخر في سنن أبي داود، ج١، ص٥٢٧، (باب فى كَمْ يُقْرَأ الْقُرْآن). وكذا في مسند أحمد، ج٢، ص١٦٥، رقم الحديث ٦٥٤٦، مسند عبد الله بن عمرو.

٢ ـ السنن الكبرى للنسائي، ج٥، ص٢٥. وسنن الترمذي، ج٥، ص١٩٦، رقم الحديث٢٩٤٦.وسنن ابن ماجه، ج١، ص٤٢٨، رقم الحديث١٣٤٧، باب في كم يستحب بختم القرآن.

٣ ـ ظ: الصغير، د محمد حسين، تَارِيخ القُرآنِ،: ص٧٣.

٤ ـ ظ: الكوراني، تدوين القرآن، ص٢٣٢.

٥ ـ ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن،ج١٠ ص٣٦٤.

٦ ـ الكوراني، تدوين القرآن، ص ٢٣٢.

وخمسمائة رجل»[1] واستشهد السيد هاشم الموسوي برواية إسلام الخليفة الثاني عمر، على تدوين القرآن وجمعه وتداوله بين المسلمين، فجاء إن عمر هاجم بيت اخته وزوجها، وهما يقرءان القرآن، فضربهما، فقالت له أخته: «وإن كان الحق في غير دينك أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فقال عمر: أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه، وكان عمر يقرأ الكتاب، فقالت أخته: إنك رجس، وإنه لا يمسّه إلا المطهرون فقم واغتسل أو توضأ، فقام فتوضأ، ثم أخذ الكتاب، فقرأ ﴿ طه ﴾ حتى انتهى إلى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾[2].

ودراسة هذه الوثيقة تؤكد أنّ الرسول ﷺ كان يدوّن القرآن من بدء الدعوة في مكة المكرمة. وذلك واضح في عبارتي (معه صحيفة فيها طه) وعبارة (واعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه) فحوادث هذه الوثيقة، كما يذكر المؤرخون، كانت في المرحلة السرية، وكما تشير الحادثة ذاتها إلى ذلك، مما يكشف المشروع النبوي لتدوين القرآن وجمعه مدوناً، اضافة إلى جمعه في صدور الحفاظ، كما ذكر[3].

«وروايات تعدد ترتيب المصاحف تدل ايضاً على ان اكثر من صحابي كان قد جمع القرآن مدوناً في مصحف واحد»[4] إذ لو لم يكن هناك جمع بالمعنى المتبادر إليه، لما كانت تلك المصاحف أصلاً، إن وجودها نفسه هو دليل الجمع، وجمع

---

١ ـ صحيح البخاري: ج٣، ص١١١٤، باب كتابة الامام للناس.

٢ ـ البيهقي: السنن الكبرى، ج١، ص٨٨.

٣ ـ ظ: الموسوي، السيد هاشم، القرآن في مدرسة أهل البيت: ٥/٣ قرص المكتبة الشاملة.

٤ ـ الموسوي، السيد هاشم، القرآن في مدرسة أهل البيت: ١٠/٣ قرص المكتبة الشاملة.

هؤلاء الصحابة للقرآن هو الجمع الذي نقول به، لا الحفظ، وإلا فما معنى تسميتها بالمصاحف؟ وما معنى اختلاف هذه المصاحف فيما تدعي الروايات؛ إذ لم يصدر منع من النبي صلى الله عليه وآله عن جمعه، بل هناك رواية عنه صلى الله عليه وآله تقول[1] «لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، فمن كتب عني غير القرآن فليمحه»[2].

وإذا فرضنا عدم اهتمام المسلمين بجمع القرآن على عهده صلى الله عليه وآله فلماذا لم يهتم بذلك النبي صلى الله عليه وآله بنفسه مع اهتمامه الشديد بأمر القرآن؟ فهل كان غافلاً عن نتائج هذا الإغفال، أو كان غير متمكن من الجمع، لعدم تهيؤ الوسائل عنده؟! ومن الواضح بطلان جميع ذلك[3].

سادساً ـ عليٌ عليه السلام وجمع القرآن:

فقد كان أول من جمع القرآن، أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه[4] وكيف لا يكون كذلك وهو ربيب القرآن، وترعرع في حجر النبوة وحضن الرسالة وهو الوحيد الأوحد الذي يؤدّي ويبلغ القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما في تبليغ سورة براءة، «روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن سماك بن حرب، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث براءة مع أبي بكر إلى أهل مكة، فلما بلغ ذا الحليفة بعث إليه فرده، وقال لا يذهب بها إلا رجل من أهل بيتي، فبعث علياً»[5] وهو القائل: «سَلُوني قبل أن تَفقِدوني، سلوني فما من آية إلا

---

١ ـ ظ: د. الصغير، تَاريخ القُرآنِ: ص٧٢.

٢ ـ مسند احمد، ج٣، ص١٢.

٣ ـ ظ: البيان : السيد الخوئي، ص٢١٦.

٤ ـ ظ: تفسير كنز الدقائق: الميرزا محمد المشهدي ج ١ ص٦.

٥ ـ بحار الأنوار: للمجلسي، ج٢١ ص٢٦٦.

أعلم أبليلٍ نَزلَت أم بنهار، أم في سَهْل أم في جبل»[1].

وفي ما روي عنه عليه السلام : «يا طلحة إن كل آية أنزلها الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وآله عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي وتأويل كل آية أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وآله وكل حلال وحرام أو حد أو حكم أو شئ يحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي حتى أرش الخدش»[2] وكيف يكون باب علم رسول الله ويقف متفرجاً، لايحرك ساكناً امام القرآن وقد امره النبي محمد صلى الله عليه وآله بجمع القرآن وعدم تضييعه، وجاء في الروايات:

١ ـ «عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي صلوات الله عليه: يا علي القرآن خلف فراشي في الصحف الحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيع اليهود التوراة، فانطلق عليٌّ عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه في بيته وقال: لا أرتدي حتى أجمعه، فإنّه عليه السلام كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه»[3] .

وقد كان ذلك في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وكان في بيته القرآن كاملاً بكل سوره وأجزائه ـ بما دل عليه كلمة (إنّ القرآن خلف فراشي) فنفّذ عليٌ عليه السلام الوصية وجمعه بعلم النبي صلى الله عليه وآله ـ كما هو ظاهر الرواية ـ و(الختم) تعني قفل الشيء بعد بلوغ نهايته وتمامه بأن لا يدخل إليه شيء ولايخرج منه، قال أبو إسحق: معنى خَتَمَ وطَبَعَ في اللغة واحدٌ وهو التغطية على الشيء والاستيثاقُ من أن لا يَدخله شيء، كما قال جلّ وعلا ﴿ **أَمْ عَلَى قُلُوْبٍ أَقْفَالُـها** ﴾، والخَتْم أيضاً حفْظُ ما في

---

١ ـ الصاحبي في فقه اللغة، ص١٥١.

٢ ـ الفيض الكاشاني، تفسير الصافي: ج١ ص٤٢.

٣ ـ الحويزى، تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٧٢٦.وينظر: تاريخ القرآن، أبو عبد الله الزنجاني، ص ٤٤.

الكتاب بتَعْليم الطِّينَة. خَتَم الشيء يَخْتِمُه خَتْماً بلغ آخرَه وخَتَم فلان القرآن إذا قرأه إلى آخره[1].

٢ ـ وفي أخبار أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وآله قال في مرضه الذي توفي فيه لعلي بن أبي طالب عليه السلام: يا علي هذا كتاب الله خذه إليك، فجمعه علي عليه السلام في ثوب فمضى إلى منزله، فلما قبض النبي صلى الله عليه وآله جلس علي فألّفه كما أنزل الله، وكان به عالماً[2].

٣ ـ وكذلك روى السدي عن عبد خير عن الإمام علي: « إنه رأى من الناس طيرة عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فأقسم أن لا يضع عن ظهره رداء حتى يجمع القرآن، قال: فجلس في بيته حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن»[3].

٤ ـ وعن الامام عن أبي جعفرمحمد بن علي الباقر أنّه قال لجابر بن يزيد، قال: إسمع وعِ وبلغ حيث انتهت بك راحلتك إن أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس بالمدينة بعد سبعة أيام من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك حين فرغ من جمع القرآن وتأليفه[4].

٥ ـ عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وآله أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلا للجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل[5].

وكانوا يظنون بعدم خروجه من بيته؛ قد كره خلافة أبي بكر «فأرسل إليه

---

١ ـ ظ: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢ ص١٦٣. والزَّبيدي، تاج العروس، ج٣٢، ص٤١، مادة ختم.
٢ ـ ظ: بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي :ج٤٠ ص١٥٩.
٣ ـ ن . م : ج٢٨ ص٢٦٥.
٤ ـ ظ: الكافي: الكليني، ج٨، ص١٤، خطبة الوسيلة.
٥ ـ ظ: بحار الأنوار: ج٢٨، ص٢٠٤-٢٠٥.

أبو بكر بعد أيام: أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله إلا أني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلا لجمعة»[1]، فراسلهم علي أن ليس إلى خروجي حيلة لأني في جمع كتاب الله الذي قد نبذتموه، وألهتكم الدنيا عنه، وقد حلفت أن لا أخرج من بيتي ولا أضع ردائي على عاتقي حتى أجمع القرآن[2].

٦ ـ وجاء في المصاحف في باب تصغير المصاحف، أنه صلولت الله عليه، كان يكره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير[3] .

فهذه الروايات تُنبئ بوضوح أن الإمام علي عليه السلام كان لديه قرآن مجموع على عهد النبي صلى الله عليه وآله أو أنّه دفعه إليه في حياته كاملاً، حيث كان خلف فراشه. وقد ورد في كلمات الإمام عليه السلام في نهج البلاغة بأن الامام كان يتحدث عن القرآن بما هو قرآن للمسلمين جميعاً وانه مجموع كامل، وليس خاصاً به.

١ ـ فمن كلامٍ له عليه السلام في التحكيم «إنّا لم نحكم الرجال وإنما حكّمنا القرآن. وهذا القرآن إنما هو خط مستورٌ بين الدفتين لا ينطق بلسان، ولابد له من ترجمان»[4].

٢ ـ «وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور. وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص»[5].

٣ ـ «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه. ألا إن فيه علم

---

١ ـ ابن أبي داود، المصاحف: ص١٠.

٢ ـ ظ: بحار الأنوار: ج٢٨ ص٢٠٤.

٣ ـ ظ: ابن أبي داود، المصاحف: ص١٣٦.

٤ ـ نهج البلاغة: ج٢ ص٥. وفي هامش الكتاب يذكر ان الدفتين : صفحتان من جلد تحويان ورق المصحف.

٥ ـ نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي، ج١ ص٢١٦.

ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم»[1].

٤ ـ «واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغـش، والهـادي الذي لايضلّ، والمحدث الذي لا يكذب. وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان في عمى. واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم»[2] . فحديث الإمام وكلامه عن القرآن، هل هو عن القرآن الذي تم جمعه من العسب واللخاف والاحجار والعظام وصدورالرجال؟ أم عن القرآن الذي تم جمعه بإشراف الرسول الأكرم وتأليفه اولاً بأول؟ وإلا لما جاز للامام السكوت وهو قطب الوجود على ترك القرآن مهجوراً ضائعاً هنا وهناك، أو السكوت على شيء يمس القرآن بسوء .

وبعد كل هذا يأتي من يقول: «إن علياً لم ينقل عنه مصحف على ما قيل ولا غير ذلك، ولكن قد توجد مصاحف على الوضع العثماني، يقال: إنها بخط علي، رضي الله عنه، وفي ذلك نظر، فإنه في بعضها: كتبه علي بن أبي طالب، وهذا لحن من الكلام؛ وعليٌ رضي الله عنه، من أبعد الناس عن ذلك فإنه كما هو المشهور عنه هو أول من وضع علم النحو»[3].

سابعاً ـ روايات حديث الثقلين:

إضافة إلى جميع ذلك، إن أخبار الثقلين المتظافرة تدلنا على أن القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله، وفي قول النبي صلى الله عليه وآله بطرق متعددة «إني تارك فيكم

---

١ ـ نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي، ج٢ ص٥٤.
٢ ـ ن . م : ج٢ ص٩١.
٣ ـ ابن كثير، تفسيرابن كثير: ج١ ص٣٤.

الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»[1] وفي هذا دلالة على أنه كان مكتوباً مجموعاً، لأنه لا يصح إطلاق الكتاب عليه وهو في الصدور، بل ولا على ما كتب في اللخاف، والعسب، والأكتاف، إلا على نحو المجاز والعناية، والمجاز لا يحمل اللفظ عليه من غير قرينة، فإن لفظ الكتاب ظاهر فيما كان له وجود واحد جمعي، ولا يطلق على المكتوب إذا كان مجزء غير مجتمع، فضلاً عمّا إذا لم يُكتب، وكان محفوظاً في الصدور فقط[2]. بل وفي هذه الروايات دلالة صريحة على تدوين القرآن، وجمعه في زمان النبي صلى الله عليه وآله لأن الكتاب لا يصدق على مجموع المتفرقات، ولا على المحفوظ في الصدور . ـ فإن قوله ـ صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي لا يصح إذا كان بعض القرآن ضائعاً في عصره، فإن المتروك حينئذ يكون بعض الكتاب لا جميعه[3].

«فهل يعني استخلاف الكتاب أن يُترك بين عسب ورقاع وألواح تارة، أو بين أقتاب وأكتاف ولخاف تارة أخرى، أم أن استخلافه له ينبغي أن يكون مجموعاً منظماً صالحاً لمعنى الخلافة»[4].

❊❊❊

---

١ ـ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين بتعليق الذهبي، ج٣، ص١٦٠.وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والمعجم الأوسط للطبراني، ج٤، ص٣٣، رقم الحديث ٣٥٤٢. والمعجم الكبير للطبراني، ج٣، ص٦٥، رقم الحديث٢٦٧٩. ومسند ابن الجعد، ج١، ص٢٧٢، رقم الحديث ٢٨٠٥. ومسند أحمد بن حنبل، ج٣، ص١٧، رقم الحديث ١١١٤٧، مسند أبي سعيد الخدري.

٢ ـ ظ: البيان: للسيد الخوئي، ص٢٥٢ -٢٥٣.

٣ ـ ظ: البيان: للسيد الخوئي، ص٢١٦.

٤ ـ تاريخ القرآن: الدكتور الصغير، ص٧٨.

الفصل الثاني

جمع القرآن الكريم
في المنظور الاستشراقي

المبحث الأول
مصادر المستشرقين في جمع القرآن

توطئة:

من الأهمية بمكان التعرف على المصادر التي استخدمها المستشرقون في باب جمع القرآن، ولا شك كانت مادتهم الأساسية هي من نصوص وروايات التراث الحديثي الإسلامي، وقبل الولوج في كيفية تعامل المستشرقين مع المصادر الإسلامية، من الضروري إلقاء نظرة عامة وسريعة على واقع تلك المصادر؛ ولفت الانتباه لحقيقة، هي واضحةٌ للجميع، وتنبيه من يحاول التغافل عنها، وتوجيه الخطاب تحديداً لشريحة المستشرقين وإيعازهم إن كانوا متناسين ولم يلتفتوا غفلةً أو تعمداً، إلى أن هناك تنوعاً واختلافاً بالمصادر التي يأخذ منها المسلمون أشدّ الاختلاف، وأسباب هذا الاختلاف، فستكون هذه النظرة مقدمة ضرورية، للمطلب الأساس وهو: المصادر المستعملة في جمع القرآن من قبل المستشرقين.

على أساس عدم الولوج كثيراً في غور التفاصيل الفرعية، وإنما الاكتفاء فقط بالإشارة إلى افتراق تلك المصادر، وأنّه لا عصمة لأي كتاب أو مصدر منها إلا القرآن الكريم.

المطلب الأول: المستشرقون والتراث الحديثي الإسلامي:

١ ـ نظرة عامة في واقع المصادر الإسلامية:

هناك حقيقةٌ واضحةٌ وجليةٌ في الواقع الإسلامي وهي: الانقسام والاختلاف في النسيج الإسلامي إلى فئات وفرق متعددة، وعلى رأسها: التقسيم الثنائي (سنةً وشيعةً) ومنها تتفرع مجاميع من الفرق.

وقد أكد القرآن الكريم في آيات كثيرة، على اجتناب الفرقة والاختلاف، كما في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ (آل عمران ١٠٥)، وقوله تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾(آل عمران: ١٠٣)، وذلك إنما هو تلميح إلى أن هذا الأمر ـ التفرق والاختلاف ـ سيقع في المجتمع الإسلامي مستقبلاً؛ لأن القرآن لم يحذر من شيء أو يصرّ على شيء إلا وكان ذلك اشارةً على وقوعه في المستقبل[١].

وهناك من المسلمين من كذب على الرسول وأحدث بعده إذ قال ﷺ عن ابن المسيب أنه كان يحدث : «أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي؟ فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»[٢].

وفي تاريخ الفكر الإسلامي نجد انقساماً بيّناً بعد وفاة النبي ﷺ بين مدرستين متعارضتين، مدرسة الخلفاء بعد الرسول حتى آخر الخلفاء العثمانيين[*]

---

١ ـ ظ: الشِيرازي، نَاصِر مَكارم، تفسير الامثل، ج٢ ص٣٨٣.

٢ ـ صحيح البخاري، ج٥، ص٢٤٠٧، رقم الحديث ٦٢١٤.

* ـ إنما حددنا مدرسة السلطة الحاكمة بآخر الخلفاء العثمانيين ومدرسة أهل البيت بالإمام الثاني =

ومدرسة أئمة أهل البيت حتى الإمام الثاني عشر، ولم يزل الخلاف قائماً بين خريجي المدرستين وأتباعهما من المسلمين ولا يزال كذلك حتى عصرنا الحاضر والى ما شاء الله. وتتفق المدرستان في القرآن الكريم، وتلتزمان بما أحله وحرمه وفرضه وندب إليه، وتختلفان في تأويله وخاصة متشابه آياته أشد الاختلاف، ثم تختلفان في الأمور الثلاثة التالية:

أ ـ عدالة جميع الصحابة.

ب ـ في الإمامة والخلافة وهما من سبل الوصول إلى مصادر الشريعة الإسلامية.

ج ـ في مصادر الشريعة الإسلامية بعد القرآن[1].

وإن البديهية التي يتسالم على الاعتراف بها جميع علماء المسلمين، هي أن المصدر الأساسي في تلقي المعارف الإسلامية وفي فهم الإسلام عقيدةً وتشريعاً وآداباً وأخلاقاً ورؤىً كونيةً ومفاهيم دينية هو القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولكن بالرغم من وحدة المصدر في استلهام الإسلام وفهمه، نجد المسلمين منقسمين إلى فرق ومذاهب وتيارات. ومن المعروف إن العالم الإسلامي منقسمٌ في معالجة هذه المشكلة على قسمين:

قسمٌ يذهب إلى مرجعية العترة من أهل البيت وأولويتهم في نقل السنة النبوية وشرحها وتفسير النص القرآني، وإيضاح ما يحتويه من معارف ورؤى

= عشر من أئمة أهل البيت، لان مدرسة الخلفاء تلتزم بشرعية حكومة الخلفاء بعد النبي وتسميهم بخلفاء النبي، وتلتزم مدرسة أهل البيت بأحقية الأئمة الإثني عشر في الحكم وتسميهم أوصياء النبي، ولهذا سمينا الاولى بمدرسة الخلفاء والثانية بمدرسة أهل البيت. ظ: العسكري، مرتضى، معالم المدرستين، هامش رقم ١، ص٧٧.

١ ـ ظ: معالم المدرستين،: مرتضى العسكري، ص٧٧.

ومفاهيم. وقسمٌ آخر يذهب إلى إيكال هذه المهام إلى الصحابة وإعطائهم الأولوية في ممارسة هذا الدور[1].

قال ابن الأثير في مقدمة أسد الغابة: «... إن السنن التي عليها مدار تفصيل الأحكام ...أولهم والمقدم عليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم؛ فإذا جهلهم الإنسان كان بغيرهم أشد جهلاً، وأعظم إنكاراً، فينبغي أن يعرّفوا بأنسابهم وأحوالهم ... والصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلا في الجرح والتعديل؛ فإنهم كلهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح»[2].

ومن جراء اختلاف الأحاديث اختلف المسلمون في فهم القرآن وتشتتت كلمتهم أبد الدهر، أضف إليه وجودهم في بيئات مختلفة، كل ذلك أدى إلى اختلاف رؤيتهم للإسلام، وبادر بعضهم إلى تأويل الآيات الكريمة والصحيح مما بأيديهم من الحديث الشريف وفقاً لرأيهم ورؤيتهم للإسلام على هذا يكون محل النزاع بالمصدر الثاني من مصدري فهم الإسلام وليس المصدر الأول، أي في السنة النبوية وليس في القرآن الكريم[3].

وهنا السؤال ينبري: بعد هذه الانقسامات والاختلافات بين المسلمين فكراً وعقيدةً وتاريخاً، والاختلاف في طريق تلقي السنة النبوية والمعارف الدينية للقرآن، والسؤال الأساسي هو: هل أن المصادر التي تنقل المعارف الدينية، والتي تأخذ منها كلا المدرستين (مدرسة الخلفاء والصحابة، ومدرسة العترة من أهل البيت) من تفاسير وكتب متون وكتب تراجم وسير ومجموعات حديثية ومصادر

---

١ ـ ظ: معالم الإسلام الاموي: محاضرات السيد كمال الحيدري، بقلم: ابراهيم البصري، ص٣٧-٣٨.

٢ ـ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١ ص١.

٣ ـ ظ: العسكري، معالم المدرستين، ج١، ص١٥

علوم القرآن وكتب التاريخ وأصول الفقه وغيرها؛ هل هي ذاتها التي تنقل منها المدرستان أم مختلفة من مدرسة إلى اخرى؟ بطبيعة الحال ستكون مختلفة أيّما اختلاف؛ لأنها لو كانت واحدة لما حدثت تلك الاختلافات المتشعبة.

بيدَ انه لا يدّعي كلا الطرفين صحة جميع ما جاء في تلك الكتب والمصادر، ففي دراسة علمية لمحقق هو السيد هاشم الحسيني جزمَ فيها بقوله: «فالكافي مع أنه كان من أوثق المجاميع في الحديث منذ تأليفه إلى عصر العلامة الحلي وأستاذه أحمد بن طاووس أكثر من ثلاثة قرون من الزمن مع أنه كان بهذه المنزلة عند المتقدمين، فإن جماعة منهم كالمفيد وابن إدريس، وابن زهرة، والصدوق لم يثقوا بكل مروياته ووصفوا بعضها بالضعف كغيرها من المرويات التي لم تتوفر فيها شروط الاعتماد على الرواية. ومن ذلك تبين ان المتقدمين لم يجمعوا على الاعتماد على جميع مروياته جملة وتفصيلاً»[1].

وكذلك أهل السنة لا تدعي صحة ما جاء في جميع مصادرها، إلا ما يقرره علماؤهم في كتابي صحيح البخاري ومسلم، ولاسيما صحيح البخاري، فعن محمد بن يوسف الشافعي قال: إن أول من صنف في الصحيح، البخاري وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، وكتابهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز[2].

«والكتب المصنفة في علم الحديث أكثر من أن تحصى إلا أن السلف والخلف قد أطبقوا على أن أصح الكتب بعد كتاب الله سبحانه وتعالى : صحيح البخاري ثم صحيح مسلم»[3].

---

١ ـ دراسات في الحديث والمحدثين: للسيد هاشم معروف الحسني، ص١٣٤.

٢ ـ ظ: العسقلاني، ابن حجر، هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص١٠. وينظر: الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي، ج١، ص٣١.

٣ ـ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٦٣٥.

بينما المُلاحظ في واقع كتاب البخاري غير ذلك؛ فإنه توجد فيه أحاديث ضعيفة وأحاديث مكذوبة كما في غيره من كتب المسلمين عامة، «ونقدم أولاً بعض النماذج من المُعتَمَدين عند البخاري قال ابن الصلاح: لقد احتج البخاري بجماعة سبق من غيره الطعن بهم كعكرمة مولى ابن عباس، واسماعيل بن اويس، وعاصم بن علي وعمر بن مرزوق وغيرهم وغيرهم. وقال العراقي في شرح ألفيتهِ في مقام الرد على من قال إن من شرط البخاري أنه لا يخرج إلا عن الثقة حتى ينتهي إلى الصحابي : قال : هذا القول ليس بجيد، لان النسائي ضعف جماعة اخرج لهم الشيخان»[1].

وقد قال الشيخ أبو زهرة في كتابه (الامام الصادق)، عندما تحدث عن البخاري محاولاً تبرير موقفه من وجود مرويات غير مرضية في صحيحه، قال: والبخاري ذاته هو اصح الكتب اسناداً قد اخذت عليه أحاديث: وما كان ذلك مسوغا لتكذيب البخاري ولا كان ذلك مسوغاً لنقض الصحيح الذي رواه[2].

والنتيجة، بهذا الافتراق في طرق تلقي المعارف الدينية وتباين مصادر وكتب ورجالات الحديث وصحة بعضها وضعف بعضها الآخر، وباختلاف رصد المعلومة وكيفية الاستفادة منها؛ حتماً ومن البديهي سوف تختلف النتائج باختلاف مقدماتها.

٢ ـ كيف تعامل المستشرقون مع المصادر الإسلامية؟

عودة إلى السؤال الأساسي، إذا كانت المصادر التي يستنبط منها المسلمون

---

١ ـ دراسات في الحديث والمحدثين: للسيد هاشم معروف الحسني، ص١٦٥

٢ ـ م.ن: ص٣٥٥-٣٥٦.

أحكامهم ومعارفهم الدينية، متباينةٌ بتباين الفرق والمذاهب؛ فالسؤال هو: كيف تعامل المستشرقون وهذا الاختلاف؟ وهل كان استقائهم منها بمستوى واحد، أم هو مختلف من فئة إلى أخرى؟ وهل كانت مصادر إسلامية أصيلة، أم هي اجترار لما ذُكر في كتب أخرى ونقلاً لما قيل فيها؟ وهل أخضعوها لشروط وضوابط الجرح والتعديل وعلم الرجال، أم اعتمدوها برمتها على أنها أصحّ الكتب بعد كتاب الله، وإنَّ كل ما ورد فيها صحيحٌ لا يقبل الخطأ أو الشك، وممكن أن يبنى عليه عقائد الإسلام والمسلمين؟

مع إن المستشرقين على علمٍ جيدٍ بأن المسلمين على فِرق ومذاهب متعددة، قال لويس غارديه: «شهد الإسلام، شيمة كل ديانة، تعدد المذاهب والفرق»[1] وإنّ تلك الفرق والمذاهب متعددة في مصادرها لنقل المعارف الدينية، قال جولد تسيهر: إنّه يوجد مقدار كبير جليل القدر من الأحاديث المشتركة بين أهل السنة والشيعة، غير أن هذه الأحاديث تفترق فحسب في الاسانيد التي تؤيدها. فالشيعة لايحتملون أن نعدهم خصوماً لمبدأ السنة؛ بل يعتقدون أنهم، هم وحدهم الذين يعملون بالسنة الصحيحة، وأنهم يأخذون بالروايات الصادقة التي تناقلها آلُ البيت، ويَرونَ أن السُّنيين يبنون سنتهم على روايات الصحابة الذين يؤمنون بعدالتهم جميعاً[2].

«يقول المستشرق ماكدونالد وغيره من المستشرقين: إن الأحاديث لا تنبني عليها الحقائق التاريخية، وإنها سجل مضطرب كثير الأغلاط التاريخية مما يدل على الوضع في الحديث»[3].

---

١ ـ أثر الإسلام في العقلية العربية: لويس غارديه، ص١٨٨.

٢ ـ ظ: جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام:ص٢٠٣-٢٠٤،

٣ ـ أحمد محمد بوقرين: دفع شبهات المستشرقين حول السنة، ١٤/١. قرص المكتبة الشاملة.

والمستشرق جوينبل أشار إلى سبب التنازع، يرجع إلى الاختلاف في الحديث، فقال: «وينبغي أن نذكر في هذا المقام أن مادة الحديث المروي كانت في الواقع أصل التنازع، فالغالب أن ما في موضوع الحديث من هوىً هو الذي كان يثير المعارضة دائماً، فالحكم النهائي لم يكن مقصوداً به قيمة المحدث، وإنما كان المقصود به الحكم على مادة الروايات التي يرويها»[1] ونادراً ما تكون الروايات الإسلامية كلها صحيحة وتكون جديرة بالاعتماد عليها بكليتها[2]، لأن بعضها تأتي من أخبار مأخوذة من قصص إسرائيلية من مراجع يهودية الأصل، كالتي جاء بها ابن جرير الطبري في تفسيره، ويعد كتابه في الأوساط الإسلامية بالنسبة للروايات الإسرائيلية على الأكثر، الكنز والغنى بهذه المواد[3].

وبعد هذا، تجد المستشرقين عندما يأتون إلى الروايات والتراث الإسلامي يغترفون غرفاً، لايفرقون منه بين الغث والسمين، بين الصحيح والسقيم، حيث تجد أنهم استندوا على رواياتٍ بلا تمحيص لها وجدوا بغيتهم فيها، لذا قال السيد مرتضى العسكري: «كان لابد لي في دراسة الروايات أن أُمهد لها دراسة خصائص المجتمع الذي نزل فيه القرآن وانتشر منه لأُقارن بين تلك الروايات [التي بلاتمحيص والتي استخدمها المستشرقون] والواقع التاريخي الذي يناقض تلك الروايات والواقع التاريخي الذي يناقض تلك الروايات»[4] بعدها يجري العسكري، مسحاً سريعاً لروايات جمع القرآن، وروايات الزيادة والنقصان في القرآن ـ معاذ الله ـ

---

١ ـ علي بن نايف الشحود: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، ١١/ ٣٨ قرص المكتبة الشاملة.

٢ ـ ظ: ويليام موير، القرآن نظمه وتعاليمه وشهادته للكتب المقدسة، ترجمة، مالك مسلماني، ص١١٥.

٣ ـ ظ: جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ص٩٥-٩٦.

٤ ـ العسكري، السيد مرتضى: القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج١ ص١٠.

وروايات اختلاف المصاحف والنسخ والانساء، وروايات القراءات المختلفة ونزول القرآن على سبعة اوجه، ثم توصل إلى تقويم تلك الروايات ليتفرع من ذلك:

أولاً ـ إن فيها، رواياتٌ اسرائيليةٌ وروايات الغلاة والزنادقة ومن جملتها رواياتٌ موضوعةٌ ومفتراةٌ على الله ورسوله وكتابه، وفيها ما افتُري بها على الصحابة وأئمة أهل البيت عليهم السلام.

ثانياً ـ في تلكم الروايات روايات صحيحة، غير أن فيها مصطلحات قرآنية تغيرت معانيها، وتبدلت بعد عصر الصحابة متدرجاً حتى أصبح لها اليوم معانٍ غير التي قصد منها في القرآن وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وأحاديث الصحابة. واستُعمل ذلك المصطلح في كتب علوم القرآن في المعنى الجديد له خلافاً للمعنى الذي استعمل فيه في عصر الرسول حتى عصر الصحابة. مثال ذلك، مصطلحي (القراءة والإقراء): كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يتلقى عن طريق الوحي تلاوة لفظ القرآن ويتعلم معناه، مثل آيات الأحكام وغيرها، وذلكم من معاني ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ وكان الرسول يفعل في إقرائه القرآن للصحابة، ويسمى عندئذ من تعلّم شيئاً كثيراً من تلاوة لفظ القرآن مع تعلم معناه بالقارئ، وإذا قام القارئ بإقراء الآخرين يسمى بالمقرئ[1]. «عن عثمان بن عفان قال: قال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلّمه»[2].

والظاهر أن التعلّم ليس تلاوته وحفظه فقط، أي لا يمكن أن يُختزل الحديث في معنى واحد فقط، فيكون معناه (من حفظ القرآن وحفّظه).

---

١ ـ ظ: العسكري، السيد مرتضى: القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج١ ص١١ ـ ١٦.

٢ ـ صحيح البخاري، ج٤، ص١٩١٩، رقم الحديث ٤٧٤٠،. ومسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٥٧. والإبانة الكبرى، لابن بطة العكبري، ج٥، ص٢٥١. ومسند الشهاب القضاعي، ج٢، ص٢٢٦.

وقد روى البخاري في تفسير سورة النصر أن الخليفة الثاني عمر طلب من ابن عباس أن يعلّم بعض الصحابة تفسيرها، بسنده عن ابن عباس «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر... فقال ما تقولون في ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ...» [1] وبناءً على ذلك كانت القراءة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله: بمعنى تعلم تلاوة القرآن مع تعلم معناه، والإقراء: تعليم تلاوة لفظ القرآن مع تعليم معنى اللفظ الذي يحتاج إلى تعلّمه واستعملت القراءة والإقراء بعد عصر الرسول صلى الله عليه وآله غالباً في المعنى الاصطلاحي، وأحياناً استُعمل في أحد جزأي المعنى الاصطلاحي وهو تعليم معنى القرآن أي تعليم تفسير القرآن[2].

وقد قال الراغب في مادة (قرأ): «كل اسم موضوع لمعنيين معاً يطلق على كل واحد منهما إذا انفرد كالمائدة للخِوان وللطعام، ثم قد يسمى كل واحد منهما بانفراده به»[3].

لكن لمّا أمر الخلفاء الثلاثة، سيّما الخليفة الثاني عمر بتجريد القرآن عن بيان الرسول وحديثه، كما روي عنه «فقال: إنكم تأتون أهل قرية لهم بالقرآن دوي كدوي النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم امضوا وأنا شريككم، قالوا: فلما قدم قرظة قالوا: حدِّثْنا، فقال: نهانا ابن الخطاب»[4].

وقال الذهبي (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ) بتعليقه على المستدرك: «هذا حديث صحيح

---

١ ـ ظ: صحيح البخاري، ج٤، ص١٥٦٣، رقم الحديث٤٠٤٣. وتفسير ابن كثير، ج٨، ص٥٠٩.

٢ ـ ظ: العسكري، السيد مرتضى: القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج١ ص٢٩٤.

٣ ـ الراغب، مفردات غريب القرآن، ٤٠٢، مادة (قرأ).

٤ ـ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين بتعليق الذهبي، ج١، ص ١٨٣. ومعرفة السنن والآثار للبيهقي، ج١، ص١٤٦، وشرح مشكل الآثار للطحاوي، ج١٥، ص٣١٦.

الإسناد له طرق تجمع ويذاكر بها، وقرظة بن كعب الأنصاري: صحابي سمع من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم»[1] فعلى ذلك نُسخ القرآن مجرداً عن الحديث، وفي أخريات القرن الأول الهجري سمّوا بعض علماء العربية كل حديث أو تفسير مع القرآن تحريفاً، وكل من يعلِّم تلك التي سموها (تحريفات) بالمقرئ، واستمر الأمر على ذلك قروناً، ونتيجة لتبدل معنى القراءة والإقراء في محاوراتهم فسّروا ما جاء منها في الكتاب والسنة ومحاورات الصحابة بالمعنى المتداول عندهم، أي قراءة القراءات المختلفة، فاستعملت القراءة والإقراء في تعلم تلك القراءات المختلفة حتى عصرنا الحاضر[2].

٣ ـ استغلال المستشرقين للروايات المكذوبة:

لقد استعمل المستشرقون وخصوم الإسلام تلكم الروايات المفترى بها على الله ورسوله وكتابه وأصحاب رسوله، واستندوا إلى كل رواية يلوح في أفقها وفيها شمّة من تحريف القرآن، أو تشبيه النص القرآني بكتب الأديان الأخرى وأنه متعدد ومختلف فيه فكتبوا ورووا أن مصاحف الصحابة كانت تختلف بعضها مع بعض مثل مصاحف عمر وعلي وأُبي وابن مسعود وابن عباس وابن الزبير وأمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة وكذلك عدَّوا أحد عشر مصحفاً من مصاحف التابعين كانت تختلف بعضها مع بعض. وقام المستشرقون بالبحث عن المؤلفات التي جاء فيها إشارة إلى حدوث تغييرات على النص القرآني، مثل (برجشتر) الذي استخرج من كتاب البديع لابن خالويه (شواذ القرآن)، ومثل د. آرثر جفري (١٨٩٢ ـ ١٩٥٩م) الذي طبع كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني لما فيها

---

١ ـ المستدرك على الصحيحين بتعليق الذهبي، ج١، ص ١٨٣.

٢ ـ ظ: العسكري، السيد مرتضى: القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج١ ص٢٩٦-٢٩٨.

من روايات من اختلاف المصاحف والقراءات[1].

فيذهبون إلى غابر التاريخ لإثارة ما هو ليس بحقيقة وجعله كحقيقة مسلّماً بها، فهذا المستشرق (بول ـ Buhl) يرمز لشبهة تحريف القرآن بقوله: «وقد أثيرت تهمة التحريف فيما وقع من جدل بين الفرق الإسلامية المختلفة. فالشيعة يصرون عادة على أن أهل السنة قد حذفوا وأثبتوا آيات في القرآن بغية محو أو تفنيد ما جاء فيه من الشواهد معززاً لمذهبهم، وقد كال أهل السنة بطبيعة الحال نفس التهمة للشيعة»[2] وقد أخلّ بالحقيقة ولم يُشر إلى أي مصدر يذكر ذلك الاتهام غير الموجود.

المطلب الثاني: طبيعة المستندات التي تفاعل المستشرقون معها:

إن المستشرقين تعرفوا على العالم الإسلامي بكل تفاصيله وفروعه وفرقه من خلال العالم الإسلامي بقسمه السني؛ لذلك نلاحظ أنّ الفضاء الذي يحكم التفكير والأبحاث الاستشراقية هو الفضاء البعيد عن الفضاء الإمامي[3]؛ وكما يعتقد واط في كتابه (الفلسفة وعلم الكلام الإسلامي): بأنّ السنة يرون أنّ المذهب السني بأنه المعتقد الإسلامي منذ البداية، وكيف بلغ المذهب السني تدريجياً صيغة أكمل وأدق لمعتقداته، حينما اضطرت ظروف المسلمين لحسم الخلاف بين التفسيرات المتنافسة للنصوص الأساسية، فيمكن أن يقال إن المذهب السني أصبح

---

١ ـ ظ: ن. م: ج١ ص١٧ ـ ١٨.

٢ ـ بول ـ Buhl: دائرة المعارف الإسلامية، ج٤، ص٦٠٨، مادة تحريف.

٣ ـ ظ: معارف، د مجيد، مسألة جمع القرآن رؤية استشراقية وحقائق موضوعية، بحث في مجلة المنهاج، ص٢٩٠، العدد: ٥٥ خريف ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.

المذهب الرسمي للخلافة، وصار أمراً واقعاً[1].

لذا حاول المستشرقون في أغلب الدراسات القرآنية وبالأخص في هذا الباب ـ جمع القرآن ـ الاستقاء والاستناد إلى مصادر من طرف دون آخر، وترتيب النتائج والفرضيات على هذا الأساس، وعدم الالتفات المتعمد إلى شطر كبير من مصادر المسلمين والنظر بعين واحدة ومن زاويةٍ ضيقةٍ، لا منفرجة، والمفترض ان ما يُكتب عن أي دينٍ أو مذهب يجب أن ينتهج الحقيقة والموضوعية قدر الامكان، فهم «قاموا بدراسات واسعة وعميقة لأنواع مصادر الدراسات الإسلامية فوجدوا ضالتهم المنشودة في بعض الكتب وبعض الروايات وبعض الاجتهادات الخاطئة من علماء المسلمين فاستفادوا منها وأشادوا بذكرها ونشروها في بلاد المسلمين»[2].

فنجد «الكثير من المستشرقين عند الكتابة في ميادين من التاريخ الإسلامي ولاسيما بالنسبة إلى الجيل الاول منهم يصرون ـ بسبب سيادة الرواية الاموية والعباسية ـ على إقصاء عقيدة التشيع، أو إقصاء الحركات الشيعية من أحداث التاريخ الإسلامي. تماماً بحسب التوجه الذي سطرته رواية ابن حزم الظاهري في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) على أنّ الشيعة هم (هرطقة)[*] وأن المذهب الشيعي إن هو إلا بدعة»[3]. فمن البديهي عندما تُقصى عقيدةٌ ما، بالدلالة التضمنية سيُقصى كلُّ تراثها بطبيعة الحال.

---

1 - See, Watt, Montgomery,ISLAMIC PHILOSOPHY AND THEOLOGY,see: p56.

ويراجع: النسخة العربية، الفلسفة وعلم الكلام الإسلامي، ترجمة كاظم سعد الدين، ص١٠١.

٢ ـ مرتضى العسكري: روايات المدرستين،: ج٢ ص٧٣٦.

* ـ الهرطقة: الخروج عن المعتقد الرئيس وتعرف بالمروق الديني.

٣ ـ ناجي، د.عبد الجبار، التشيع والاستشراق، ص١٥٥ ـ ١٥٦.

لذلك نجد نولدكه عندما يأتي إلى الروايات القائلة بجمع القرآن من قبل الإمام علي عليه السلام، يرفضها ولا يقبلها بوصفها منسوبة إلى الشيعة، فيذكر أن روايات مختلفة تقول «إن علياً بن أبي طالب، إبن عم محمد وصهره، كان وراء جمع القرآن. وبناءً على إحدى الروايات، فقد قام بهذا والنبي كان لايزال على قيد الحياة، وذلك بناء على أمرٍ منه. ويرد أنه جمع القرآن من أوراق، وقطع قماش حريرية، وجدها خلف وسادة النبي، وأنه أقسم بألا يغادر المنزل قبل الانتهاء منه»[1] فـ(نولدكه)(*) لا يتعامل مع هذه الروايات لأنها بقوله: «تُنسب هذه الروايات جميعها إلى نسل عليٍ، وهي بهذا تصبح أكثر عرضةً للشكوك»[2].

---

١ ـ تيودور نولدكه :تاريخ القرآن، ترجمة جورج تامر ج٢ ص٢٤٣.

* ـ والجدير بالذكر، بل ويجب أن يؤخذ هذا بنظر الاعتبار، عندما يُذكَر رأي لنولدكه، يمكن القول أنه يمثل رأي المستشرقين في الجملة لا بالجملة، أو لا أقل طبقة واسعة منهم؛ لإن كتابه كما قال جفري يُعتبر الآن أساس كل بحث في علوم القرآن في أوربا، ظ: جفري في مقدمته لكتاب المصاحف، ص٤. وقول آخر لبلاشير فيما قاله استطراداً «بعد العمل العظيم الذي ندين به لنولدكه ومدرسته في كتاب تاريخ القرآن» بلاشير، القرآن، نزوله، تدوينه، ص٣١ و« يمكن اعتبار ما توصل إليه نولدكه في كتابه (تاريخ القرآن) نتائج نهائية» باريت، رودي، في كتابه: محمد والقرآن، ص٢٧٢. وينظر: فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، ص٢٢٨.

أو لا أقل نولدكه يمثل آراء أربعة من المستشرقين المتخصصين، هو وثلاثة: شفالي الذي قام باعادة صياغة الكتاب بطلب من نولدكه نفسه عام ١٩٠٩م وأوغوست فيشر الذي أضاف بعض التصحيحات عليه، وبرجشترسر الذي أُوكلت إليه مهمة إنجاز الجزء الثالث منه، وبرتزل الذي أكمل الجزء الثالث بعد وفاة أستاذه (برجشترسر). ثلاثة أجيال من علماء الدراسات القرآنية الألمان تعاقبت، إذاً، على هذا الاثر، حتى ابصر النور، فهو يضم ما توصلوا إليه من نتائج في هذا المجال خلال سبعة عقود ونيف. ظ: جورج تامر، مقدمة الترجمة العربية لكتاب نولدكه، تاريخ القرآن، ص: XI. إذاً «يعد نولدكه شيخ المستشرقين الالمان غير مدافع أتاح له نشاطه... وإتقانه التام لثلاث من اللغات السامية (العربية والسريانية والعبرية) مع استطالة عمره حتى جاوز الرابعة والتسعين ـ أن يظفر بهذه المكانة ليس فقط بين المستشرقين الالمان، بل بين المستشرقين جميعاً» بدوي، عبدالرحمن، موسوعة المستشرقين، ص٥٩٥.

٢ ـ تيودور نولدكه :تاريخ القرآن، ترجمة جورج تامر ج٢ ص٢٤٣، هامش رقم ٢١.

ومحاولةً منه لتمييع وتقليل شأن عمل الإمام قال: «ويجعلون القَسم على لسان علي، لكي يأخذ الكرامة من أبي بكر»[1]، ثم يذكر رأياً لابن حجر يورده السيوطي مفاده أن (جمع) في تلك الرواية تأتي بمعنى حفظ في الذاكرة[2].

نولدكه قَبِل هذا التفسير بكل رحابة، لما عليه من تفسير بعض من علماء المسلمين، قال: «ففي الواقع، لا تشير الجملة المستعملة في هذه التقاليد (جمع القرآن) إلى جمع النصوص في كتاب، ولكن، كما تقر السلطات التفسيرية المحمدية المهتمة بالحديث، إلى الحفظ في الذاكرة»[3].

وهذه النقطة ينبغي التأمل فيها والوقوف عندها، وهي عدم قبول نولدكه للروايات التي تنسب إلى نسل علي ـ على تعبيره ـ وأنها عرضة للشكوك؛ فيُفهم من هذا المنطوق، إنه يعتقد بروايات وتفسيرات الطرف الآخر ولا يعدها عرضةً للشكوك، لأنها ستثمر له طبيعياً أن القرآن لم يُدوّن ولم يُجمع بالشكل المثالي وبقي محفوظاً فقط في الذاكرة، ودونك أبحاث المستشرقين في جمع القرآن وما أثاروه من شبهات جمّة، لم يستعملوا فيها أي حديث شيعي أو رواية (تُنسب إلى نسل علي على تعبير نولدكه).

وقد أشار لهذا المعنى (تفسير الجمع بالحفظ في الذاكرة) وهو المعنى الذي يستثمره نولدكه، أشار إليه د. محمد محمد ابوليلة قائلاً: ما ورد أن علياً كان أول من جمع القرآن، معناها أن علياً جمع القرآن كله، يعني أنه حفظه بأكمله. ومما يلفت النظر أن ابن النديم (ت٤٦٣ هـ) قد أورد في الفهرست هذا العنوان: (الجُماع للقرآن

---

١ ـ تيودور نولدكه :تاريخ القرآن، ترجمة جورج تامر ج٢ ص٢٤٣، هامش رقم ٢١.
٢ ـ ظ: م . ن: نفس الصفحة، هامش رقم ٢٢ . راجع: السيوطي في الاتقان ص ٥٣.
٣ ـ نولدكه :تاريخ القرآن : ج ٢ ص ٢٤١.

على عهد النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم بمعنى حفاظه، وعدَّ ابن النديم من هؤلاء الحفاظ علي بن أبي طالب)[1].

ولو يرجع المتتبع إلى السيوطي في الإتقان، يجده قد ذكر قبل حديث (جمعُ عليٍ للقرآن)، عدة أحاديث في جمع الصحابة للقرآن ولم يفسر الجمع بالحفظ ولم يُشر إلى رأي ابن حجر هناك، كما فعل عند إيراده حديث علي ابن أبي طالب عليه السلام، فقد جاء في الاتقان: «... جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبيّ بن كعب، وأبوالدرداء، وأبو أيوب الأنصاري. وأخرج البيهقي في المدخل عن ابن سيرين قال: جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أربعة لا يختلف فيهم: معاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب، وأبوزيد، واختلفوا في رجلين من ثلاثة: أبي الدرداء وعثمان، وقيل عثمان وتميم الداري. وأخرج هووابن أبي داود عن الشعبي قال: جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ستة: أبيّ، ومعاذ، وأبوالدرداء، وسعيد بن عبيد، وأبوزيد ومجمع بن جارية، وقد أخذه إلا سورتين أوثلاثة»[2].

وقد وقف مستشرقون آخرون ضد هذا التحديد الخاطئ عند نولدكه، حيث نجد د. آرثر جفري يخالف نولدكه في ذلك بقوله: «زعم بعض الكتبة أن المراد بالجمع في هذا الحديث الحفظ، ولكنّا لا نوافق على قولهم هذا؛ لأن علياً حمل ما جمعه على ظهر ناقته وجاء به إلى الصحابة»[3].

إذن نولدكه بالفعل لم يرتضِ رواية القَسَم لعليٍّ عليه السلام عندما أقسم أنه لايضع

---

١ ـ ظ: أبو ليلة: محمد محمد، القرآن الكريم في المنظور الاستشراقي، ص١٥٢.
٢ ـ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص٢٤٨. النَّوْعُ الْعِشْرُونَ: فِي مَعْرِفَةِ حُفَّاظِهِ ورواته.
٣ ـ جفري: آرثر، في مقدمته لكتاب المصاحف، ص٥.

على ظهره رداؤه حتى يجمع القرآن، فإنها لم ترُق لنولدكه قد يكون ـ وفقاً لما سبق وما عُرفَ عن نولدكه بعدم قبوله للروايات الشيعية ـ لأنها وردت في الفهرست لابن النديم[1]؛ ولأن كتاب الفهرست لابن النديم، وإن كان يُحسب على المصادر السنية، ومؤلفه سنيٌ، إلا أن كُتُبَهُ ـ ذات أثر شيعي بحسب نولدكه ـ وأنه متشيع بعض الشيء كما ترجمه الزركلي (١٣١٠ ـ ١٣٩٦ هـ) في الأعلام[*].

تفسير نولدكه ومعه المستشرقون تماشى مع التفسيرات الإسلامية العامة فقد «حاول اكثر علماء إخواننا أن يفسروا جمعهم للقرآن بحفظهم له من دون كتابته ويحصروه بذلك، ولكن (جمع القرآن) تعبير يطلق على من حفظه، فيكون معناه جمعه في صدره، كما يطلق على من كتبه ودونه، فيكون معناه جمعه في مصحف أو كتاب، وعندما يرد تعبير جمع القرآن ويوجد معه قرينة تدل على نوع الجمع المقصود فهي المتبعة، وإن لم توجد قرينة فينبغي أن يُحمل الجمع على المعنى الاقرب والاكثر شيوعاً وهو جمع القرآن بكتابته، وإن أبيت فيبقى معناه مجملاً يحتمل المعنيين، لأن ترجيح أحدهما على الآخر بلا مرجح، وكما رأينا يوجد في عدد من أحاديث الجمع قرائن تدلّ على أن المقصود به جمع الكتابة، وكقول أُبي بن كعب: جمع القرآن فلان ابن عمنا وتوفي ونحن ورثناه، فانه يقصد ورثنا مصحفه لا ورثنا حفظه للقرآن»[2].

---

١ ـ ابن النديم: محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، الفهرست، ص٤١.

* ـ محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق، أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم (ت ٤٣٨ هـ ـ ١٠٤٧م): صاحب كتاب (الفهرست) من أقدم كتب التراجم ومن أفضلها. وكان معتزلياً متشيعاً. يدل كتابه على ذلك، فانه، كما يقول ابن حجر، يسمي أهل السنة (الحشوية). الزركلي: خير الدين، الأعلام، ج٦ ص٢٩.

٢ ـ الكوراني: تدوين القرآن، ص٢٤٨.

بعد ذلك يعقِّب نولدكه ويترقى بعدم قبوله حتى لمصادر سنية فيها شمةٌ وأثرٌ شيعي بقوله «لا شيء من الصحة في هذا كله . فمصادر هذه الأخبار ـ تفاسير قرآنية شيعية وكتب تاريخية سنية ذات اثر شيعي ـ مشكوكٌ بأمرها، ذلك أن كل ما يرويه الشيعة عن ولي شيعتهم الاعلى، غير موضوعي ومنحاز بجملته»[1](*). وصرّح في موضع ثانٍ إنه: لايقبل التفسيرات الشيعية وإنها لاتساوي شيئاً؛ إذا تأكدت قيمة التفاسير السنية، فإن التفاسير الشيعية كانت أقل صدقاً من منافساتها السنية[2].

وفي أدنى تأمل، يجد المتعقِّل لموقف نولدكه وغيره من المستشرقين في جمع القرآن، من الأخذ وتقبُّل مصادر إسلامية معينة، محددة من دون الأخرى، ذلك أنّ الأولى تتناغم والغايات والنتائج التي يتوخاها في استخلاص الشبهات حول القرآن، بخلاف الثانية.

---

١ ـ نولدكه: تاريخ القرآن، ج٢ ص٢٤٤.

* ـ يُذكر ان نولدكه ـ ويجب أخذ هذا الشيء بنظر الاعتبار ـ عندما أراد اخراج كتابه للطبعة الثانية عام ١٩٠٩م، اعترف انه انجزه بسرعة وعجلة وكانت– بتعبيره ـ آثار الوقاحة الصبيانية حاضرة في الكتاب وان بعض ما قاله بثقةٍ، انعدمت ثقته به بعد ذلك. فقال ما نصه في مقدمة الطبعة الثانية بعد ما كلف تلميذه شفالي باعادة النظر فيه: «وقد قام [شفالي] بقدر الامكان بجعل الكتاب الذي أنجزته بسرعة قبل نصف قرن مراعياً المستلزمات الحاضرة. أقول (بقدر الامكان) لأن آثار الوقاحة الصبيانية لن يمكن محوها بالكلية، من دون أن يُعاد تأليف الكتاب من جديد. بعض ما قلته حينذاك بقليل أو كثير من الثقة، انعدمت ثقتي به لاحقاً» مقدمة نولدكه لكتابه تاريخ القرآن، ص XXXI. وفي موضع آخر عند ترتيبه للسور المكية والمدنية يقول: «كلما طالت دراستي للقرآن وتعمقت... وكم من دليل وجدته من قبل مناسباً لهذا الغرض بدا لي لاحقاً غير موثوق به، وكم من زعمٍ أبديته قبلاً بقدر كبير من الثقة، بدا لي من بعد فحص متكرر وأدق أنه زعم غير أكيد» نولكه، تاريخ القرآن، ج١، ص٦٨.

٢ ـ ظ: نولدكه: تاريخ القرآن، ج٢، ص٣٩٨-٣٩٩.

في المقابل، إن نولدكه متقبل لكل ما جاء في الروايات السائدة لجمع القرآن في المصادر الإسلامية الاخرى؛ بل جعلها ميزاناً وضابطاً لغيرها، مما جعله يناقش في مضمون تلك الروايات ـ الخاصة بجمع القرآن للإمام علي عليه السلام ـ وقال: إنها تناقض الأخبار ووقائع التاريخ الاكيدة كلها. فلا التقاليد المتعلقة بجمع زيد للقرآن، ولا تلك المتعلقة بمحاولات جمعه الاخرى في المدة السابقة لعثمان، تذكر شيئاً عن عملٍ لعليٍّ كهذا[1]. ومن بعد ذلك يريد نفي هذا العمل نهائياً عن الإمام علي عليه السلام فيقول «ولا هو يشير إلى هذا العمل، لا في فترة خلافته ولا قبلها»[2].

وقد فُصّل القول بشأن الإمام علي عليه السلام وجمع القرآن في المبحث الاول من الفصل الثاني، لكن يمكن الاضافة: بأن له مصحفاً معروفاً بمصحف علي بن ابي طالب[3]، وإن المعروف والمشهور أن الإمام علي عليه السلام كان احد كُتاب الوحي، فلا عجب أن يجمع القرآن في مصحف وتكون له نسخةٌ خاصةٌ به.

وكذلك نجد المستشرق كانون سل في كتابه (تدوين القرآن) لا يقبل هذا النوع من الروايات، فبعدما يتطرق إلى اخبار مثيرة للشبهات والتأكيد على وجود سورتي ما تسمى (الحفد والخلع) وعلى سقوط سورة الفاتحة وسورة الفلق والناس من مصحف ابن مسعود، يذكر نسخة مصحف الإمام علي عليه السلام وأنه عليه السلام قد رتب القرآن الكريم فيها بحسب التسلسل التاريخي لنزول السور، لكنه لعدم وجودها الآن ينفي صحة هكذا رواية بقوله: «وبما أنه ليست لدينا هذه النسخة، فمن المستحيل القول ما إن كانت هذه الرواية صحيحة أم لا»[4].

---

١ ـ ظ: نولدكه: تاريخ القرآن: ج٢ ص٢٤٤.

٢ ـ ظ: ن . م : الصفحة نفسها.

٣ ـ راجع: المصاحف لابن ابي داود، ص٥٣.

٤ ـ كانون سل: تدوين القرآن، ص١٣.

وهذا الاستدلال غريب منه؛ لأنه كيلٌ بمكيالين، إذ لماذا لا يرفض النُسخ الاخرى مع إنها لم تصل لديه أيضاً؟ ومن يدري لعل نسخة عبد الله بن مسعود، أو نسخة أُبي بن كعب، موجودة لدى (سل)! فلماذا لاينفي صحة روايتها كما فعل مع غيرها؟ وقد كفى مترجم الكتاب (مالك مسلماني، مترجم كتاب تدوين القرآن لكانون سل)، كفى المستشرق (سل) مؤونةً في هامش الصفحة نفسها تعقيباً على كلام (سل) وتعزيزاً لكلامه، بأن رواية اليعقوبي تفتقد الموثوقية التاريخية، لأنه ذو هوى شيعي فقال ما نصه: «يورد اليعقوبي ذو الهوى الشيعي في تاريخه رواية تفيد بأن عليَّ بن أبي طالب جمع القرآن غداة وفاة محمدٍ؛ مقسماً إياه إلى سبعة أجزاء، والتقسيم الذي يورده اليعقوبي لا يشير إلى تصنيف على أساس التعاقب الزمني لنظم القرآن. وتفتقد رواية اليعقوبي الموثوقية التاريخية. وبالوسع إدراجها في سياق الصراع السني ـ الشيعي وهي محاولةٌ لمنح عليٍّ أفضلية على بقية شخصيات العهد الإسلامي المبكر»[1].

وقد يكون هنا خروج عن نطاق البحث، لو أردنا أن نثبت: هل أن علياً صلوات الله عليه محتاجٌ لمزية جمع القرآن لكي يُتوَّج بأنه افضل شخصية بعد النبي؟ ولماذا يحتاج ذلك بعد قول الرسول ﷺ: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه ليس نبي بعدي»[2] ولماذا يحتاج ذلك، وقد شهد له

---

١ ـ مسلماني: مالك، مترجم كتاب تدوين القرآن للمستشرق كانون سل، هامش رقم ١، ص ١٣.

٢ ـ صحيح البخاري: ج٤ ص١٦٠٢، رقم الحديث: ٤١٥٤، باب غزوة تبوك، وصحيح مسلم، ج٤ ص١٨٧٠، باب من فضائل علي بن أبي طالب. ومسند أبي يعلى، ج١ ص٢٨٥، باب مسند علي بن أبي طالب عليه السلام. ومسند أحمد ج٦ ص٤٣٨، باب حَدِيثُ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ. وصحيح ابن حبان، ج١٥ ص٣٧١، مناقب علي عليه السلام. وغيرها كثير من مصادر المسلمين بكل طوائفها، نقلت الحديث وبألفاظ وطرق متعددة.

صحابة النبي ﷺ بخصالٍ شريفة المرتبة، وتمنّوا أن تكون واحدةً منهن لهم «عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِى سُفْيَانَ سَعْدًا فَقَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ فَقَالَ أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلاَثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فَلَنْ أَسُبَّهُ لأَنْ تَكُونَ لِى وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلى مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يَقُولُ لَهُ حين خَلَّفَهُ فِى بَعْضِ مَغَازِيهِ فَقَالَ لَهُ عَلِىٌّ يَا رَسُولَ اللهَّ خَلَّفْتَنِى مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه [وآله] وسلم: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لاَ نُبُوَّةَ بَعْدِي. وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ: لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ فَتَطَاوَلْنَا لَهَا فَقَالَ: ادْعُوا لِى عَلِيًّا، فَأُتِىَ بِهِ أَرْمَدَ فَبَصَقَ فِى عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ دَعَا رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه [وآله] وسلم عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلِى»[1].

وينقل (سل) رواية بهذا الصدد لكنه يردفها بالقول: والمأثور الشيعي يسجل ـ تلويحاً منه بعدم اعتمادها؛ لأنه في المقابل عندما ينقل روايات أخرى لم يقل عنها: والمأثور السني يسجل ـ بأن النبي قال: (يا علي إنّ القرآن خلف فراشي؛ في الصحف الحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولاتضيّعوه كما ضيعت اليهود التوراة) وقال عليٌ بأنه استلم هذه النسخة في ثوبٍ أصفرٍ وقرأها على النبي في بيته[2].

---

١ ـ صحيح مسلم: ج٤ ص١٨٧٠، باب من فضائل علي بن ابي طالب، والسنن الكبرى للنسائي، ج٥ ص١٠٨، وسنن الترمذي، ج٥ ص٦٣٨، والمستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري بتعليق الذهبي ج٣، ص١٤٣، وفي نفس الصفحة مذكور تعليق الذهبي قوله عن الحديث: صحيح. والمسند الجامع، لابي الفضل النوري،ج٦ ص١٢٦. وغيرها من المصادر.

٢ ـ ظ: كانون سل، تدوين القرآن، ص١٣.

وبعد قليل يصرح بعدم صحة الواقعة بقوله: «وبافتراض أن هذه الواقعة صحيحة، فإنه ينشأ طبيعياً سؤال: كيف أن علياً لم يجعل نسخته معترفاً بها بوصفها الكتاب الموثوق الوحيد»[1].

فقد اهتم المستشرقون منذ القرن التاسع عشر للميلاد وربما ابعد من ذلك اهتماماً ملحوظاً في الكتابة التاريخية عن الإسلام والقرآن وعن حياة النبي الشخصية، وعنوا ايضاً ضمن هذا التوجه بدراسة التشيع والحركة الشيعية، لكنهم عموماً قد استندوا في تأسيس مبانيهم الفكرية حول هذه الأمور إلى المؤلفات الإسلامية المعروفة والمحققة في تلك الآونة، وهذه المصادر بدورها اعتمدت في سردها التاريخي على المألوف من الرواية الأموية والعباسية بالدرجة الأولى من دون الرواية الشيعية، وكما هو معروف فإن الروايتين الأموية والعباسية إن تم الاعتماد عليها لوحدها عندئذٍ يكون التدوين التاريخي غير منصف وغير عادل؛ فالرواة الأصليون الذين تأثروا بهاتين السلطتين السياسيتين، الأموية والعباسية، كانوا غير منصفين في مروياتهم لأنهم اضطروا بدافع الخوف أو الطمع في الدنيا إلى أن يغيبوا الرواية الشيعية، الرواية التي عرَّفها الامويون بروايةِ أبي تراب أي الإمام علي عمداً أو أنهم قد سايروا السياسة[2].

فنجد المستشرقين حرصوا على استعمال المصادر والروايات، التي تحقق لهم وتوصلهم إلى نتائج مدروسة وجاهزة مسبقاً، وأهمها التشكيك في ثبوت النص القرآني الذي بأيدينا؛ لذلك نلحظ المستشرق آرثرجفري كيف وجد بغيته في الروايات من كتاب المصاحف التي أورد خلاصتها واستنتج منها تطور النص

---

١ ـ كانون سل، تدوين القرآن، ص١٣ -١٤.

٢ ـ ظ: عبد الجبار ناجي، التشيع والاستشراق، ص١٥٥ ـ ١٥٦.

القرآني وتحوله وللسبب نفسه نشر كتاب اختلاف المصاحف لابن أبي داود؛ لأنّ هذا الكتاب يوصله إلى أول مراتب هذا البحث كما قال. ونتيجة هذا البحث عنده: إن القرآن قد تغير وتبدل منذ عصر نزوله إلى عصور الطبع مرات متعددة ولتأييد قوله هذا نشر أسماء الكتب التي يستفاد منها اختلاف المصاحف بعضها مع بعض على مرالعصور[1]، فهو يرى تطور القرآن في ستة أطوار وهي:

١. طور المصاحف القديمة.
٢. طور المصاحف العثمانية التي بُعث بها للأمصار .
٣. طور حرية الاختيار في القراءات.
٤. طور تسلط السبعة أو العشرة.
٥. طور الاختيار في روايات العشرة.
٦. طور تعميم قراء ة حفص وهو طور النسخ المطبوعة[2].

فهم لا يتوانون باستعمال أياً كانت من المصادر والروايات بغض النظر عن أسانيدها ومدى صحة وضعف تلك المصادر، ما دامت تؤدي بهم إلى الغرض المطلوب، فقد كان لدى المستشرقين طريقتهم الخاصة، الغريبة في البحث «فطريقتهم في البحث أن يجمعوا الآراء والظنون والأوهام والتصورات بأجمعها ليستنتجوا بالفحص والاكتشاف ما كان منها مطابقاً للمكان والزمان وظروف الأحوال معتبرين المتن دون الاسناد»[3] بينما المستشرق (جوزيف فان . إس Josef van Ess) أمره بين أمرين، يرى أن لا يُهمل السند على حساب المتن،

---

١ ـ ظ: مرتضى العسكري، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج٢ ص٧٤٦.
٢ ـ ظ: جفري: مقدمة كتاب المصاحف، ص٩.
٣ ـ م . ن، ص٤.

وبنفس الحين أن لا يُترك المتن بدون محاكمة على وفق الضوابط المنطقية، فقال استطراداً في عرضه: «تجاه العدد الهائل من آلاف الأحاديث النبوية كان الطريق الذي يُقاس به صدق الحديث، ليس هو بناؤه المنطقي أو مطابقة محتواه للتصور الإسلامي. ولكن يعتمد كلية على الثقة في راوي الحديث وقد أخذ بهذه الطريقة أهل السنة والشيعة أيضاً. وكان هذا سبباً في اختلاف الشيعة عن أهل السنة ...؛ فاعتمد الشيعة في معرفة الأحكام على الإمام، أما أهل السنة فقد أخذوا بالحديث النبوي الذي تثبت صحة سنده. وترتب على ذلك عدم أخذ الشيعة بطريقة الإجماع التي أخذ بها أهل السنة، بل اعتقدوا [الشيعة] بأن الحقيقة قد تكون عند عدد قليل من الناس واستندوا في ذلك إلى ظروف اختيار الخلفاء، حيث أن الإجماع أو رأي الأغلبية لم يكن في رأيهم على حق»[1].

لذلك عندما ظهرت الطبعة الاولى من تاريخ القرآن لنولدكه استنكر عليه بعض أصحاب النقل في الشرق واتهموه بالطعن في الدين وزعموا أن الذين يتتبعون هذه الطريقة ليسوا خالين من المحاباة في أبحاثهم[2].

بينما جفري يثني عليهم ويرى «إنّ إنصافهم وصدق نيتهم وعدم محاباتهم ظاهر، ويتبين من كتبهم انهم لا يرومون إلا الكشف عن الحق، وكان عيبهم الوحيد في أعين أهل النقل أنهم يعتبرون المتن دون الاسناد ويختارون من آراء القدماء ما يطابق ظروف الاحوال من أسانيد متواترة كانت أم ضعيفة، فكثيراً ما تناقض نتائج ابحاثهم بهذه الطريقة تعليم أهل النقل الذي قد عرف بين العلماء منذ

---

١ ـ فان إس، جوزيف (Josef van Ess)، التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، ص٣٨.

٢ ـ ظ: جفري: مقدمة كتاب المصاحف، ص٤.

زمن بعيد»[1].

فأيُّ منصف وعاقل يأمن لنتيجة تُستخرج من الظنون والاوهام والتصورات ومن نصوص لا يُراعى فيها قوة وضعف أسانيدها، وبالتأكيد كما صرَّح ستؤدي إلى التناقض. من هذا، تلحظ أن جفري في تحقيقه لكتاب المصاحف لابن أبي داود، والمستشرقين الآخرين، لايهمهم ما قيل في توثيق صاحب الكتاب، ولا يعتنون بما ذكره العلماء من أهل التراجم والسير والجرح والتعديل، فقد ذكره ابن عدي الجرجاني (٢٧٧-٣٦٥هـ) في كتابه (الكامل في الضعفاء): عن «علي بن الحسين بن الجنيد يقول سمعت أبا داود السجستاني يقول ابني عبدالله هذا كذَّاب وكان ابن صاعد يقول: كفانا ما قال أبوه فيه سمعت موسى بن القاسم بن موسى بن الحسن بن موسى الأشيب يقول حدثني أبو بكر قال سمعت إبراهيم الأصبهاني يقول أبو بكر بن أبي داود كذاب»[2].

وجاء في سير اعلام النبلاء للذهبي (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ) «قال أبو عبدالرحمن السلمي: سألت الدارقطني عن ابن أبي داود، فقال: ثقة، كثير الخطأ في الكلام على الحديث»[3]، وبعد ذلك يذكر الجرجاني عن نصب ابن ابي داود وعداءه لعلي بن أبي طالب (رابع الخلفاء والصحابي من الدرجة الأولى): فابن أبي داود قد تكلم

---

١ ـ جفري: مقدمة كتاب المصاحف، ص٤.

٢ ـ بن عدي: عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، ج٤،ص٢٦٥، ولسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ج٣ ص٢٩٤. وتاريخ دمشق، ابن عساكر، ج٢٩ ص٨٦.

٣ ـ الذهبي، سيراعلام النبلاء، ج١٣ ص٢٢١. ولسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ج٣ ص٢٩٣، وتاريخ دمشق، ابن عساكر، ج٢٩ ص٨٦، وتاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ج٩ ص٤٧٤.

فيه أبوه وإبراهيم الأصبهاني ونُسب إليه في الابتداء إلى شيء من النصب، سمعت علي بن عبد الله الداهري يقول سألت ابن أبي داود بالري عن حديث الطير، فقال إن صح حديث الطير فنبوة النبي باطل لأنه حكى عن حاجب النبي ﷺ [يقصد أنس ابن مالك، إذ ورد عنه الحديث] خيانة وحاجب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم لا يكون خائناً [1](*)، ولم يبين ماهي الخيانة ولم تنقل عن أي مصدر، فهذا

---

١ ـ ظ: ابن عدي الجرجاني: الكامل في الضعفاء، ج٤ ص٢٦٦.

* ولإثبات صحة حديث الطير ـ ومن الأهمية بمكان إثباته هنا ـ فقد جاء في كتب الفريقين سنة وشيعة ونصه كما في سنن الترمذي: «حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عمر عن السدي عن أنس بن مالك قال : كان عند النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم طير فقال اللهم آئتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير فجاء علي فأكل معه» وقال عنه أبو عيسى الترمذي نفسه: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث السدي إلا من هذا الوجه» فكلام الترمذي بغرابة الحديث قد تزول، بتعليق محققو الكتاب (سنن الترمذي)، أحمد محمد شاكر وآخرون قالوا: قد روي من غير وجه عن أنس وعيسى بن عمر هو كوفي والسدي إسمعيل بن عبد الرحمن وسمع من أنس بن مالك ورأى الحسين بن علي وثقه شعبة وسفيان الثوري زائدة ووثقه يحيى بن سعيد القطان . سنن الترمذي، ج٥، ص٦٣٦.

وكذلك ممكن مناقشته من جهة كثرة طرق روايته، فقد روي هذا الحديث بعدة طرق كثيرة، فأخرجه الحاكم من طريق سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن أنس قال: «حدثني أبو علي الحافظ أنبأ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أيوب الصفار وحميد بن يونس بن يعقوب الزيات قالا: ثنا محمد بن أحمد بن عياض بن أبي طيبة ثنا أبي ثنا يحيى بن حسان عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فقدم له فرخ مشوي، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فقلت: اجعله رجلا من أهلي من الانصار، فجاء علي، فقلت: إن رسول الله على حاجة، ثم جاء، فقلت ذلك، فقال: اللهم ائتني كذلك، فقلت ذلك، فقال لي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: افتح، فدخل فقال: ما حبسك يا علي؟ فقال: إنه هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قلت: أحببت أن يكون رجلا من قومي» وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، وقال محقق كتاب المستدرك مصطفى عبد القادر عطا: (قد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفساً ثم صحت الرواية عن علي وأبي سعيد الخدري وسفينة وفي حديث ثابت البناني عن أنس زيادة ألفاظ). وعلّق الذهبي على تخريج الحاكم في =

المنطوق ، أما المفهوم فواضح: أي إذا صح حديث الطير بالأدلة والقرائن المثالية؛ سوف يتقرر ويثبت جواب الشرط الذي حكم به ابن أبي داود على نفسه، هو

= المستدرك بكون أحد رجال السند غير معروف عند الذهبي، هو أحمد بن عياض بقوله: «ابن عياض لا أعرفه»، المستدرك على الصحيحين للحاكم بتعليق الذهبي، ج٣، ص١٤١، رقم الحديث ٤٦٥٠، باب ذكر إسلام أميرالمؤمنين علي رضي الله تعالى عنه.

وذكره، الخطيب البغدادي، في تاريخ بغداد، ج٣، ص٣٩٠، وفي ج٨، ٣٧٨، وبطريق وبلفظ آخر: أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة، ج٢، ص٥٦٠. وبطريق آخر أخرجه النسائي في كتابه خصائص أمير المؤمنين ص٥١. وأخرجه المجلسي في بحار الأنوار، بعدة طرق أخرى وبألفاظ أخرى، راجع، ج٣٨، من ص٣٥٢ ـ ٣٥٨.

وتجد الذهبي في تذكرة الحفاظ يجبر هذا الحديث؛ لكثرة طرقه المتعددة فقال: «وأما حديث الطير فله طرق كثيرة جداً، قد أفردتها في مصنف ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل واما حديث من كنت مولاه فله طرق جيدة وقد أفردت ذلك أيضاً» الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص١٦٤.

وابن كثير عواطفه لا تطاوعه بقبول الحديث برغم قول الذهبي، فقال: «وبالجملة ففي القلب من صحة الحديث هذا، نظر، وإن كثرت طرقه والله اعلم»، البداية والنهاية ج٧، ص٣٥٤.

على أية حال يُعتقد أن سبب تضعيف هذا الحديث لا يخضع إلى القواعد العلمية وقواعد علم الرجال والجرح والتعديل، وإنما كان البعض يوزن الامر، كون راوي الحديث أو من يذكرالحديث في كتابه أو يخرجه، شيعياً (رافضياً)، بغض النظر عمّا فيه من صحة، لذا وُجهت تهمة التشيع ـ إن صح التعبير ـ حتى لبعض أعلام مدرسة أهل السنة، فذكر ابن كثير في ترجمة أبو جعفر بن جرير الطبري المفسر الكبير وصاحب التاريخ المعروف بتاريخ الطبري قال: «ونسبوه إلى الرفض ومن الجهلة من رماه بالإلحاد وحاشاه من ذلك كله بل كان أحد أئمة الإسلام علماً وعملاً بكتاب الله وسنة رسوله وإنما تقلدوا ذلك عن أبي بكر محمد بن داود الفقيه الظاهري حيث كان يتكلم فيه ويرميه بالعظائم وبالرفض ... وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين وكتاباً جمع فيه طريق حديث الطير»، البداية والنهاية لابن كثير،ج١١، ص١٤٧ ترجمة الطبري.

والعلم الآخر، الحاكم النيسابوري، الذي رُمي بالتشيع من أجل إخراجه لحديث الطير وأمثاله، فقد ذكر أبو طاهر السلفي أحمد بن محمد قال: «حدثني أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن عبيد الطرابلسي بالإسكندرية، أنبأنا أبو علي الحسين بن علي بن مناس القيرواني بطرابلس الغرب، أنبأني أبو القاسم أحمد بن سليمان الباجي قال: سمعت أبي القاضي أبا الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي بالأندلس يقول: =

عدم إيمانه بنبوة النبي (على تعبيره فنبوة النبي باطل) ، بعد ذلك كيف يصح أن تؤخذ الأحاديث وتُستلهم النتائج من شخص لايؤمن أصلاً بالنبوة وكتابه المشهور (المصاحف)؟ لكن هذا الشيء، ليس مهماً عند المستشرقين (جون جلكريست)

= قال لنا أبو ذر عبد بن أحمد بن عفير الهروي بمكة، كنا في حلقة الحاكم أبي عبد الله بن الربيع الحافظ بنيسابور إذا أخرج عن السدي في الصحيح نتغامز عليه، وذلك أنه روى حديث الطير ولم يتابعه أحد عليه، وكان ينسب إلى التشيع»: أبو طاهر السلفي، كتاب أخبار وتراجم أندلسية، ص٧٤.

ويقرب من ذلك ما ذكره الذهبي في السير، وابن كثير في البداية والنهاية في ترجمة الحاكم النيسابوري: «وقد كان من أهل الدين والأمانة والصيانة والضبط والتجرد والورع لكن قال الخطيب البغدادي: كان أبو عبد الله الحاكم ثقة، وكان يميل إلى التشيع جمع أبو عبد الله الحاكم أحاديث، وزعم أنها صحاح على شرط البخاري ومسلم، فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك ولم يلتفتوا إلى قوله ولاموه في فعله وقال محمد بن طاهر المقدسي: قال الحاكم: حديث الطير لم يخرج في الصحيح وهو صحيح منها حديث الطير . قال ابن طاهر بل موضوع لا يروى إلا عن أسقاط أهل الكوفة من المجاهيل عن أنس فإن كان الحاكم لا يعرف هذا فهو جاهل والا فهو معاند كذاب وقال أبو عبدالرحمن السلمي دخلت على الحاكم وهو مختف من الكرامية لا يستطيع أن يخرج منهم فقلت له لو خرجت حديثاً في فضائل معاوية لاسترحت مما أنت منه فقال لا يجيء من قلبي لا يجيء من قلبي» سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١٧، ص١٦٨ والبداية والنهاية لابن كثير، ج١١، ص٣٥٥

وكذلك جاء هذا المعنى في ترجمة ابن السقاء عند الذهبي «ابن السقاء: الامام الحافظ الثقة الرحال، أبو محمد، عبدالله بن محمد بن عثمان الواسطي ابن السقاء محدث واسط... كان من وجوه الواسطيين وذوي الثروة والحفظ ... واتفق أنه أملى حديث الطائر، فلم تحتمله أنفسهم فوثبوا به، وأقاموه، وغسلوا موضعه، فمضى ولزم بيته لا يحدث أحداً من الواسطيين، ولهذا قل حديثه عندهم». الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٣٥٢.

وكذلك ما جاء في ترجمة أحد رواة حديث الطير، لم يُعتن به وإن كان صدوقاً؛ لذا قال العسقلاني: «عباد ابن يعقوب الرواجني أبو سعيد الكوفي صدوق رافضي حديثه في البخاري مقرون بالغ ابن حبان فقال يستحق الترك»، ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٢٩١. وظاهر أن نعته بالرافضي من ألفاظ الجرح.

ومقام البحث لا يسمح أكثر في تفصيل حديث الطير.

وهو عندهم سواءٌ، مادام يؤدي إلى غرضهم المنشود بأسرع الطرق.

والغريب أنّ الذهبي يكتب لابن أبي داود أجراً من الله على كلمته هذه !!! فقد قال: «قلت: هذه عبارة رديئة، وكلام نحس، بل نبوة محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم حقٌ قطعي، إن صح خبر الطير وإن لم يصح، وما وجه الارتباط ؟... وقد أخطأ ابن أبي داود في عبارته وقوله، وله على خطئه أجرٌ واحدٌ، وليس من شرط الثقة أن لا يخطئ ولا يغلط ولا يسهو»[1]. مالكم كيف تحكمون ؟! وكذلك يذكر الجرجاني في كتابه الكامل في الضعفاء، حديث يرويه ابن أبي داود، في ذمِّ أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وفيه قدح للنبي صلى الله عليه وآله، يجلّ مقام البحث عن ذكره، وقد ذكره ابن حجر في لسانه، وابن عساكر في تاريخه[2].

فهكذا كان حال من ينقل عنه المستشرقون أهمّ أحاديث جمع القرآن، نقل الأحاديث الشاذة والغريبة، ونصب العداء إلى أحد أعاظم صحابة النبي وهو (علي بن أبي طالب عليه السلام) وكان الاعتماد على كتابه، اعتماد كبير في بابه وبسبب ما يحقق كتاب ـ المصاحف ـ من إثارة الشبهات حول القرآن الكريم، من اختلاف المصاحف وتعدّدها، وان القرآن لم يجمع إلا بسبب معركة اليمامة وذهاب كثير من الحفاظ فيها وبقاءه مفرَّق على العسب واللخاف والعظام وصدور الرجال وعدم ثبوت نصٍ رسميٍ له الا بعد خمسة عشر عاماً، وامكان فقدان آيات منه؛ لأنّ بعض الآيات لم يجدوها الا عند شخص واحد، ونقصانه آيات كآية الرجم لعدم ثبوتها بشاهدين، وغيرها كثيرٌ مما أُثير ويثار؛ لهذا السبب رفض د.جفري محقق الكتاب والمستشرقون معه، رفضوا قول العلماء في ابن أبي داود، كما قال ـ جفري ـ بعد

---

١ ـ الذهبي، سير اعلام النبلاء، هامش رقم ١، ج١٣ ص٢٣٣.

٢ ـ يراجع: ابن عدي الجرجاني: الكامل في الضعفاء، ج٤ ص٢٦٦. ولسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، ج٣ ص٢٩٤. وتاريخ دمشق، ابن عساكر، ج٢٩ ص٨٧.

أن استعرض سيرة حياة ابن ابي داود، وأنه صنّف كتباً كثيرة وكانت شهرته في فن الحديث وعلوم القرآن وألَّف في هذا الفن كتباً كثيرة[1] «ومع هذا زعم بعض العلماء أنه غير ثقة، وقيل أن أباه أبا داود كذّبه، وقال الدارقطني هو ثقةٌ إلا أنه كثير الخطأ في الكلام على الحديث، وقال في المغنى، عبد الله بن سليمان ثقة كذبه ابوه في غير حديث، وهذه تهمة لم يرض بها المستشرقون لأنها لم تقم عليها حجة من الأحاديث التي رويت عنه، ولأنهم اختبروا أحاديثه على قاعدة البحث الجديدة فوجدوها صحيحة صادقة»[2] فإنّ قاعدة البحث الجديدة لدى المستشرقين حول القرآن هي صحة كلما يثبت عدم ثبوت النص القرآني وتبدله وتغيره على مرّ العصور[3].

والواضح إن جفري على علم أنه ينقل الأحاديث الشاذة بما قال: «فيغلب على الظن أنّ هذه التهمة نشأت من كونه يروي أحاديث شاذة لا يرضى عنها أهل النقل»[4].

خلاصة تحليلية :

عودة للسؤال الأساسي، لماذا ميَّز المستشرقون في استعمالهم المصادر التي يستقون منها ـ تحديداً في جمع القرآن ـ فانتقوا مصادر إسلامية معينة من دون أخرى، واعتمدوا على آراء معينة لعلماء المسلمين من دون ثانية، ولم يكونوا على مسافةٍ واحدةٍ مع مصادر وآراء علماء المسلمين؟ باختصار يجيب عن هذا السؤال

---

١ ـ ظ: مرتضى العسكري: روايات المدرستين، ج٢ ص٧٤٥ ـ ٧٤٦.
٢ ـ جفري : مقدمته في المصاحف، ص١٢.
٣ ـ ظ: مرتضى العسكري، روايات المدرستين، ج٢ ص ٧٤٦.
٤ ـ جفري : مقدمته في المصاحف، ص١٢.

المستشرق د.آرثر جفري، بأن المستشرقين لايقبلون روايات وآراء بعض المسلمين لأنها تقول: إن القرآن جُمع في عهد النبي صلى الله عليه وآله وانه كان هناك كتاب ومصحف كامل بأيدي المسلمين، فبالتالي هذا الرأي وهذا الاتجاه لا ينسجم ولا يوصلهم إلى القول بنقص القرآن وعدم تماميته وضياع آيات منه، فقال صراحةً: «لما قُبض النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم لم يكن في أيدي قومه كتاب ـ قيل ان النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم كان كلما نزلت عليه آيات أمر بكتابتها وكان يعرض على جبريل مرة في كل سنة ماكتب من الوحي في تلك السنة وعرضه عليه مرتين سنة موته، وهكذا جُمع القرآن كله في حياة النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم في صحف وأوراق، وكان مرتباً كما هو الآن في سوره وآياته إلا أنه كان في صحف لا في مصحف، وهذا الرأي لا يقبله المستشرقون لانه يخالف ماجاء في أحاديث أخرى [أو قل يخالف ما يطمحون إليه من نتائج وفرضيات] أنه قُبض صلى الله عليه [وآله] وسلم ولم يجمع القرآن في شيء، وهذا يطابق ماروي من خوف عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق لما استحر القتل بالقراء ونخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير، ويتبين من هذا أن سبب الخوف هو قتل القراء الذين كانوا قد حفظوا القرآن، ولو كان القرآن قد جُمع وكُتب لما كانت هناك علةً لخوفهما وفضلاً عن ذلك فإن علماء الغرب لا يوافقون على أن ترتيب نص القرآن كما هو اليوم في أيدينا من عمل النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم»[1].

فحرصوا أن يبعدوا هذا الاتجاه ـ جمع القرآن في عهد النبي ـ من ساحة البحث، وعلى ذلك نجد نولدكه يصرح بذكرِ روايةِ ما يقال في مجموعة الأصحاب الذين جمعوا القرآن بحضرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وكانت لهم نُسخٌ من القرآن الكريم

---

١ ـ جفري : مقدمته في المصاحف، ص٥.

«كعلي قد رتبوا السور زمنياً، فروايةٌ لا تستحق التصديق ... مهما يكن من أمر أن علياً لم يقم بعمل كهذا. كما لا ننتظر من أي من اصحاب النبي أن يكون قام بهذا العمل العلمي التاريخي. [والمهم عند نولدكه] ولا ينبغي أن ننسى أن كل الروايات التي تتحدث عن علي كجامعٍ للقرآن ومحرر له تخضع للشك بأنها من اختلاق الشيعة»[1] فصار لديهم أمرٌ بديهي إلاّ يكون القرآن قد جُمع كاملاً في أيام النبي[2].

في النهاية وبعد هذا كله لم يستطع المستشرقون أن يأتوا برواية شيعية واحدة صحيحة صريحة معتبرة ـ لا أن يغترفوها كما يغترف الملاّح الماء من البحر ـ ممكن أن تثير شبهة حول جمع القرآن، لا يستطيعون أن يأتوا بها ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً. وسيتبين بتفصيل أكثر إن شاء الله في المبحث القادم لماذا أبعدوا الرأي القائل بجمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وآله وقبول الرأي المقابل.

المبحث الثاني

آراء المستشرقين في تدوين القرآن الكريم

توطئة:

لابدّ من التعرض لتدوين القرآن؛ لأنه مرتبط مع بحث جمع القرآن ارتباطاً وثيقاً؛ فكيف يكون هناك جمعاً إذا لم يكن هناك تدويناً؟ وكذلك لأنّ أغلب المستشرقين تناولوا هذه المسألة في بحث جمع القرآن.

---

١ ـ نولدكه: تاريخ القرآن، ج٢ ص٢٧٨.

٢ ـ ظ: م . ن: ج٢ ص٢٤٠.

في البدء هناك من يقسِّم الذين تناولوا موضوع التدوين إلى مدرستين فكريتين، أولاً: المدرسة (التقليدية) التي تبني حجتها، وتستنبط نتائجها مما يقدم لها الحديث النبوي من دلائل، وهذه المدرسة قد لا تتعامل بعض الأحيان مع الحديث تعاملاً درايتي، موضوعي، وثانياً: المدرسة (النقدية) التي لا تعدّ الحديث النبوي مصدراً تأريخياً مهماً، بذلكَ قد يكون اعتمادها على الرؤية الشخصية، على وفق القناعات المتأتية من قراءة الأحداث قراءةً مؤدلجة[1].

«وتضم المدرسة التقليدية مجموعتين أحدهما (التقديميين) وهم من لديهم الاستعداد للتساؤل عن صحة الأحاديث النبوية، وثانيهما مجموعة (المحافظين) وهم من يلتزمون بما جاء من آراء معروفة حول القيمة التاريخية للأحاديث النبوية. وبالمثل بالنسبة إلى المدرسة النقدية؛ التي وإن كانت تضم مجموعة من المتشددين والمستشرقين الجدد الذين يرفضون تماماً الاعتماد على الحديث، إلا أن هناك مجموعة أخرى اقل تشدداً تتزايد اعدادها التي ما زالت تضع الحديث مثاراً للشك، ولكنها لا ترفض تماماً المنهج الإسلامي وتبحث عن ارضية مشتركة للتعامل مع الجانب الآخر»[2].

فما رأيهم في ذلك؟ هل كُتب القرآن أم لم يُكتب؟ وهل دُوّن كاملاً أم بقيت مقاطع لم تُدون منه وبقيت في صدور الرجال والحفظة؟ وفي هذا المجال حاول المستشرقون أن يضخموا من مسألة (الحفظ) ويجعلوها المصدر الوحيد لبقاء القرآن الكريم، وأن المسلمين كانوا أشد الناس ذكاءً، وهذه الموهبة متأتية من الله سبحانه، وهذه ميزةٌ سجلها التاريخ لهم، وغيرها من أحلى انواع المديح غير المسبوق حول

---

١ ـ ظ: تيرنر، كولين، الإسلام الاسس، ترجمة، نجوان نور الدين، ص١١٣.

٢ ـ م . ن : ص١١٣ ـ ١١٤.

مواهب شدة الحفظ؛ للخروج بنتيجةٍ وهي: أن القرآن لم يُدوَّن في عهد النبي كاملاً ما دام محفوظاً في الصدور!!

المطلب الأول: عرض آرائهم في التدوين:

كانت للمستشرقين آراءٌ غريبةٌ، عجيبة ٌ في هذا الباب، وكيف لا تكون كذلك عندما تجد المستشرق الفرنسي بلاشير Blache، يُصوِّر بأن المسلمين لم يدركوا ضرورة تدوين القرآن لأنهم لم يعرفوا من قبل فكرة نصٍ مكتوبٍ، ويستغرب كونه حتى بعد ما اهتدوا إلى الكتابة على أيدي المسيحين واليهود في المدينة؛ لم يبدأوا بالتدوين، فقال ما نصه: «لا شك أن مفهوم النص المكتوب كان حاضراً في اذهان المهتدين المكيين الأُوَل الذين لم يجاوز عددهم المئة إبان الهجرة سنة ٦٢٢م. ولقد أمدهم بذلك المفهوم ما كانوا يعرفون من التوراة التي كانت بين ايدي المسحيين واليهود في المدينة، أو أناجيل نصارى نجران والحبشة الذين كانوا على علاقات تجارية بهم. ومع ذلك فإن أنصار محمد لم يشعروا مباشرةً بضرورة تدوين الرسالة الجديدة. ولقد يزيد هذا الأمر غرابة، أن تلك الرسالة وهي الأولى المتلقاة في اللغة العربية، تعلن عن ذاتها أنها آية من الله، السور: فصلت٣ [١]، والواقعة ٨٠ [٢]، والتكوير ١٩ (٣»)[٤].

لذلك ما دعاه أن يبني رأيه ويرسلها مسلمةً بـ«أن فكرة تدوين مقاطع الوحـي الهامة التي نزلت في السنوات السالفـة على مواد من الجلـود واللخـاف،

---

١ ـ قوله تعالى «كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» فصلت الآية: ٣.

٢ ـ قوله تعالى« تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» الواقعة الآية: ٨٠.

٣ ـ قوله تعالى«إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» التكوير الآية: ١٩.

٤ ـ بلاشير، ريجيس، القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ص ٢٨.

لم تنشأ إلا بعد إقامة محمد في المدينة. على أن الحاجة إلى التدوين لم تظهر فيما بعد إلا بين الحين والآخر»[1].

ممكن مناقشة هذا الكلام ببداهة: ألم تكن الدولة تحتاج إلى نظم إدارة حياة المجتمع آنئذ؟ فبماذا كانت تُدار أمور الحياة العامة وشؤونها، إن لم يكن هناك تدوين لدستورها المتمثل بالقرآن، وقد يقول قائل: إن النبي كان يكفي في ذلك؛ بوصفه معصوماً ومسدداً من قِبَل السماء، ويحفظ القرآن بعناية إلهية، وقد أُمر بأن يبين للناس ما نُزّل إليهم.

وهذا مردود من جهة أن النبي ﷺ مع كل هذا كانت من مهامه الأساسية، إرجاع الأمة وتربيتها للرجوع إلى القرآن، هذا ما دأب عليه في سياسته وسيرته الواضحة، وإذا ضممنا إلى ذلك، أمره بكتابة القرآن على ما سيظهر بوضوح لاحقاً.

وللحط من قيمة التدوين يقال: «إن زيد بن ثابت كان يحفظ بعض السور عندما استقر النبي في المدينة، وقد دوَّن بعض ما نزل على النبي من الوحي»[2].

ويشير بلاشير، بأن محمداً لم يعط أهمية لكتابة النص القرآني في حياته، وبقي مفهوم القرآن المكي النازل بمكة محفوظاً في ذاكرة المسلمين المكيين. وفكرة التدوين «ربما كانت تنشأ عن تحمس شخصي لبعض نصوص تشتمل على أدعية أو أحكام شرعية كانوا يرونها هامة، ولقد شجع النبي حماسة التدوين هذه، ولكنه لم يجعلها واجبة»[3].

---

١ ـ بلاشير، ريجيس، القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ص ٢٩.

٢ ـ فنسنك، A.J Wensinck، دائرة المعارف الإسلامية، ج١١، ص٩، مادة زيد بن ثابت.

٣ ـ بلاشير، ريجيس، القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ص٢٩.

وقد مشى مع ركب بلاشير في رأيه، المستشرق الالماني(بيترهاينه) في كتابه (الإسلام) فقال: «بعدما هاجر الرسول إلى المدينة واستوطن فيها تولى الصحابي زيد بن ثابت مهمة توثيق ما يوحى إلى النبي ... وكانت نصوص الوحي تُكتب على الرقاع، وأخرى على أغصان النخيل أو ألواح الخشب، وما تيسر من وسائل الكتابة في ذلك العصر»[1] وهذه الأقوال جرّأتهم لأن يقولوا أن القرآن لم يدون حتى في مكة «مما يعني أن القسم المكي من القرآن والذي يشكل حوالي ثلثي المادة القرآنية لم يُدوَّن مطلقاً، وعلى فرض أن محمداً كان قد دوّن بعض النصوص في مكة، فإنها فُقدت، لأن الحوليات التاريخية لا تذكر اصطحاب المسلمين لمدونات قرآنية أثناء ترحالهم للهجرة، إضافةً لذلك، لا نجد في المصادر التاريخية أي حديث عن كتبة للقرآن في مكة»[2].

ولماذا يجب أن تكون هناك حوليات تأريخية تذكراصطحاب المسلمين لمدونات قرآنية؟ أوَليس الأمرُ أمراً بديهياً، والأمر البديهي لا يُطلب بدليل، فاصطحابهم إياها كان أكيداً؛ لاهميتها الكبرى وقيمتها العالية، ثم اين ذهب راعي هذه الرسالة عن كل هذا (الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله)؟ بل على صاحب هذه الدعوى أن يدلنا على حوليات تأريخية تذكر عدم اصطحابهم لتلك المدونات، ولو سُلِّمَ جدلاً، بأن ثلثي القرآن لم يُدوَّن في مكة أو فُقد؛ اين تذهب الرواية التي تلهج بها اللوائح التأريخية، وهي عرض القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وآله، من قِبل جبرئيل، مرة في العام، وكأنها عملية مطابقة ما عند النبي صلى الله عليه وآله، مع ما أنزله الله عزَّوجل من قرآن في تلك الفترة، فبذلك ألا يستطيع تدوينه كاملاً في المدينة على وفق مبناكم

---

١ ـ هاينه، بيتر، الإسلام، ترجمة اسامة الشحماني، ص ٧٨ ـ ٧٩.

٢ ـ معضلة القرآن، ص٣١، كتاب على موقع:

http://www.christian-dogma.com/vb/showthread.php

(تدوين القرآن في المدينة) بعد ما يعرضه عليه جبرئيل؟ إذاً «والحال هذه، يصعب التصور أن محمداً لم يكن ينوي، منذ البداية، أن ينجز وثيقة للوحي أو أن يثبته كتابةً»[1].

فتبعاً لتلك المقدمة الخاسئة ـ والنتيجة تتبع أخَّس المقدمات ـ استنتج المستشرق (هاينه) بأنه لم يُدون القرآن كاملاً في حياة النبي ﷺ، إلا بضعٌ منه وعزا ذلك للروايات فقال: «وتؤكد الروايات التاريخية على أن أجزاءً من الوحي كانت قد تمت كتابتها في حياة الرسول»[2].

وأراد أن يؤكد فقط «في أثناء حياة النبي محمد حرص أتباعه على حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ومنهم من قام بكتابته وتثبيته على سعف النخيل، والأحجار أو قطع من الخشب وغيرها مما يكتب عليه في ذلك الوقت، ولكن كل هذه النصوص خضعت لعملية التحرير والكتابة المشكلة بعد وفاة النبي»[3] ومعه بروكلمان قال: «لعل نجوماً متفرقة من الوحي كانت قد كُتبت في حياة الرسول. ولكن اكثر الوحي كان يروى بلا ريب شفاهاً من الذاكرة فحسب، فلما غاض بوفاة الرسول منبع الوحي الذي كان قيِّماً على حياة الأمة، أجمع المسلمون كلمتهم على تسجيل كل ما كان ممكناً جمعه بعد من القطع والاجزاء»[4] إشارة إلى كون عدم وجود إمكانية جمعه بالكامل، وهذا ما وصل إليه المستشرق الألماني شبرنجر Sprenge من نفس الدهليز الذي سعى فيه غيره من المستشرقين (وهو: موهبة الحفظ في الذاكرة) توصل إلى «إننا غير متأكدين فيما لو أنهُ أنتج كتاباً كاملاً أم

---

١ ـ نولدكه، تاريخ القرآن، ج٢، ص٢٣٧.

٢ ـ هاينه، بيتر، الإسلام، ترجمة اسامة الشحماني، ص٧٩

٣ ـ م . ن: ص ٨٠.

٤ ـ بروكلمان، كارل، تاريخ الادب العربي، ج١، ص١٣٩.

لا، أو فيما لو جمع القرآن من خلال الكتابة ولكن ما تأكدنا منه هو أنّ القرآن كان محفوظاً في الذاكرة والقلب»[1].

وهذا ما دأبَ عليه المستشرقون، التركيز والتأكيد على مسألة الحفظ القلبي، في مقابل عدم الكتابة والتدوين، وما يميز المسلمين، شدة وقوة الحفظ في الصدور، إشارة منهم إلى أن السبيل الوحيد لتسجيل القرآن هو ما عَلُقَ في صدور صحابة النبي ﷺ. وهذا ما نراه جلياً فيما تبناه المستشرق ونتر بأن «القرآن الكريم، الذي نشأ دون اعتبار للتدوين التحريري(المكتوب)، وإنما فقط وفق الاعتماد على الذاكرة وما حُفظ منه ... كان قد ترك فجوات شك وريبة عند وفاة النبي»[2].

ويظهر أيضاً عند المستشرق (غيرهارد بويرينغ) وهو يردد متأثراً بزملائه، بأنه بعد موت محمد، واجه المسلمون ثلاث مهمات أساسية: أن يجمعوا النص القرآني، وتأسيس هيكلية نص من الحروف الساكنة، وإتمام العمل بنص مضبوط بعلامات للحركات[3] «وقد انبثق هذا السيناريو من افتراض أن محمداً لم يترك نصاً مكتوباً كاملاً للقرآن وأن القرآن حُفظ أساساً بصيغة شفهية في ذاكرة عدد كبير من مستمعيه المباشرين، علاوة على صيغة كتابية من قبل الكُتّاب خلال حياته»[4].

---

1 - A . Sprenger , Leben und die lehre Mohammad , (Berlin - P , XXXl .

نقلاًعن: الغزالي، د. مشتاق بشير، القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، ص١٢١.

2 - Winter, Der Koran, P , 10.

نقلاً عن: الغزالي، د. مشتاق بشير، القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، ص١٢٥.

٣ ـ ظ: بويرينغ، غيرهارد، بحث بعنوان: البحث الأحدث حول بناء القرآن، جاء ضمن كتاب: (القرآن في محيطه التاريخي) كتاب يتضمن مجموعة من البحوث، اعداد جبرئيل سعيد رينولدز، ص ١٢١.

٤ ـ م . ن: ص١٢١. وكذلك ينظر: موريس غ . ديموميين، النظم الإسلامية، ص ٨٥.

وعلى نفس الشاكلة المستشرق الأمريكي إرفنج في كتابيه: حياة محمد ـ (LIFES OF MAHOMET)، وكتاب: محمد وخلفاؤه، أراد أن يؤكد، كحقيقة تاريخية أن القرآن الكريم قد نزل بمناسبات مختلفة وقام بتدوينه أُناس، واحتفظوا بالتدوينات في صندوق كانت تحرسه إحدى زوجات الرسول ويكتفون أحياناً بحفظ القرآن في الصدور وظل متفرقاً إلى يوم وفاته[1]؛ لأنه «لم يقم المسلمون في حياة الرسول بتدوين القرآن تدويناً شاملاً منظماً، وظل القرآن حتى وفاته في ذاكرة المسلمين»[2]، إذ «كانت ذاكرة العرب المدهشة المستودع العظيم للقرآن»[3].

وهذه الكلمة قد تشد آذان السامع لها وتبهره، لما فيها، من أن القرآن كان محفوظاً والحمد لله تماماً في ذاكرة المسلمين، لكنها كلمة حقٍ أُريد بها باطل، والقصد منها لايحتاج إلى عناء لمعرفته، فهناك مقدمتان مطويتان، ثم نتيجة في هذا الكلام، ترددت وعزفت عليها أوتار المستشرقين، فالمقدمة الاولى: «مهما كانت المجهودات التي قام بها الصحابة الأوائل لحفظ القرآن بشكل كامل فإن ذاكرة الإنسان تبقى دائماً عرضة للنقصان والخطأ. إذا أخذنا بعين الإعتبار طول القرآن»[4] والمقدمة الثانية: «إن أبا بكر كان أول من قام بتدوين القرآن وهناك أدلة عديدة على أن القرآن كان غير مكتمل وقت تدوينه في مصحف واحد»[5].

---

١ ـ ظ: إرفنج، واشنتن، محمد وخلفاؤه،، ص ٤٥٣ ـ ٤٥٤.

2 - IRVNG, WASHINGTON, LIVES OF MAHOMET, P, 143.

وينظر النسخة المترجمة: ارفنج، واشنتن، حياة محمد، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤، وينظر: لنفس المؤلف، محمد وخلفاؤه، ص ٤٥٣ ـ ٤٥٤.

٣ ـ سل، كانون، تدوين القرآن، ترجمة، مالك مسلماني،ص٤. وينظر: بودلي، حياة محمد، ص٢٩٠.

4 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p , 27.

5 - Ibid , p , 26.

والنتيجة هي: «لا يوجد أساس في التاريخ أو الحقائق أو الادلة على تطور النص لدعم الفرضية التي يعتز بها المسلمون وهي أن القرآن قد تم حفظه سليماً وبشكل مطلق إلى آخر نقطة وحرف»[1]، بعد ذلك لا أدري هل من حق المستشرق جون جلكريست، أن يتساءل، بعد ما ينقل مايتردد على ألسنة كتابات المسلمين: من أن كل الحُفّاظ من أصحاب محمد كانوا يعرفون القرآن بأكمله عن ظهر قلب، كلمةً كلمةً وحرفاً حرفاً وزعم أحد علماء المسلمين، أن هذه القدرة الهائلة على حفظ القرآن هي موهبة إلهية، وإن قوة الذاكرة ملكة وهبها الله للعرب لدرجة أنهم كانوا يحفظون الآلاف من أبيات الشعر ببالغ السهولة. الإستعمال الكامل لهذه الموهبة هو ما مكن من حفظ القرآن وصيانته من الضياع[2]، هل من حقه التساؤل: إذا كان الصحابة وزيد على رأسهم يتوفرون على مقدرة هائلة في الحفظ والإستظهار بدون أي غلط أو نقصان و برعاية ربانية ـ هذه هي الفرضية الإسلامية ـ فالنتيجة المنطقية، أن عملية جمع القرآن لن تكون إلا سهلة. ولم يكن على زيد إلا أن يكتب ما كان يحفظ من القرآن في ذاكرته و يطلب من الصحابة أن يضبطوا ما كتب. فلماذا نجد زيد ومن غير المعقول يقوم بجمع القرآن بالشكل الذي فعله، من مختلف المصادر: فتتبعت القرآن أجمعه من العسب و اللخاف و صدور الرجال[3].

وبذلك يصل إلى النتيجة المتوقعة مما تقدم بأن «القرآن نجد أن محتواه كان موزعاً بشكل واسع في ذاكرات الناس بينما كانت بعض أجزاءه مكتوبة على مختلف المواد التي كانت تستعمل آنذاك في الكتابة لكن لم يكن هنالك أي نص

1- Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p , 138.

2 - see: Ibid , see: p , 23.

3 - see: Ibid ,see: p, 23.

موحد أمر به للأمة الإسلامية»[1]، فإن استظهار القرآن وحفظه عادة قديمة عند المسلمين، وهذه العادة كانت لها أهمية عظمى في صدر الإسلام لحفظ القرآن سالماً من التغيير والتحريف لعدم انتشار المطابع في ذلك الوقت[2].

على النقيض من ذلك، نجد المستشرق لامنس H. Lammens، لا يعترف أن القرآن محفوظ في ذاكرة الرجال والصدور؛ لأنه ينفي أصلاً ويشكك بوجود حفظة وقراء للقرآن بهذا العدد، بل ويذهب أبعد من ذلك في بحثه في دائرة المعارف الإسلامية، تحت مادة (بئر معونة)[*] والحادثة المشهورة في مقتل سبعين رجلاً من قراء القرآن، يرى أنها من اختراع المسلمين؛ لاثبات كثرة قراء القرآن فقال ما نصه: «لم تكن هناك حاجة تتطلب ٧٠ قارئاً لتحفيظ القرآن، بل لا شك في أنه لم يكن في المدينة حينئذ مثل هذا العدد. وكان النبي في مثل هذه الأحوال لا يرسل سوى قارئ أو اثنين فقط (الأغاني، ج٦ ص١٩، ٩ الخ) وقد اخترع المحدّثون هذه القصة لتغطية حملة خانها التوفيق ولإثبات كثرة عدد القراء وشدة قدمهم ولإسباغ القداسة عليهم ... ومن المحتمل أن يكون (أبو براء) قد سأل النبي أن ينصره على منافسه عامر بن الطفيل؛ وكانت خطة النبي تقتضي التدخل في مثل هذه الأمور الدنيوية؛ ولذلك فقد أنفذ سبعين فارساً من الانصار باغتهم بنو سليم قرب بئر

---

1 - Ibid , p, 21.

٢ ـ ظ: مقالة ترجمها للعربية سليم قبعين، عن جريدة ترجمان الروسية، ونشرها في كتاب، حكم النبي محمد، للفيلسوف الروسي تولستري، ص٥٣.

* ـ بئر معونة: وهو ماء من مياه بني سليم وهو بين أرض بني عامر وأرض بني سليم، و قصة سرية بئر معونة معروفة في كتب السير والمغازي والتاريخ والحديث، عندما أرسل الرسولﷺ، سبعين رجلاً من الانصار يسمون القراء (قراء القرآن) كانوا يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل ويتعلمون، فأرسلهم، يدعون بني عامر للإسلام و يعلمونهم القرآن والسنة، فلما نزلوا ببئر معونة، غدروا بهم المشركين وقتلوهم ظلماً. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ج٢، ص٥١.

معونة وأفنوهم»[1].

وقد نوقش هذا الكلام، بأن المسلمين ليسوا بحاجة لاختراع الأكاذيب، فهم كانوا يحاربون المشركين في عهد النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وبعده، وكانوا ينتصرون كما كان ينتصر عليهم عدوهم، وزعمه (لم يكن في المدينة مثل هذا العدد) قولٌ بلا دليل ومحاولةٌ لرد ما تواتر من الأحاديث الصحيحة والأخبار المتعلقة بالإسلام، وقوله (إنّ النبي لايرسل سوى قارئ أو اثنين فقط) وأرجع القارئ إلى مستند مدعياً وجود النص، فلايوجد شيء في الموضع الذي أشار إليه، وفي الطبعة الاصل الفرنسية لدائرة المعارف، وُجد فيها (الأغاني ج٤، ص١٩، ٩ الخ) وبعد الرجوع إلى الجزء الرابع (من ص١٧ إلى ٣٣) وُجد فيه قصة غزوة بدر؛ فما الداعي لمجانبة الحقيقة؟[2].

أما (سيديو) فيجعل من المسلمين مرتبكين عند وفاة النبي ﷺ بعدم معرفتهم بترتيب القرآن لأنه برأيه «لم يُدَوَّن القرآن تدويناً متتابعاً، فكانت الأحوال تُملى على محمد مايُنذِرُ به قومه، فارتبك المسلمون، حتى عند وفاته، في الاهتداء إلى ترتيب ما أُنزل إلى النبي ترتيباً تاريخياً، وقام أبو بكر بهذا العمل فأتمَّه الخليفة الثالث عثمان في الحقيقة»[3]. إشارةً منه إلى ماجاء في الروايات الإسلامية من ترتيب للسور من قبل الصحابة، بتقديم السور الطوال على القصار، أو إلى ما جاء

---

١ ـ لامنس، هنري، H. Lammens، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة وتحرير، ابراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، د عبدالحميد يونس، ج٨، ص٥٦٤، مادة بئر معونة.

٢ ـ ظ: أحمد محمد شاكر، دائرة المعارف الإسلامية، ج٨، ص٥٦٥-٥٦٦، تعليق على مادة «بئر معونة».

٣ ـ سيديو، تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، ص٧٤. وينظر: كتابه، خلاصة تاريخ العرب، ص٧١.

من روايات عند جمع القرآن في مصادر المسلمين، منها: أنهم تركوا آيتين لم يكتبوها وذكَّرهم بها خزيمة بن ثابت وإنهم تساءلوا فيما بينهم، أين يضعونها، فخُتمت بها براءة[1].

بينما المستشرق سوردال يدعي في كتابه (حضـارة الإسلام الكلاسيكـية ـ Ia classique civilisation de l'Islam) بأنه يستدل بالآثار الإسلامية، بأن القرآن لم يُسجَّل كاملاً في حياة النبي إلا من خلال الحفظة، بقوله: «إن الآثار الإسلامية نفسها تدل على عدم قيد الآيات القرآنية بالكتابة تحت رقابة النبي محمد، ولا هو ضمّها ضمن مجموع كامل، بل اكتفى فقط قبيل وفاته بالإعلان عن نهاية الوحي، الذي امتدَّ على مدة سنوات طويلة، وتم تبليغه نجوماً بحسب الاقتضاءات.

ومبادرة بعض الصحابة هي وحدها التي تفسر تدوين مختلف المقاطع تدريجياً وبطريقة غير منتظمة وبأدوات بدائية مختلفة، انصرف عنها التسجيل في نسخ إلى ذاكرة بعض الحفظة»[2].

ونولدكه يستبعد ما ذهب إليه شبرنجر Sprenger ، من أن محمداً لم يكن ينوي، من البداية، أن ينجز وثيقة للوحي أو أن يثبته كتابةً، وأنه لا وجود لأخبار وثيقة عن تفاصيل عملية تدوين القرآن وحفظ مادته؛ إلا تلميحاً من القرآن

---

١ ـ راجع الفصل الاول من هذا الكتاب ص٢٢.

2 - D. et j. sourdel: la civilisation de l'Islam classique ;p 120- 121.

نقلاً عن: مغلي، د. محمد البشير، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر، ص ٢٥٢. وقريب من هذا الرأي ينظر: موير، ويليام، في كتابه، القرآن نظمه وتعاليمه، وشهادته للكتب المقدسة، ترجمة، مالك مسلماني، ص ٢٥.

نفسه، كما في سورة العنكبوت الآية ٤٧-٤٨ [١].

ومن سفه القول إن نولدكه يرى: أن محمداً كان ينوي التدوين، لكنَّ همَّه كان منصباً لأجل أن يعترف الجمهور به كرسول، فبقي التدوين مجرد فكرة لم تدخل حيز التنفيذ، بقوله: «رغم الأهمية التي يعطيها محمد للتدوين، لا يمكننا أن نتوقع مقداراً كبيراً من الكمال أو أمانة حرفية، أقله في مكة، حيث كان صراعه لكسب اعتراف الناس به مرسلاً من الله صراع حياة أو موت. بسبب الظروف الخارجية الضاغطة، بقي التدوين، حتى ولو كان في نية محمد منذ البداية، مجرد مشروع لأكثر من مرة»[٢].

وكما هو معهود، فالحفظ في الذاكرة هو الأساس« ربما كانت هناك أيضاً عمليات تدوين أخرى تتفاوت في حجمها ... إلى جانب هذا، كان هناك الحفظ في الذاكرة، الذي كان، في وقت كانت القراءة والكتابة من الفنون النادرة، ذا أهمية كبيرة. اضافة إلى العدد غير القليل من الصحابة الذين حفظوا غيباً مقاطع قصيرة، بقدر ما كان هذا ضرورياً لتلاوة الصلوات»[٣]. وبذلك وعن طريق هذا النموذج من المقدمات يصل إلى النتيجة المعدَّة سلفاً، وهي، ضياع كثير من القرآن؛ لأن أفراد الصحابة استطاعوا أن يحفظوا جزءاً من القرآن في صدورهم، لم يدوّن نصّه أبداً أو ضاع في ظروف معينة، من الفقدان التام[٤]. وأبعد من ذلك يذهب

---

١ ـ ظ: نولدكه، تاريخ القرآن، ج٢، ص٢٣٧. قوله تعالى«وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاّ الْكَافِرُونَ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتَابَ الْـمُبْطِلُونَ» العنكبوت ٤٧-٤٨.

٢ ـ نولدكه، تاريخ القرآن، ج٢، ص ٢٣٩.

٣ ـ م . ن: ج٢، ص ٢٣٩. وينظر: بروكلمان، كارل، تاريخ الادب العربي، ترجمة، د.النجار، ج١، ص١٣٩.

٤ ـ ظ: نولدكه، تاريخ القرآن، ج٢، ص ٢٣٩.

المستشرق (كيس فيرشتيخ) في كتابه (اللغة العربية، تاريخها ومستوياتها وتأثيرها)، يذهب إلى عدم احساس العرب والمسلمين بحاجة الكتابة إلا«عندما بدأ المسلمون في جمع القرآن وتسجيله، أحس الناس بالحاجة إلى نظام كتابة موحد وواضح. وعزى الناس إلى نحويين كثيرين، من بينهم المخترع المزعوم للنحو العربي أبو الأسود الدؤلي»[1] إشارة منه، ولو على بعدٍ، لعدم الاهتمام بتدوين القرآن الكريم.

وعلى نفس النهج المستشرق الفرنسي هنري ماسيه، قال: «عند وفاة محمد لم يكن هناك أية مجموعة للنصوص القرآنية قررت بشكل نهائي. وما من شك في أن عدداً من مجموعة الوحي الأول لم تكن قد حُفظت»[2] وبطبيعة الحال يصل إلى النتيجة المشتركة لجميع ما أدلى به المستشرقون، والتي لا تحتاج إعمال العقل من اجل استنباطها وهي:« ما من شك ـ ويجب تكرار ذلك ـ في أن القرآن كما وصل الينا لا يتضمن الوحي كله»[3].

وهذا طبيعي إذا لم يتم تدوينه كله في عهد الرسالة، سوف لا يصل إلينا كاملاً حتماً. لكن لا يمكن أخذ هذه الآراء كالمسلَّمات، مع وجود ما يثبت خلاف ذلك باستفاضة الدلائل العقلية والنقلية كما سيتبين في المطلب اللاحق.

المطلب الثاني: مناقشة الآراء:

بالإمكان مناقشة آراء المستشرقين في تحرير القرآن، عبر محورين:

---

١ ـ كيس فيرشتيخ: اللغة العربية، تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ص ٧٧.

٢ ـ ماسيه، هنري، الإسلام، ترجمة، بهيج شعبان، ص١٠٥. والنسخة الانكليزية:

L"Islam, H.MASSE p, 100.

٣ ـ م . ن : ص ١٠٨. ومراجعة النسخة الانكليزية:

L"Islam, P, 97.

أولاً ـ المستشرقون القائلون بتدوين القرآن في عهد النبي ﷺ :

فما كتبه ونقله وتبناه طائفةٌ أخرى من المستشرقين، لها رأيٌ مغايرٌ عمَّا رآه الآخرون، فاذا حصل التناقض بين الرأيين؛ فلماذا نأخذ بهذا الرأي أو ذاك من دون غيره؟ أما لو وجدت مؤيدات وشواهد نقلية وعقلية، تدعم أحد الرأيين، بذلك لا يسع المنصف إلا أن يركن إليه.

حيث نجد (بودلي) عندما يتحدث عن القرآن في مقدمة كتابه (حياة محمد)، بأنه دُوّن بعناية نبوية، بخلاف الكتاب المقدس، فقال : «ويُعرف هذا الكتاب بالقرآن، وهو اليوم كما كان يوم كتب لأول مرة تحت إشراف محمد. وعلى الرغم من أن الافكار قد دُونت في الرقاع وسعف النخل والعظام في لحظات غريبة، فإن السور والآيات الأصيلة قد حُفظت، وما عمل هذا، كما هو الحال في العهد القديم والعهد الحديث، بعد قرون أو حتى عشرات السنين بعد موت المؤلف»[1].

وهكذا آرثر جفري، يقرر ذلك لكن على استحياء، فنراه يورد كلمة(قيل) ـ وهو فعلٌ يُبنى فاعله للمجهول كما معروف، وقد يُراد منها التقليل والتضعيف ـ في مقدمته المشهورة لكتاب المصاحف «قيل ان النبي كان كلّما نزلت عليه آيات أمر بكتابتها وكان يعرض على جبريل مرة في كل سنة ما كتب من الوحي في تلك السنة»[2].

على النقيض من ذلك نجد وبكل ثقة، المستشرق الفرنسي موريس بوكاي، يؤكد بأن القرآن قد ثبت ودُوّن في عصر النبي وفور تنزيله أولاً بأول، كان الكتبة من صحبه يدونونه، وكان والمؤمنون من حوله يتلونه عن ظهر قلب، وأثبت

---

١ ـ بودلي، الرسول حياة محمد، ص ١٠.

٢ ـ جفري، آرثر، مقدمة كتاب المصاحف، ص ٥.

خلاف ما ردده (بلاشير) وغيره من المستشرقين، من عدم إثبات القرآن تحريرياً في مكة؛ بل أفاد أن ما أُنزل على النبي من القرآن قبل هجرته من مكة إلى المدينة (أي قبل عام الهجرة) كان مثبوتاً بالكتابة ويستشهد بآيات قرآنية على ذلك[1]، ويقول: «من غير المعقول أن يشير القرآن إلى أمور لا تتفق مع الواقع، على حين يمكن التحقق منها لدى كتبة النص من صحب النبي ﷺ وهناك أربع سور تشير إلى تسجيل القرآن قبل أن يغادر النبي ﷺ مكة عام٦٢٢م»[2]، ومن الآيات التي يستشهد بها: قوله جلَّ وعلا: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (البروج٢١-٢٢) ومن سورة الواقعة في قوله عزَّ من قائل ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الواقعة٧٧-٨٠)، ومن قوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ * فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ (عبس: ١١-١٦) .

هذا وإن المستشرق الفرنسي جاك بيرك في مستهل مقدمته لترجمة القرآن، تبنّى رأياً مغايراً تماماً لبلاشير، «بأنه وفقاً للمصادر التراثية فإن تدوين القرآن قد بدأ مع بداية الرسالة»[3]، لكنه كغيره، يوكلُ التوثيق للذاكرة كما رآها المسلمون على حد تعبيره، فيقول: «وسرعان ما أدى ذلك إلى تجميعات وقد ظلت هذه المحفوظات مجزأة، حيث كان المسلمون يرون أن ذاكرة الرواة أكثر صدقاً من الوثائق وذلك نظراً للأهمية التي تضفيها هذه المجتمعات على الصوت الآدمي»[4].

أما (لوبون) فيعترف بأن القرآن مدوّن في عهد النبي ﷺ، لكن على طريقته

---

١ ـ ظ: بوكاي، موريس،القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ١٥٩ ـ ١٦٠.

٢ ـ م .ن، ص ١٦٠.

٣ ـ بيرك، جاك، نقلاً عن ابي العلا، محمد حسين، القرآن وأوهام مستشرق، ص ١٣.

٤ ـ م . ن: نفس الصفحة.

هو، بحيث يلغي دور القرآن التأسيسي ويصور بأن القرآن «كُتب تبعاً لمقتضيات الزمن بالحقيقة، فإذا ما اعترضت محمداً معضلةٌ أتاه جبريل بوحي جديد حلاً لها ودُوِّنَ ذلك في القرآن»[1].

وكذلك جلكريست استشهد بالآيات الآنفة الذكر من سورة عبس، بما يُستدل منها أن القرآن مدوَّن كتابياً[2]، وبخصوص تدوينه في المرحلة المكية بالتحديد، استدل برواية إسلام عمر بن الخطاب، بقوله: «هناك أيضاً حجج على أن أجزاءاً مما كان موجوداً من القرآن في المرحلة المكية كتب آنذاك. هناك رواية تحكي أن عمر بن الخطاب حين كان لا يزال كافراً ضرب أخته في بيتها بمكة حين سمعها تقرأ بعض القرآن فلما رأى ما أصابها من الدم قال لها: أعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد»[3]، وبعد استدلاله هذا، يصِّرُ جلكريست قائلاً: «مع هذا يتضح لنا أن الحفظ كان هو المنهج السائد إلى حين وفاة محمد و كانت تعطى له أهمية أكبر.... لقد كان بعض الصحابة المقربون من محمد يكرسون كل جهدهم لتعلم القرآن حفظاً عن ظهر قلب»[4].

وما المانع أن يُحفظ القرآن ويدوَّن كاملاً في نفس الحين؟ ألم تُكتب وتُدوَّن سورة طه كما في الرواية المتقدمة؟ فلماذا لا نستطيع تعميم ذلك على باقي السور؟ وهل يجب على المسلمين أن يأتوا لكل سورة من سور القرآن باستدلال كالمتقدم؟ لكن جلكريست يبحث عن «معلومات كافية عن مقدار ما تمت كتابته من نص القرآن في عهد محمد. فبالتأكيد ليس هنالك أي دليل على أن مجموع القرآن كتب

---

١ ـ لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص١١٧.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN: see, P 18.

3 - Ibid , P, 18.

4 - Ibid , P, 19.

آنذاك في مصحف واحد سواء تحت الإشراف المباشر لمحمد أو غيره»[1].

بل هناك من المعلومات كافية، بما يدل أن القرآن تمت كتابته كاملاً في عهد الرسول الأكرم محمد ﷺ، وهذا ما ارتآه وتبناه جملة من المستشرقين، كما أُشير إليه قبل قليل، وما سيأتي من الشواهد والمؤيدات على ذلك:

١. من جملة ما استشهد به بوكاي قوله جلَّ شأنه﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ (الفرقان: ٥)، «والمقصود هنا الإشارة إلى اتهامات أعداء النبي له بالكذب والإدعاء... وأياً كان الأمر فالآية تشير إلى هذا التسجيل بالكتابة الذي ينوه به حتى أعداء محمد»[2].

٢. من جهةٍ أخرى استشهد درمنغم، في كتابه حياة محمد THE LIFE OF MAHOMET[*] بما كان ينزل من الوحي، وكان بعض المسلمين يكتبونه كما يمليه عليهم النبي ﷺ فلما أُنزلت عليه ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ النساء: اية ٩٥ ـ شكى ابن أم مكتوم ضرارته[**] وكان زيد بن ثابت يكتب ذلك، فنزل عليه

---

1 - Ibid , P , 19.

٢ ـ بوكاي، موريس، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ١٦١.

* ـ ان استخدام هذه التعبيرات الصادرة من كثير من المستشرقين لاسم الرسول محمد ﷺ، بصيغة (Mahomet) لم تأت اعتباطاً بل انها تحمل معاني توافق والخط الذي سار عليه الكتَّاب اللاهوتيين وكذلك تعبير (Mahound, Mamutius , Maomatto , Mahound) وتعني في اللغة اللاتينية، اله الظلام. ويعد دانكونا D'Ancone من أوائل المنادين بهذه الآراء المتطرفة المعادية في كتابته القديمة باللغة الايطالية الموسومة (La Leggenda di Maomatto im occidenta) (اسطورة محمد في الشرق)، وتركزت في كتابات جيوبرت Guibert وهيلدبرت Hildebert وهما من رجال الدين في القرن الحادي عشر، وظهرت هذه التعبيرات في كتابات بطرس الناسك في القرن الثاني عشر للميلاد. ينظر: ناجي، عبد الجبار، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، ص٨٧.

** ـ أي ذهاب بصره.

الوحي ثانياً ... ثم تلا محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ بعد ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] إشارة إلى ما روى البخاري «عن البراء قال لما نزلت ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، اُدع لي زيداً وليجئ باللوح والدواة والكتف أو الكتف والدواة ثم قال أكتب لا يستوى القاعدون ...»[2] ولا ريب بوضوح دلالة هذه الرواية، في كتابة القرآن الكريم أولاً بأول.

٣. وهناك روايةٌ، دالّة على وجود كتبة للنبيﷺ في مكة، وربما يعدَها البعض بأنها «الإشارة الوحيدة التي يُفهم منها وجود كاتب تتصل بعبد اللهِ بن أبي سَرْحٍ، الذي رُوي أنه كتب القرآن لمُحمّد في مكة»[3]، وعليه تبنى ذلك المستشرق الفرنسي (كليمنت هوار Célmemt Huart في كتابه الادب العربي La Littérature Arabe) انه حينما كان يأتي الوحي لمحمد، كان يدعو احد كتّابه، ولاسيما عبدالله بن سعد، فيملي عليه ما نزل ويأمر فتوضع في هذا الموضع أو ذاك من المصحف[4] فقد جاء في كثير من التفاسير، سبب نزول قوله تعالى ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (الانعام: ٩٣)، «نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي، وكان يكتب

---

1 - DERMENGHEM, EMILE, THE LIFE OF MAHOMET, see: p, 253.

وينظر: النسخة العربية، درمنغم، إميل، حياة محمد، ترجمة محمد عادل زعيتر، ص ٢٤٧.

٢ ـ صحيح البخاري، ج٤، ص١٦٧٧. باب كاتب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم.

٣ ـ معضلة القرآن، ص٣١:

http://www.christian-dogma.com/vb/showthread.php

4 - Huart, Célmemt, La Littérature Arabe, see: p,33.

كليمنت هوار، الادب العربي، نقلاًعن: عوض، د ابراهيم، دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه، ص١٤٥.

للنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، فكان إذا قال سميعاً عليماً كتب هو عليماً حكيماً، وإذا قال عليماً حكيماً كتب غفوراً رحيماً، وأشباه ذلك فلما نزلت ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ المؤمنون: ١٢ ـ أملاها رسول الله، عَجِبَ عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال: تبارك الله أحسن الخالقين. فقال: رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، أكتبها فهكذا نزلت، فشك عبد الله وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إليّ كما أوحي إليه ولئن كان كاذباً لقد قلت (كما كتب)، فارتدّ عن المسلمين ولحق بالمشركين»[1].

الشاهد المهم في هذه الرواية، إنها دالّة بوضوح إنه كان يكتب كثيراً من القرآن للنبي في مكة، خصوصاً وإن الآية مكية، بغض النظر عمّا سيصطاده المستشرقون من هذه الرواية، لإثبات غير ذلك، كما فعل بلاشير، واستدل أن القرآن قد يُزاد فيه من كلام كُتّاب الوحي، إذ قال عن كتبة الوحي: «وإذا كنا نستطيع أن نثق ببعضهم ثقة مطلقة، فماذا نقول في رجل كعبد الله بن أبي سرح، الذي ارتدّ وافتتن بأنه كان يكتب(غفوراً رحيماً) حيث كان النبي يملي عليه (عزيزاً حكيماً»[2]، وإرفنج أدلى بدلوه في بئر هذه القصة قائلاً: فمن هذه القصة يمكننا أن ندرك ما دخل على القرآن من تحريف، وربما يكون السبب من عدم التناسق والتكرار؛ لأن القرآن لم يُدوَّن وقتئذ إلا جزء بسيط منه، وظل الباقي في

---

١ ـ الثعلبي، تفسير الكشف والبيان، ج٤، ص١٧٠. وينظر: الألوسي، روح المعاني، ج٩، ص٢١٨، وينظر: فخر الدين الرازي،، مفاتيح الغيب ـ المعروف التفسير الكبير للفخر الرازي،ج١٣، ص٦٧. وينظر: الشِيرازي، الشَيخ نَاصِر مَكارم، تفسير الامثل، ج ٤، ص ٢٣٥، وينظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢٠١.

2 - Blachere , Introduction au coran , P, 12.

نقلاً عن: الغزالي، د مشتاق بشير، ص ١٣١.

الذاكرة[1].

يدفع هذا القول روايةٌ أخرى، أوردها الطبراني، في المعجم الكبيرعن «زيد بن ثابت قال: كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، وكان يشتد نفسه ويعرق عرقاً شديداً مثل الجمان ثم يسري عنه فأكتب وهو يملي عليَّ فما أفرغ حتى يثقل فإذا فرغت قال: اقرأ فأقرأه فإن كان فيه سقط أقامه»[2]، فلايمكن أن تمرَّ كلمةٌ على رسول الله، من غير تمحيصٍ دقيقٍ. والأمر قد لا يحتاج إلى عشرات من الكتبة، فكاتب واحد قد يجمع كل ما تفرق من نصوص، ولاريب أن حُفاظ القرآن كانوا بالعشرات، بل ربما المئات.

وربما هنا، قائلٌ يقول ـ وليكن جلكريست ـ إن هناك رواياتٍ مفادها: أن محمداً كان هو نفسه عرضةً لنسيان بعض أجزاء القرآن، وبالتالي إمكانية فقدان بعض أجزاء النص القرآني واستدل بالرواية [3] «حدثنا موسى يعني ابن إسمعيل حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن عروة عن عائشة أنّ رجلاً قام من الليل، فقرأ فرفع صوته بالقرآن فلما أصبح قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم رحم الله فلاناً كأين من آية أذكرنيها الليلة كنت قد أسقطتها»[4]، واعتمد التفسير

---

١ ـ ظ: ارفنج، واشنطن، حياة محمد، ص٢٩٥.

٢ ـ الطبراني، المعجم الكبير، ج٥، ص١٤٢، وينظر: الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج١، ص٣٨١.

3 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, see: P, 29.

٤ ـ هذه الرواية استغلها جلكريست بنقلها عن سنن ابي داود، كتاب الحروف والقراءات:

Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN:P, see: p29.

راجع سنن ابي داود، كتاب الحروف والقراءات، كتاب التطوع، باب فِى رَفْعِ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ فِى صَلاَةِ اللَّيْلِ، ج٤، ص٥٥، رقم ح ٣٩٧٢، وراجع م . ن، ج١، ص٥١٠، رقم الحديث: ١٣٣٣، والرواية صححها الالباني، راجع، الالباني، كتاب صحيح ابي داود، ج ٥، ص ٧٦.

الخاطئ للآيات القرآنية، فأردف قائلاً: «إن محمداً لم ينس بعض الآيات تلقائياً بل الله هو الذي أنساه إياها مقيماً بذلك عبرة للمسلمين ... القول بأن النسيان كان من الله يعتمد على الآية التالية: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ١٠٦)، ... كلمة ننسها أصلها من فعل نسي الذي يعني أينما وجد في القرآن ـ وردت ٤٥ مرة على مختلف الأشكال ـ فقدان الشيء من ذاكرة الإنسان»[١] وشاطره في هذا الرأي مونتجمري وات، في كتابه الإسلام والمسيحية[٢].

إذاً، على طول المرحلة المكية، وكذلك أثناء بعض الفترات المدنية كانت الذاكرة هي الأداة الرئيسية في تسجيل نصوص القرآن، ولكن الذاكرة أداة لا يُعتمد عليها، بل كانت تخون مُحَمَّداً نفسه[٣].

هنا جلكريست، تشبث وتعلَّق بأهداب هذه الرواية، محاولةً منه تطويع الرواية، زيادةً على ذلك لقَّحها بالفهم غير الصحيح والمغلوط للآية القرآنية؛ لتكتمل ولادة النتيجة المتقدمة الذكر؛ لذا سيدور النقاش، مدار ما استدل به (الرواية، والآية).

وقبل الدخول في التفاصيل، هناك نقطة في قول جلكريست السابق، يتصور أنها ستمر مرور الكرام، قوله: إن مادة نسيان كلما وردت في القرآن، يعني فقدان الشيء من الذاكرة. لكن من السهل جداً إحباط هذا القول، بإيراد أنموذجين فقط

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN:P, 30.

٢ ـ وات، مونتجمري، الإسلام والمسيحية، ترجمة د عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ص٥٨.

٣ ـ معضلة القرآن، ص٣١، كتاب على الانترنت:

http://www.christian-dogma.com/vb/showthread.php

من بطن القرآن الكريم ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ (الجاثية: ٣٤)، وبأبسط تفسير هنا يكون «النسيان كناية عن الإعراض والترك، فنسيانه تعالى لهم يوم القيامة إعراضه عنهم وتركه لهم في شدائده وأهواله ونسيانهم لقاء يومهم ذاك في الدنيا إعراضهم عن تذكره وتركهم التأهب للقائه»[1] وقوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ (الأعراف: ٥١) «ومن البديهي أنّ المراد من (النسيان) الذي نُسِبَ هنا إلى الله هو بمعنى أنّنا نعاملهم معاملة الناسي تماماً، مثل أن يقول شخص لصديقه: (كما أنّك نسيتني فسوف أنساك أنا أيضاً) أي أنني سوف أعاملك معاملة المتناسي لشيء»[2] لأنه لو فُسرت بفقدان الذاكرة؛ للزم أن ينسى الله بهذا المعنى، وسبحانه وتعالى الله عمّا يصفون، فيكون المعنى «اليوم نتركهم ولا نقوم بلوازم حياتهم السعيدة كما تركوا يومهم هذا فلم يقوموا بما يجب أن يعملوا له وبما كانوا بآياتنا يجحدون ونظير الآية في جعل تكذيب الآيات سبباً لنسيان الله له يوم القيامة قوله ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (طه: ١٢٦)»[3] والأمر في غاية الوضوح، لا يحتاج لبيان وتفصيل أكثر.

لكنَّ هذه الرواية ـ بغض النظر عن سندها ـ لايمكن أن تصمد أمام صريح القرآن الكريم ومعارضته لها، هذا بلحاظ أن القرآن الكريم، هو المعيار الأقوم والميزان الذي توزن به الأحاديث والروايات؛ لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، على وفق القاعدة التي أسس لها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، من عرض

---

١ ـ الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٨، ص١٨٤، تفسير سورة الجاثية.
٢ ـ الشيرازي، الشَيخ ناصر مكارم، تفسير الأمثل، ج٥، ص٦٥.
٣ ـ الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٨، ص١٣٧، تفسير سورة الاعراف آية ٥١.

ما جاء من روايات وأحاديث على القرآن.

ثانياً ـ عرض الأحاديث على القرآن:

وهذه قاعدة قرآنية أساسية ومهمة ومطردة يمكن استعمالها في عدة مشاكل تواجه البحث القرآني، ومنها هذه الشبهة التي عرض لها المستشرقون والمستندة إلى رواية البخاري الآنفة، فـ« علماء الإسلام أجمعوا على أن القرآن هو الوحي المتلو، والأحاديث هي الوحي غير المتلوّ. ومن القواعد المقررة أنه إذا خالف الحديث آية من آيات القرآن، وجب رفض الحديث، لأنهم يعتبرون القرآن كلام الله»[1].

فعند الشك في حديثٍ ما، يُنسب إلى الرسول ﷺ، يُعرض على القرآن الكريم، فهو الهادي الذي لا يضل، ونورٌ مبين، فيه تبيانٌ لكل شيء، ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ٨٩) وقال تعالى ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر:٧) من غير الممكن أن نأخذ بكلِّ ما نجده في كتب الحديث على أساس (ما آتاكم الرسول)، فلم يترك رسول الله ﷺ الأمر سدىً ـ كما يظن بعض الباحثين ـ بل وضع مقياساً ومرجعاً للامة، و «أعطى ميزاناً كلياً يوزن به المعارف المنقولة منه ومن أوليائه، وبالجملة فبالقرآن يُدفع الباطل عن ساحة الحق ثم لا يلبث أن يظهر بطلانه ويمات عن القلوب الحية كما أميت عن الأعيان»[2]. فقال ﷺ «ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قلته وإن خالف كتاب الله فلم أقله أنا، وكيف

---

١ ـ تسدل، كلير، مصادر الإسلام، ص٤.

٢ ـ الطباطبائي، الميزان، ١ج١، ص٢٧٣، تفسير سورة البقرة الآية ١٠٣.

أخالف كتاب الله، وبه هداني الله»[1] وقد نهج على هذا التأسيس، عِدْلُ الكتاب، أئمةُ أهل البيت عليهم السلام، فعن الامام الصادق عليه السلام قال: «ما أتاكم عنا من حديث لا يصدّقه كتاب الله فهو باطل»[2]. أُسّست هذه القاعدة الحديثية بعدما «انتشرت ظاهرة اختلاق الأحاديث على رسول الله والكذب عليه في حياته صلى الله عليه وآله واخذت تدوي بها مسامعه قبل رحيله، فكان لا بد من هذه الظاهرة من علاج ودواء يأمن من خلاله المسلمون على صحة ما يرد اليهم من أحكام وسنن وعقائد عن الرسول الكريم؛ لئلا تلتبس الأمور على المسلمين»[3]، لذا أوعز الرسول فيما أوعز « عن المغيرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: إن كذباً عليَّ ليس ككذبٍ على أحدٍ منْ كذبَ عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[4]، وعن علي بن أبي طالب عليه السلام «قال: أما اني سمعت رسول الله صلى الله

---

١ ـ جاء الحديث من طرق الفريقين، وبالفاظ مختلفة، راجع: الكليني، محمد بن يعقوب الاصول من الكافي، ج١، ص٤١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٢، ص٢٤٢. العاملي، مُحمّدْ بن الحسن الحُر، وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١١١. وينظر: سنن الدارقطني، ج٥، ص٣٧٢. وينظر: الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، مصنف عبد الرزاق، ج٦، ص١١١. وينظر:جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر،ج٢، ص١١٨٩.
لمن اراد التفصيل عن هذا الحديث، فقد افاده واشبعه بحثاً وتفصيلاً، في مدى صحته وما يدل عليه، السيد محمود الغريفي، بحث في مجلة المصباح ـ الروضة الحسينية المطهرة، بعنوان: حديث« ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله» قراءةٌ في سنده ودلالته، العدد العاشر ـ صيف ٢٠١٢، ص ١٧، فراجع.

٢ ـ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٢، ص٢٤٢. البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، ج١، ص٢٢١.

٣ ـ الغريفي، السيد محمود المقدس، بحث بعنوان: حديث «ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله» قراءةٌ في سنده ودلالته، مجلة المصباح ـ الروضة الحسينية المطهرة العدد العاشر ـ صيف ٢٠١٢ ـ ص ٢١.

٤ ـ البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج١، ص٤٣٤. وانظر: سنن الدارمي، ج١، ص٣٠٣.

عليه [وآله] وسلم يقول ستكون فتن، قلت وما المخرج منها قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل ...»[1] وجاء أيضاً: «عن أمامة عن علي رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: إنه سيكون بعدي رواة يروون عني أحاديث فاعرضوها على القرآن فما وافق القرآن فخذوا به، وما لم يوافق القرآن فلا تأخذوا به»[2].

وما ذكره بعضهم أن ذلك (العرض على القرآن) يتم في الأخبار الفقهية ومن الجائز أن نلتزم في خصوص آيات الأحكام ولا ينفع ذلك سائر الآيات، فهذا القول مدفوع بأنّ أخبار العرض على الكتاب مطلقة، فتخصيصها بذلك تخصيص من غير مخصص[3].

وعوداً على بدء مع جلكريست، فهل تنسجم تلك الرواية التي استدل بها على نسيان النبي لبعض آيات القرآن وإسقاطها، مع روح القرآن في قوله تعالى ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ (الأعلى: ٦) قال الراغب في مفرداته: «والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع لا يقال قرأت القوم إذا جمعتهم، ويدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة»[4]، وذكر صاحب الميزان «وقال في المجمع: والإقراء أخذ القراءة على القارىء بالاستماع لتقويم الزلل، والقارىء التالي.

---

١ ـ سنن الدارمي، ج٤، ص٢٠٩٨. وينظر: السيوطي، جامع الأحاديث، ٦ /٢١ قرص المكتبة الشاملة.

٢ ـ معجم ابن المقرئ، ص٣٥٦. وينظر: سنن الدارقطني، ج٥، ٣٧٢ .

٣ ـ ظ: الطباطبائي، الميزان، ج١٢، ص١٠٦، تفسير سورة الحجر، آية ٩.

٤ ـ الراغب الاصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، المفردات، ص٤٠٠.

وليس إقراؤه تعالى نبيه ﷺ القرآن، مثل إقراء بعضنا بعضاً، باستماع المقري لما يقرؤه القارىء وإصلاح ما لايحسنه أو يغلط فيه فلم يعهد من النبي ﷺ أن يقرأ شيئا من القرآن فلا يحسنه أو يغلط فيه عن نسيان للوحي ثم يقرأ فيصلح، بل المراد تمكينه من قراءة القرآن كما أنزل من غير أن يغيره بزيادة أو نقص أو تحريف بسبب النسيان.

فقوله: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ وعدٌ منه لنبيه ﷺ، أن يمكنه من العلم بالقرآن وحفظه على ما أنزل، بحيث يرتفع عنه النسيان فيقرؤه كما أُنزل، وهو الملاك في تبليغ الوحي كما أوحي إليه»[1].

فإن الله عزَّوجل أرسله لهداية البشرية لذلك هو الله القادر والكفيل بأن يخطها على قلبه بما لا يمكن لآفة النسيان أن تعبث ولو بحرفٍ واحد، فعدم النسيان ملاك التبليغ، إذ كيف سيبلِّغ رسالته القرآنية إذا كان ينساها؟ [2].

«وقوله ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ استثناء مفيد لبقاء القدرة الإلهية على إطلاقها وأن هذه العطية وهي الإقراء بحيث لا تنسى، لا ينقطع عنه سبحانه بالإعطاء، بحيث لا يقدر بعدُ على إنسائك؛ بل هو باقٍ على إطلاق قدرته، له أن يشاء إنسائك متى شاء وإن كان لا يشاء ذلك؛ فهو نظير الاستثناء الذي في قوله ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (هود ١٠٨)»[3] فـ(خَٰلِدِينَ فِيهَا) دليلٌ على عدم خروج أهل الجنّة منها أبداً، فإذن، عبارة

---

١ ـ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢٠، ص٢٩٩-٣٠٠، تفسير سورة الاعلى آية١-٤.
٢ ـ ظ: الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل، ج٢٠، ص١٣١.
٣ ـ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢٠، ص٣٠٠، تفسير سورة الاعلى آية١-٤.

(إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ) تكون إشارة إلى حاكمية الإرادة والقدرة الإلهية، وارتباط كلّ شيء بمشيئته جلّ وعلا، سواءً في بداية الوجود أم في البقاء[1].

كذلك الآية، لعل جلكريست، فسَّرها هذا التفسير الخاطئ، معتمداً ومتكئاً على ما تردد عند بعض أعلام مفسري المسلمين وما تناقلته كتب التفسير، من جواز نسيان النبي لآيات القرآن بمشيئة الله ويمحوها من ذاكرته ومن قلبه، وإذهابها بأن لا تبقى في الحفظ، على انه نوعٌ من النسخ[2] .

وكما جاء في تفسير ابن جُزي «أو ننسها، من النسيان وهو ضد الذكر أي ينساها النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم بإذن الله»[3]، ونقلوا اخباراً في ذلك[4] كما عند الطبري «عن قتادة في قوله: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا ﴾، قال: كان الله تعالى ذكره ينسي نبيه صلى الله عليه [وآله] وسلم ما شاء، وينسخ ما شاء»[5].

وذكرالعلامة الطباطبائي ما جاء في الدر المنثور «أخرج عبد بن حميد وأبو داود في ناسخه وابن جرير عن قتادة قال: كانت الآية تنسخ الآية وكان نبي الله يقرأ الآية والسورة وما شاء الله من السورة ثم ترفع فينسيها الله نبيه...»[6]، وأشار

---

١ ـ ظ: الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل، ج٢٠، ص١٣٢.

٢ ـ ظ: ابن عجيبة، تفسير البحر المديد، ج١، ص٩١. وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، المعروف بتفسير ابن عاشور، ج١، ص٦٦١. وينظر: تفسير الكشاف للزمخشري، ج٤، ص٧٣٨. وينظر: تفسير ابن أبي زمنين، أبو عبد الله بن أبي زمنين المري، ج١، ص١٦٨، وينظر: م .ن:ج٥، ص١٢.وانظر: تفسيرالرازي،، مفاتيح الغيب، ج٣١، ص١٣١ ـ ١٣٣.

٣ ـ ابن جُزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج١، ص٩٣.

٤ ـ يراجع:، الدر المنثور، للسيوطي، ج١، ص٢٥٦. وتفسير ابن ابي حاتم، لابن أبي حاتم الرازي، ج١، ص٢٠٠. وتفسير ابن كثير: ج١، ص٣٧٧. وتفسير الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١٥، ص٣١٧.

٥ ـ تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢، ص٤٧٤

٦ ـ الدر المنثور، للسيوطي، ج١، ص٢٥٥.

الطباطبائي، بأن هذه الرواية، وروايات عديدة في هذا الباب أمثالها، جميعها مطروحة بمخالفة الكتاب. فقوله تعالى في آية النسخ: (أَوْ نُنسِهَا)، من الإنساء، بمعنى الإذهاب عن العلم والذكر، وهو كلام مطلق، أو عام غير مختص برسول الله ﷺ بل غير شامل له أصلا؛ لقوله تعالى ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ وهذه الآية مكية، وآية النسخ مدنية، فلا يجوز عليه النسيان بعد قوله تعالى: (فَلَا تَنسَىٰٓ)، وأما اشتماله على الاستثناء بقوله: إلا ما شاء الله[1] ـ فبالإضافة إلى ما تقدم من بيان معنى الاستثناء الوارد في الآية ـ يقال بأنه «ليس المراد بالاستثناء إخراج بعض أفراد النسيان من عموم النفي والمعنى: سنقرئك فلا تنسى شيئاً إلا ما شاء الله أن تنساه؛ وذلك أن كل إنسان على هذه الحال يحفظ أشياء وينسى أشياء فلا معنى لاختصاصه بالنبي ﷺ بلحن الامتنان مع كونه مشتركاً بينه وبين غيره»[2] ولو كان الاستثناء مسوقاً لبيان الوقوع في الخارج لم يكن للامتنان بقوله (فَلَا تَنسَىٰٓ) معنى، إذ كلُّ شخصٍ ممكن أن يحفظ وينسى، وذكره ونسيانه كلاهما منه تعالى وبمشيته، وقد كان رسول الله ﷺ كذلك قبل هذا الإقراء الامتناني الموعود بقوله (سَنُقْرِئُكَ)، يذكر بمشية الله وينسى بمشية الله تعالى، فليس معنى الاستثناء إلا إثبات إطلاق القدرة أي سنقرئك فلا تنسى أبدا والله مع ذلك قادر على إنسائك هذا[3].

والرواية (رواية النسيان) بالإضافة إلى مخالفتها لصريح القرآن، فهي مخالفة أيضاً للسنة القطعية فقد روي عنه ﷺ «بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كيت

---

١ ـ ظ: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن،ج١، ص٢٥٠، تفسير سورة البقرة، آية ١٠٦.
٢ ـ م . ن: ج٢٠، ص٣٠٠، تفسير سورة الاعلى، آية ٥.
٣ ـ ظ: م . ن، ج١، ص٢٥٠، تفسير سورة البقرة، آية ١٠٦.

وكيت بل أُنسي واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النَّعَم»[1] فكيف يصح أن يذم النبي شيئاً، وهو يفعله.

والأعجب والأغرب من إثارة المستشرق هو ما ردَّ به أحد علماء المسلمين بأن الحديث «حديث صحيح رواه الامام البخاري في صحيحه وقد جاءت كلمة (أُنسيتها) في الرواية الثانية تفسيراً لما في الرواية الأولى قوله: (أسقطتها) لتدل على أن الإسقاط كان بطريق النسيان لا العمد، ورسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بشر ينسى كما ينسى بقية بني البشر ولكنه محفوظ من الله سبحانه وتعالى بتذكيره»[2] فيجوز نسيان النبي بشرطين: أنه بعد ما يقع منه تبليغ القرآن، والآخر: أنه لايستمر على نسيانه، بل يحصل له تذكره[3]. وهذا الرد، هو نفسه يحفز لشبهة لدى الآخر.

وقد عاب الآلوسي (ت ١٢١٧هـ) صاحب تفسير روح المعاني على علماء الشيعة تنزيههم للنبي عن النسيان والسهو، وهو يرى خلاف ذلك، قال: «والمشهور عن الرافضة اختيار أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم منزه عن النسيان... إنّ مذهب جمهور العلماء [أهل السنة] جواز النسيان عليه صلى الله عليه [وآله] وسلم في أحكام الشرع وهو ظاهر القرآن والأحاديث ، لكن اتفقوا على أنه عليه الصلاة والسلام لا يقر عليه بل يعلمه الله تعالى به»[4].

---

١ ـ صحيح البخاري، ج٤، ص ١٩٢١، رقم الحديث ٤٧٤٤، باب استذكار القرآن وتعاهده. وصحيح مسلم، ج١، ص٥٤٤، رقم الحديث ٢٢٨، باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أنسيتها. ومسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٤١٧، رقم الحديث ٣٩٦٠، مسند عبدالله ابن مسعود.

٢ ـ رضوان، د عمر بن ابراهيم، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ج١، ص٤٣٢.

٣ ـ ظ: العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري،ج٩، ص٨٦.

٤ ـ الآلوسي، شهاب الدين، ج٤، ص١٧٣.

وعلى وفق هذة المستندات وغيرها استلهم المستشرقون بسهولة، شبهة ضياع آيات من القرآن بحجة أن النبي قد يكون نسيها. وسوف لا ينفع المستشرقون بشيء إذا ما ذهبوا في تفسير هذه الآية إلى تفاسير ما أسماهم الآلوسي (الرافضة) إذ رفضوا نسبة النسيان والسهو عن سيد الكونين وأشرف الخلق محمد ﷺ ؛ لأنه من الواضح سوف لا يخدم غرضهم. وإذا جاز على النبي نسيان آيات القرآن ـ وإن كان على وفق هذه المستندات بعد تبليغها كما يسوغون ـ فتباعاً سيجوز عليه النسيان في الصلاة والصيام وفي الحج والزكاة، بل قد يفعل المحرمات والكبائر نسياناً وسهواً وحاشاه، وهذا لا يصمد أمام العقل والنقل ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

المبحث الثالث

آراء المستشرقين في جمع القرآن الكريم

هناك كثيرٌ من الآراء المكررة والمتشابهة لحدٍ ما؛ فأغلب من كَتبَ عن القرآن الكريم من المستشرقين على اختلاف مشاربهم وجنسياتهم، يتطرق لمسألة الجمع، وكذلك من كتبَ عن الإسلام بشكل عام، أو عن شخصية النبي محمد ﷺ، تجده يعرِّج على مباحث قرآنية ومنها كيفية جمعه.

وكانت لهم آراء واجتهادات مختلفة في المقام، لكن حاول أغلبهم جاهدين، على وفق ما لديهم من معطيات، إثبات أن جمع القرآن، لم يتم أبداً في زمن النبي ﷺ وفي عهده، على حد تعبير جفري «القرآن الذي حُرر تقريباً في الشكل

الذي لدينا خلال جيل من وفاة محمد»[1] بل ولم يُلتفت إليه من قِبل النبي، ولم يأمر أحداً بجمعه، وإنما كان بعد رحيله ﷺ[2]؛ ذلك لكي يكون متسع من الشد والجذب في شبهات تحريف القرآن وزيادته ونقصانه، إلى غير ذلك.

فمنهم من ضمَّن إشاراته عبر مقدمة كتابٍ أو في مقدمةٍ مخصصةٍ لمباحث قرآنية ومنهم من جاء استطراداً ومروراً بدون تفصيل، على شكل فتاوى.

المطلب الأول: متى ومن جمع القرآن ؟

قبل الولوج في تسليط الضوء على جملة من آرائهم لا بد من ذكر بعض الكتب والمصادر التي ألفها المستشرقون وتناولت هذا الموضوع. وكان لها الأثر الواضح في صياغة رؤية جلكريست حول الجمع، فبعضٌ اقتبس منها، وبعضٌ آخر أفاد من معطياتها، وبعضٌ ثالث اجتر آراءها، فعليه سيكون هذا المطلب ذا محورين:

المحور الأول ـ إطلالة على مؤلفات المستشرقين حول جمع القرآن:

هناك مؤلفات للمستشرقين حول جمع القرآن وأهمها:

أولاً: مستشرقون أفردوا مؤلفات لموضوع جمع القرآن الكريم.

١ ـ جون برتون (جمع القرآن).

٢ ـ جون جولكر (جمع القرآن).

٣ ـ جون جلكريست (جمع القرآن) John Gilchrist, JAM' AL-QUR'AN

---

١ ـ جفري، آرثر، بحثاً عن محمد التاريخي، ص٣.

٢ ـ جون برتون، جمع القرآن: ص١١٩-١١٨ .

٤ ـ نفس المؤلف له (The Collection and Sources of the Qu'ran ـ دلائل جمع القرآن)[١].

٥ ـ كانون سل (تدوين القرآن ـ CANON Recensions of the Quran (SELL,[٢].

ثانياً: مستشرقون كتبوا حول الموضوع خلال مؤلفاتهم، وهم على قسمين: قسمٌ كتب عن الموضوع وخصص له جزءاً من كتابه أو افرده بعنوان (مانشيت) يخص الموضوع:

١ ـ نولدكه (تاريخ القرآن) الجزء الثاني من الكتاب بعنوان جمع القرآن.

٢ ـ كولين تيرنر (الإسلام الأسس) كتب عن الموضوع بعنوان: تدوين القرآن الكريم وتواتره[٣].

٣ ـ ويليام موير (القرآن، نظمه وتعاليمه، وشهادته للكتب المقدسة:
WILLIAM MUIR - THE CORAN ITS COMPOSITION AND TEACHING, AND THE TESTIMONY IT BEARS TO THE HOLY SCRIPTURES.) -
وفيه عن الموضوع بعنوان: جمع القرآن وترتيبه، ص٢٥)[٤].

٤ ـ كتاب (معضلة القرآن): The Qur'an Dilemma . بعنوان جمع القرآن، ص٢٩[٥].

---

١ ـ كتاب منشور على شبكة الانترنت، على موقع:
http://answering-islam.org/Gilchrist/Vol٥/١b.html

٢ ـ ظ: سل، كانون، تدوين القرآن، ترجمة، مالك مسلماني، كتب عن الموضوع في مواضع متناثرة من الكتاب.

٣ ـ ظ: تيرنر، كولين، الإسلام الاسس، ترجمة، نجوان نور الدين، ص١١٣.

٤ ـ كتاب منشور على شبكة الانترنت، على موقع: http://www.horreya.com

٥ ـ كتاب منشور على موقع: http://www.christian-dogma.com/vb/showthread.php

٥ ـ مونتجمري وات (الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر) الفصل الثاني دراسة عن القرآن ضمَّنها عنوان جمع القرآن، ص٥٩.

٦ ـ هنري ماسيه (الإسلام) الفصل الثالث منه عن القرآن، وجاء فيه عن الجمع تحت عنوان (تثبيت نص القرآن).

٧ ـ جون جلكريست (القرآن كتاب الإسلام:

The Qur'an The Scripture of Islam ،John Gilchrist.

الفصل الخامس منه معنون: تجميع لنصوص القرآن[١].

والقسم الاخر ضمَّن إشاراته من خلال مقدمة كتاب أو في مقدمةٍ مخصصةٍ لمباحث قرآنية منها:

١. آرثر جفري (مقدمتة في كتاب المصاحف لابن ابي داود).

٢. ريتشارد بل (مقدمة في القرآن):

- Bell's Introduction to the Quran.

٣. بلاشير (مقدمة في القرآن):

- Introduction to the Quran Blachere.

٤. مونتجمري وات (مقدمة القرآن) Montgomery Watt .

٥. بودلي (في مقدمة كتابه، الرسول حياة محمد).

٦. جاك بيرك (في مستهل مقدمته لترجمة القرآن).

٧. إدوار مونتيه Edward Montet (في مقدمته لترجمة القرآن) في الصفحات ٢٩ فصاعداً، تحت عنوان رئيسي (تكوُّن القرآن) وعنوان فرعي (جمع القرآن)[٢].

---

١ ـ كتاب منشور على موقع:

http://answering-islam.org/authors/gilchrist/quran.html

٢ ـ ظ: عوض، د. إبراهيم، دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه، ص١٢٨.

٨. المستشرق الفرنسي (بارتلمي سانت هيلر Barthélemy Saint Hilaire) في كتابه (محمد والقرآن) (Mahomet et Coran) خصص الفصل الخامس منه عن القرآن وجاء فيه عن جمع القرآن.

٩.غوستاف لوبون، (حضارة العرب) الفصل الثاني منه لدراسة القرآن؛ فأعطى فكرة موجزة عن الجمع.

المحور الثاني: تضارب المستشرقين في شخص وزمن جمع القرآن:

ستكون البداية مع شيخ المستشرقين نولدكه، وليس بالاستطاعة إلا الابتداء به؛ لأنه الرائد في هذا المجال، وقد اعتمد على كتابه هذا، ونهل منه وتبنى آرائه في موضوع جمع القرآن، كثيرٌ ممن جاء بعده من المستشرقين(*) فقد خصص جزءاً كاملاً عن جمع القرآن، في كتابه المشهور تاريخ القرآن. فأول ما يقرر نولدكه على شكل فتوى هو: إلاّ يكون القرآن قد جُمع كاملاً في أيام النبي أمراً بديهياً.

فلم يُجمع نهائياً إلا بعد وفاة محمد، وكانت نصوص الوحي مبعثرة ومتفرقة[١]، ويشير إلى التفاوت بين رواية تقول إن القرآن لم يُجمع في مدة خلافة أبي بكر وبين أخبار تتحدث عن نسخةٍ أنجزها أبو بكر[٢]، ويشير إلى ما أسماه تناقضاً مع النظرة السائدة، بوجود كمٍ من الروايات تصرّح بأسماء الأشخاص الذين كانوا قد جمعوا القرآن أيام النبي. بينما رواياتٌ أُخر، تعد الخلفاء الأولين

---

* ـ قد بُين في موضع سابق، كيف تأثر به واعتمد المستشرقون على آرائه وكتابه واصبح مرجعاً وميزاناً لهم. راجع المطلب الثاني من المبحث الاول من الفصل الثاني من هذا الكتاب، ص١٠٧.

١ ـ ظ: نولدكه، تاريخ القرآن، ص ٢٣٩ ـ ٢٤١.

٢ ـ ظ: ن . م، نفس الصفحة.

أول من نظَم النسخ القرآنية وجمعها[1]. وأشار إلى إمكانية الجمع بين مجموع تلك الروايات وأنها تقدم تفسيراً واحداً، هو أن الجمع يُفسر بالحفظ كما أشار اليها علماء المسلمين أنفسهم، «ففي الواقع، لاتشير الجملة المستعملة في هذه التقاليد (جمع القرآن)، إلى جمع نصوص الوحي في كتاب، ولكن، كما تقر السلطات التفسيرية المحمدية المهتمة بالحديث، إلى حفظه في الذاكرة... فإن حفظ النصوص المقدسة غيباً كان في كل الازمنة، الأمر الأساسي»[2].

وما زال نولدكه في عرضه لاختلاف روايات الجمع ونقدها، بحسب المعطيات المتوافرة لديه من مصادر المسلمين، ففي روايةٍ يَظهرُ عمر بوصفه العقل المدبر للجمع الأول، بينما تفيد أخرى أن الخليفة الأول لم تكن له أي علاقة بجمع القرآن، وثالثة بأن (عمر كان أول من جمع القرآن في صحف) وأن بداية العمل ونهايته حصل في أيام خلافته، ورابعةٌ تصرّح بأن عمر مات قبل أن يجمع القرآن[3].

وليس ببعيد عن نولدكه فإنّ (بول ـ Buhl) «يَحتمل أن يكون نصيبه [ابوبكر] من هذا العمل ضئيلاً؛ لأنّ بعض الروايات الاخرى تذكر أن عمر هو أول من قام بجمع القرآن»[4] ويرى نولدكه، أن عمر بحسب (الإتقان للسيوطي) لعب

---

١ ـ ظ: ن . م، نفس الصفحة.

٢ ـ نولدكه، تاريخ القرآن، ص ٢٣٩ ـ ٢٤١.

٣ ـ ظ: م . ن: ص٢٤٩. وقد أرجع نولدكه هذه الروايات، كلٌ إلى مصدره من المصادر الإسلامية، راجع المصدر نفسه والصفحة نفسها. ولم يرتض نولدكه، تفسير السيوطي كلمة أو فعل (جمع) تفسيرها بقوله (أشار بجمعه) أي انه لم يقم مباشرة بعملية الجمع، علّق نولدكه قائلاً: «فإن هذا على الارجح تعسف مركّب »، انظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها، هامش رقم ٤٤.

٤ ـ بول ـ Buhl، دائرة المعارف الإسلامية، ج١، ص٣١٤، مادة، أبوبكر .

دوراً رئيساً في جمع القرآن، بما تفترضه الروايات المتعلقة بآية الرجم، محاولاً إدراجها جزءاً من الوحي، وأن عمر يقرُّ بحرية تامة لم يضع الآية ضمن المصحف؛ لانه لا يريد ان يُتهم أنه أضاف شيئاً إلى الوحي، وانه اتخذ هذا الموقف لأنه لم يجد شاهدين على صحة الاية،[1] لكنَّ نولدكه يريد توكيدها بأنها من الوحي مستدلاً بالروايات وبتمسك الخليفة عمر بها فقال: في رأي كل الروايات أنّ آية الرجم جزء من الوحي، وحاولت أن أُظهرَ خطأ هذا الرأي؛ لكن من الصعب ايضاً تناسي الاعتقاد أن شخصاً كعمر قد دافع بعناد عن أصالتها[2].

ولا يخفي نولدكه استغرابه، ورمي شِبَاكَ شكوكه على «أن حكم أبي بكر دام سنتين وشهرين قصير نسبياً إذا ما اخذنا بالحسبان صعوبة جمع النصوص المبعثرة كما تتحدث عنه الروايات. خصوصاً إذا كان البدء بالعمل قد تم بعد معركة اليمامة، ما يعني أن الفترة المتبقية من حكم أبي بكر كانت خمسة عشر شهراً»[3].

وتلائمت أغلب آراء المستشرقين مع رأي نولدكه، فهذا المستشرق الفرنسي مونتيه Montet في كتاب (محمد والقرآن Mahomet le Coran) قال: «إن المجموعات القرآنية القديمة جُمعت بعد وفاة محمد بوقت قليل، في مقاطع متفرقة، ويظهر لي أنه من المحتمل جداً أن هذا الجمع كان في وقت قريب من وفاة النبي»[4] و(لوبون) في كتابه حضارة العرب[5] و(لابيدوس) في كتابه تاريخ المجتمعات

---

١ ـ ظ: نولدكه، تاريخ القرآن، ص٢٥٠.

٢ ـ ظ: م . ن، نفس الصفحة.

٣ ـ م . ن: ص٢٥٢-٢٥٣.

4 - Montet, Mahomet le Coran, p, 40.

٥ ـ ظ: لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ١١٧.

الإسلامية[1] ونفس الشاكلة كان رأي (بل ـ Bell's) في مقدمته للقرآن من تحقيق (وات Revised by Montgomery Watt)[2] لكن في رأيٍ على خلاف الرأي السائد، لدرمنغم، إن القرآن جُمع بعد سبعين سنة، بعد أن ماثله بغيره من الكتب المقدسة بقوله: «ولم تدوّن الكتب المقدسة إلا بعد تبليغها بطويل زمن، أي حين يكون حفظها قد ضَعُفَ وتكون رواياتها قد كَثُرت، ومثلُ هذا أمرُ القرآن الذي اختير له نصٌ رسمي بعد النبي بسبعين سنة فأُتلف ماسواه»[3] وهذا القول لا يُعتد به ولا يستحق النقاش؛ لوضوح بطلانه.

وتباينت آراء المستشرقين في من الذي تصدى لجمع القرآن ـ بحسب وفرة المصادر التاريخية وطبيعة المعطيات لديهم، وبحسب منطلق فهمهم للنص واستنطاقه وتوجيه هذا الفهم بما يخدم مصالحهم وأغراضهم ـ لكن كانت الرواية الرائجة في المصادر الإسلامية بين المستشرقين «واكثرها تداولاً أن عمر بن الخطاب، لاحظ أن عدداً كبيراً من القراء أو الحفاظ قد مات في معركة اليمامة حوالي ٦٣٣م فخاف من ضياع بعض القرآن من الصدور ، فاقترح على أبي بكر الصديق ـ الخليفة يومئذ ـ أن يكلّف بجمع القرآن، فعهد أبو بكر بهذه المهمة إلى زيد بن ثابت الذي شرع يجمعه من قطع البردي والأحجار البيض الرقاق وأصول الجريد والأكتاف والجلود والواح الخشب وصدور الرجال فلما أتم الجمع في أوراق Leaves متساوية الحجم دفع بها إلى أبي بكر فلما حضرته الوفاة عهد بها إلى

---

١ ـ ظ: أيرا م.لابيدس، تاريخ المجتمعات الإسلامية، ترجمة، فاضل جتكر، ج١، ص٧٧.

2 - see, Bell's, Introduction to the Quran, p 8.

مقدمة القرآن، تحقيق ومراجعة مونتجمري وات، (Revised by Montgomery Watt).

3 - DERMENGHEM, EMILE, THE LIFE OF MAHOMET, p254.

ويراجع النسخة العربية: درمنغم، اميل، حياة محمد، ص٢٤٨.

عمر الذي عهد بها إلى ابنته حفصة.

وظل هذا المجموع حتى سنة ٦٥٠م حيث حدث خلاف في عهد عثمان بن عفان في (النص) الذي يجب التقيد به، فعهد عثمان بن عفان إلى زيد وثلاثة من أهل مكة بنسخ نسخة أخرى من المصحف الذي عند حفصة، ثم أمر بإعداد نسخ أخرى وتم إرسال نسخة إلى المراكز الرئيسية في الدولة الإسلامية وأمر بإتلاف النسخ الأخرى والمصاحف التي بين أيدينا الآن هي النسخة الرسمية التي وزعها عثمان»[1][*].

---

١ ـ وات، مونتجمري، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ٥٩-٦٠.

* - (النسخة الرسمية، القرآن الرسمي، النص النهائي، الوثيقة الأخيرة) تسميات، طالما رددها المستشرقون؛ لتوصيف القرآن الكريم الذي بين أيدينا الآن، وكأنه، شبه اتفاق وإصرار عليها من حيث يشعرون أو لايشعرون، والمرجح إنهم يشعرون، إذا عرفنا أن هذه التسميات، لا ريب أنها ترمز من بعيد أو قريب إلى وجود تعديلات أو إضافات؛ ومرور بمراحل تطور، واختلاف وزيادة أو نقصان، وحذف وتثبيت، وشدٌ وجذب؛ ليخرج النص المراد إخراجه بعدُ إلى الصيغة النهائية والرسمية كما يعبِّرون.

فيُلاحظ ذلك من خلال ما تضمنته ابحاثهم، على سبيل المثال، نولدكه في كتابه تاريخ القرآن (ج٢، ص٢٥١)، والمستشرق ويلش في دائرة المعارف الإسلامية، إذ قال «وإن إعداد النسخة الرسمية أو القانونية للقرآن مر بثلاث مراحل عبر تطورها» (دائرة المعارف الإسلامية، ص٤٠٤، عمود ب، نقلاً عن: أبو ليلة، محمد محمد القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي دراسة نقدية تحليلية، ص١٤٣).

ودرمنغم في كتابه حياة محمد:

(See: DERMENGHEM, EMILE, THE LIFE OF MAHOMET,p254.

وينظر النسخة العربية: درمنغم، حياة محمد، ص٢٤٨. وينظر: وات، مونتجمري، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ٥٩-٦٠).

ومونتجمري وات، في كتابه أعلاه (الإسلام والمسيحية) قال: ان النصوص التي جمعها زيد لم تكن رسمية أو معتمدة، والمستشرقان، جان سوفاجيه وكلود كاين، في كتابيهما، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، إذ عبَّرا بتعبير النسخة الاصلية المعتمدة للخليفة عثمان (مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة، دعبد الستار حلوجي و د. عبد الوهاب علوب، ص١٩٩). =

قسمٌ يرى أن الفضل في جمع القرآن يعود إلى الخليفة الاول والثالث فهذا كانون سل يؤكد بقوله: «ونحن ندين بالقرآن كما هو بحوزتنا الآن إلى التحريريْن اللّذين أجراهما الخليفة الاول والثالث: أبوبكر وعثمان»[١]. فالتحرير جرى بتوجيه مباشر من أبي بكر، إلا أن طبيعته كانت مشروع خاص؛ لكن عظمة قيمته تنبع من أنه شكّل الأساس للاصدار الموثوق للخليفة عثمان[٢].

أما روم لاندو فيعتقد ان القرآن لم يُجمع إلا في عهد الخليفة الثالث عثمان، ذلك «إن الشكل المكتوب للوحي الذي تلقاه محمد مُثْبتٌ، وفقاً للاعتقاد الإسلامي، كما أنزله الله تماماً من طريق جبريل.

فقد دوّن أصدقاء الرسول وأنسباؤه كلماته على أيّما سطح تيسّر لهم الوقوع عليه، كعظام أكتاف الضأن أو جلود الحيوانات المجففة، ولكن هذه المدونات لم تُجمع كلها في كتاب واحد إلا في عام ٦٥١م برعاية عثمان الخليفة الثالث»[٣] إلى ذلك الحين «تكامل جمع القرآن في فترة زمنية واقعة بين العام ٥٦٠ إلى العام ٦٥٦ وبعبارة أدق بعد مضي عشرين عاماً على وفاة الرسول»[٤].

وكذلك كان رأي (كونستانس) في كتابه، نظرة جديدة في سيرة رسول الله،

= وكذلك ماسيه في كتابه الاسلام (ماسيه، الإسلام، ص١٠٨).

والمستشرق إيرنست، كارل، في كتابه، على نهج محمد، قال: فقد حدثت اختلافات في نُسخ القرآن جديرة بالملاحظة ما دعى الخليفة عثمان إلى اتخاد نسخة رسمية من النص (إيرنست، كارل، في كتابه، على نهج محمد، ص١٣٢).

١ ـ سل، كانون، تدوين القرآن، ص٤.

٢ ـ ظ: م . ن، ص٦.

٣ ـ لاندو، روم، الإسلام والعرب، ترجمة منير البعلبكي، ص٣٦.

٤ ـ هاينه، بيتر، الإسلام، ص٧٩.

قال: «ولم يُجمع القرآن إلا في عهد خلافة عثمان»[1] وحاول أن يُفتِّتَ أهمية وقيمة رواية إسلام عمر، وما لها من استدلال على تدوين القرآن في عهد النبي، وتحديداً بمكة، بقوله: «ولعل المسلمين كتبوا بضعة آيات، ومنهم أحد هؤلاء الثلاثة، (عمر وأخته وزوج أخته سعيد) حتى لا ينساها، وسقطت بيد عمر»[2].

وفي رأيٍ غريب، يصوِّر وكأنها لعبة سياسية، وصفقة لا يدنو منها إلا أصحاب النفوذ، لا أن الأمر أمرٌ سماوي ورسالي، يقول: «إنّ الشّخصيات التي قيل إنّها جمعت القرآن في عهد مُحَمَّد، ليست ذات ثقل اجتماعي، ويلوح لنا أنهم كانوا أناساً مخلصين لدعوة الإسلام، إلا أن هذه الشخصيات كانت بعيدةً عن دائرة القرار، ويُستثنى من هذه القائمة :عُثمان بن عفّان، الذي ربما أُضيف اسمه إلى هذه القائمة لإسباغ نوع من القداسة عليه، سيما أنه كان محل انتقاد مسلمين كثيرين إبّان حكمه»[3].

المطلب الثاني: سبب جمع القرآن وعلته:

ربما يكون هذا العنوان لأول وهلة، معناه أنه يجب أن يكون هناك سبب لأن يُجمع القرآن؛ وإلا ما جُمع القرآن، لولا ثمة سبب لذلك، ولنفرض، لم يكن هناك سبب، كمعركة اليمامة، أو لم تكن هناك اختلاف في القراءات، أو لم يسأل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عن آيةٍ في القرآن فيجاب عنها: بأنها عند احد الحفاظ وقُتل في اليمامة، لو لم تكن إحدى هذه الدواعي موجودة ماذا سيكون

---

١ ـ كونستانس، جيورجيو، نظرة جديدة في سيرة رسول الله، ص١٠٨.

٢ ـ م . ن: الصفحة نفسها.

٣ ـ معضلة القرآن، ص٣١: http://www.christian-dogma.com/vb/showthread.php

حال القرآن؟ هل سيبقى مفرَّقاً، بين السعف والجريد واللخاف والجلود وأكتاف الإبل والعظام وصدور الرجال؟ بل« وقال آخرون إن إحدى الماعز أكلت بعض السعف والجريد كان مكتوباً عليها بعض الآيات»[1].

فالمشكلة ما تأكد وتقرر في أذهان أغلب المستشرقين، كأنه يجب أن يكون هناك سبباً، فقال قائلهم: «لم تجر في حياة الرسول أية محاولة أكثر من جمع بعض أجزاء الوحي؛ لذا لم تتوفر أية مجموعة للكتاب المجيد كما لم تكن هناك جهود متواصلة لتصنيف أجزائه تصنيفاً منهجياً»[2] وأنه حال دون السبيل إلى جمع القرآن، الصعوبات المادية، ما سبَّبَ تهيّباً من الإقدام على ذلك؛ لذا ففي خلافة أبي بكر شعر المسلمون بحاجة إلى نص قرآني مضبوط، يجمع كل أجزائه المدونة وغير المدونة[3]. فـ«عملياً، لم يسعَ مُحَمَّد لجمع القرآن قطّ، وعلّل أحد علماء المسلمين ذلك بقوله: إنما لم يجْمَعْ مُحَمَّد القرآنَ في المصحفِ لِما كان يترقَّبُه منْ ورودِ ناسخٍ لبعضِ أحكامه أو تلاوتِه»[4].

---

١ ـ روجرسون، برنابي، ورثة محمد، ترجمة، د عبد الرحمن عبد الله الشيخ، تعليق، ٢٧٠. اشارة منه إلى ما جاء في سنن ابن ماجة، ج١، ص٦٢٥، باب رضاع الكبير« عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت: لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشرا . ولقد كان في صحيفة تحت سريري . فلما مات رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها». ورواه الطبراني، في المعجم الاوسط، ج٨، ص١٢. ومعرفة السنن والآثار للبيهقي، ج١١، ص٢٦١. وسنن الدارقطنى، ج٥، ص٣١٦. ومسند أبي يعلى الموصلي، ج٨، ص٦٤، باب مسند عائشة. والمسند الجامع المعلل، أبي الفضل السيد أبو المعاطي النوري، ج٢٠، ص٤٥، ومسند أحمد بن حنبل، ج٦، ص٢٦٩.

٢ ـ موريس غ . ديموميين، النظم الإسلامية، ص٨٥. وينظر: سل، كانون، تدوين القرآن، ص٤.

٣ ـ ظ: موريس غ . ديموميين، النظم الإسلامية، ص٨٥.

٤ ـ معضلة القرآن، ص٢٩، كتاب:

http://www.christian-dogma.com/vb/showthread.php

وعلى رأس المسببات «حملة اليمامة التي كانت السبب الاحتفالي لحفظ كلمة الله من الاختفاء»[1].

إذن اعتبر المستشرقون «معركة اليمامة التي وقعت في عام ٦٣٣م بعد وفاة الرسول بعام واحد، العامل المحفز والدافع الرئيس الذي دفع أول القادة السياسيين المسلمين وأول خليفة بعد وفاة الرسول إلى جمع أجزاء القرآن المكتوبة على الخامات المختلفة وتجميعها كلها في كتاب واحد. والسبب وراء ذلك كان استشهاد عدد كبير من المسلمين في تلك المعركة وبخاصة من حفظة القرآن»[2] بينما يحتمل بروكلمان «كثيراً من الشك ما ذكرته الرواية. من أن معركة اليمامة الحاسمة مع مسيلمة، التي قتل فيها عدد كبير من قراء الصحابة، هي التي قدمت الداعي إلى جمع القرآن»[3].

والأكثر من ذلك مايذهب إليه المستشرقان كتاني وإسكوالليي، فيشككان أصلاً في صحة واقعة اليمامة، قائلين بأن عدد الذين استشهدوا في هذه الموقعة من الحفاظ الذين ذكرتهم المصادر قليل، وهذا يعني أن خبر واقعة اليمامة لا يصلح أن يكون سبباً لانزعاج الخليفة عمر، ودعوته لجمع القرآن، ولذلك فإن إسكوالليي يذكر إن الذين استشهدوا من الحفاظ من الصحابة في موقعة اليمامة كانوا إثنين فقط[4].

وبغض النظر عن العوامل والأسباب والدوافع التي قد تُتصور لجمع القرآن،

---

١ ـ نولدكه، تاريخ القرآن، ص ٢٥٢.

٢ ـ تيرنر، كولين، الإسلام الاسس، ص١١٧. وينظر: سال، جورج، في كتابه، مقالة في الإسلام، ص١١٤. وينظر: إيرنست، كارل، في كتابه، على نهج محمد، ص١٣٢.

٣ ـ بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ج١، ص٣٩.

٤ ـ ظ: أبولية، محمد، القرآن الكريم من منظور استشراقي، ص١٥٨.

هناك ضرورة منطقية لجمع القرآن والحفاظ على وحي السماء، وحاجة تنبعث من طبيعة الأشياء، والمقصود بطبيعة الاشياء: مجموع الظروف والخصائص الموضوعية والذاتية التي عاشها النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون والقرآن أو اختصوا بها مما يجعلنا نقتنع بضرورة قيام النبي صلى الله عليه وآله بجمع القرآن في عهده[1].

وكذلك نولدكه يستدل عقلياً بعدم كون المعركة سبباً؛ يقول: لأنه «يبقى الربط التقليدي بين جمع القرآن وتلك المعركة ضعيفاً. فالجمع، كما تقول الرواية الأخرى بعبارات جافة، قد صار انطلاقاً من مصادر مكتوبة فقط. ولاشك في هذا، لاننا نعلم أن محمداً نفسه كان حريصاً على تدوين الوحي. في هذه الأحوال لايمكن أن يثير موت هذا العدد من حفظة القرآن بشأن ضياع وحي النبي»[2] أما ويليام موير، نجده بعد ما يصور حال القرآن، كيف كانت الآيات تُدوَّن من قبل صديق أو تابع، أو أنها تودع في الذاكرة وفي زمن لاحق تُدوَّن، ولم يكن هناك ترتيب منهجي للمواد التي كُتب عليها، وقد يُحتمل أن جزءاً كبيراً من القرآن كان مرتباً خلال حياة النبي؛ لأجل القراءة الخاصة والتلاوة في الصلوات اليومية فقط، ولم يكن لها مكان خاص تُحفظ فيه؛ لكن الجزء الاكبر أو على الأقل السور الأكثر أهمية كانت محفوظة في سكنى إحدى زوجات النبي أو لا، إنه تُرك في رعاية الْكِتَاب أو في رعاية من دوّنوا في البدء، ثم يتوقف موير، عند محطة الاشتراك بين أقرآنه من المستشرقين، وهي عدم الجمع للقرآن[3]؛ معللاً بأنه «كان ذلك هو حال الأشياء لدى وفاة محمد وقد بقيت كذلك على مدار سنة. وبعد معركة اليمامة، والتي قُتل فيها العديد من قراء القرآن، فإن خطر ترك الوحي في

---

١ ـ ظ: علوم القرآن: محمد باقر الحكيم، ص ٩٩.

٢ ـ نولكه، تاريخ القرآن، ص٢٥٤.

٣ ـ ظ: موير، ويليام، القرآن نظمه وتعاليمه، ص٢٥.

هذه المجموعة المضطربة أصبح ماثلاً بقوة في ذهن عمر، الذي ذهب إلى الخليفة أبي بكر، وقال له إنّ القتل قد استحرّ بالقراء، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء في سائر المواطن فيذهب القرآن، وقد رأيت أن تجمعوه»[1] أما عن السبب الذي من أجله لم يجمع النبي القرآن، ولم تجر أي محاولة لهذا الامر، فيبتدع المستشرقون دواعي واسباب تقف وراء ذلك، وما بُنيت هذه الافتراضات، وما أُسست إلاّ على أساس أن جمع القرآن حدثٌ طارئ، تركه النبي للامة تتصرف فيه كيف تشاء، ومتى تشاء، وفي أي وقتٍ أرادوا أن يجمعوه، منها:

١. فيفترض بلاشير افتراضاً لم يُبنَ على أُسس منطقية، وهو أن العربي بطبعه اسير اللحظة ولا يشغل نفسه بمزيدٍ من التفكير في المستقبل، فلا ينبغي إغفال دور تلك الطبيعة العربية، فهذا الميل من الرسول واصحابه إلى ترك الأمور على ما هي عليه، يقف وراء عزوف المسلمين عن جمع القرآن في عهدهِ، ولم يكن أحدهم يشعر بالحاجة إلى ذلك ما دامت الأمور تسير بشكلٍ لا يسمح لمن يكتفي بعيش اللحظة بتوقّع المستقبل واستشرافه وليست مسألة التدوين هي الوحيدة ممّا أُهمِل وله صلة بمستقبل الرسالة، فقد أُهمِل أمرٌ مهمٌ آخر ولم يفكّر فيه المسلمون، إلا لحظة الحاجة إلى الحلّ وبعد أن دهمتهم المشكلة، وذلك في قضيّة الخلافة، وعدم تعيين خليفة له[2]، وأيَّده بذلك المستشرق الفرنسي كازانوفا في إهمال مثل

---

١ ـ م .ن، ص٢٥ ـ ٢٦.

2 - See: Blachere , Introduction au coran , p16-26.

نقلاً عن: نقرة، التهامي، القرآن والمستشرقون، بحث منشور، ضمن سلسلة ابحاث في كتاب مناهج المستشرقين، الصادر من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ج١، ص٤٢ ـ ٤٣ . وينظر: فان إس، جوزيف، (المسيحية وديانات العالم ـ Christentum und Weltreligionen) ص٧٤، للمستشرق، هانس كونج، بعد ما كان اصل الكتاب احدى ندوات الحوار التي نظمتها جامعة توبنجن بألمانيا الغربية بين احد اشهر مستشرقي المانيا المعاصرين مع احد اشهر رجال الكنيسة =

هذه المسائل المهمة، بقوله: «بقي علينا نحن غير المسلمين حين ننظر إلى محمد كرجل عبقري عادي أن نوضح لماذا اهمل العناية بمسألة لها هذه الأهمية الكبرى. فنعلن أن السبب في إهمال امر الخلافة بسيط، وهو اعتقاده بأن نهاية العالم قريبة، وهي عقيدة مسيحية محضة؛ ومحمد كان يقول عن نفسه: إنه نبي آخر الزمان الذي أعلن المسيح بأنه سيجيء ليتمم رسالته»[1]، ولا يبعد من كازانوفا أن يفترض، أن النبي اهمل مسألة جمع القرآن؛ ما دام قد أهمل ـ برأي كازانوفا ـ مسألة ذات أهمية كبرى كالخلافة. وموائمةً لرأي كازانوفا آنف الذكر، في موضع آخر لبلاشير من كتابه (القرآن، نزوله...) لإيجاد تفسيرٍ لسببِ عدمِ جمعِ القرآن، من قبلِ النبيﷺ قال بلاشير: «هذا التهرب من الموافقة على الكتابة كان يخمد كل محاولة للتفسير، وربما وجب ألا نستبعد في ذلك فكرة بعض التأثيرات الألفية(*) كما

= الكاثوليكية، وقد عرضه لنا معرَّباً لأهم ما ورد في النص الاصلي الدكتور السيد محمد هاشم، بعنوان التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، دراسة تحليلية نقدية. ينظر: هاشم، الدكتور السيد محمد، مقدمة مترجم الكتاب، ص٩، والكلام الذي استشهدت به من هذا الكتاب (التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام) هو في ص١١٠.

1 - Casanova; Mohamed et la fin du monde: p 6-10.

كازانوفا، محمد ونهاية العالم، نقلاً عن: التهامي نقرة، القرآن والمستشرقون، بحث منشور، ضمن سلسلة ابحاث في كتاب مناهج المستشرقين، الصادر من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ج١، ٤٣. وللتفصيل عن موضوع الخلافة وعدم تعيين الخليفة، يراجع: آرنولد، توماس، كتاب الخلافة، ص٧ وما بعدها.

* «تقول النظرية الالفية بحكم المسيح الف سنة على الارض قبل قيامة الموتى، وقد قيل: بأن محمد ينتمي إلى طائفة مسيحية، تعتقد بأن المسيح نفسه قد بشر بنبي اسمه أحمد وهذا الاسم هو صيغة أخرى لاسم محمد. ولما كان القرآن قد أنذر بيوم القيامة القريب ونهاية العالم على الاقل في القسم الاول منه، وبأن النبي قد يرى بنفسه عقاب الكافرين، فلم يكن هناك من داعٍ إذا لتدوين الوحي في حياة النبي إما للاعتقاد بأن النبي لن يموت قبل قيام الساعة، وإما للاعتقاد بأن الساعة وشيكة الوقوع. (المترجم)» سعادة، رضا، مترجم كتاب القرآن، نزوله تدوينه، لبلاشير، ص٣٠، هامش رقم ١.

يقترح كازانوفا»[1] من يدري، لعل بلاشير وكازانوفا أرسلاها إرسال المسلّمات، وهنا سوف لا يخدمنا ولا يخدم البحث العلمي إذا ما اكتفينا بما ردَّ به أحدُ الباحثين المبجَّلين على هذا الرأي، وهو يستشهد بكلام لبلاشير[2]عندما يقول بلاشير: «إن كازانوفا لم يكن غرضه البحث عن أسباب عدم جمع القرآن في العهد النبوي وإنما إبراز نوع من الجرأة والوقاحة hardiesse»[3]. وهذا تناقض في رأي بلاشير، على أية حال هذا الشتم والسُباب ـ وناقل الشتم ليس بشاتم ـ لا يروي ظمأ البحث العلمي ولا ينتج نتيجة علمية صادقة.

لكن يمكن في مقام الإجابة ومناقشة كلام بلاشير وكازنوفا القول: عندما يريد شخص أن يحكم على امة من الامم في قضية من القضايا، يجب أن ينصَبَّ ضوءه على دستور هذه الأمة وقوانينها؛ لأن دستورها بطبيعة الحال، يمثل النظرية التي تحاول تطبيقها تلك الامة، ولا يحصر دائرة الضوء على التصرفات الفردية أوالشخصية، وينتج حكماً عاماً وكلياً على نحو الموجبة الكلية، من خلال جزئية من الجزئيات، عقلاً ومنطقاً، هذا لايصح.

وبما أن دستور هذه الأمة يتمثل بالقرآن والسنة الشريفة، تجده في آيات كثيرة يحث على التفكر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد: ٣-٤) ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس:٢٤)، فإن الله تعالى أمر الناس بإعمال العقل والفكر، وحثَّهم إلى التعقل والتفكر والسير في الأرض، والنظر في خلق السموات

---

١ ـ بلاشير، القرآن، نزوله، تدوينه، ص٢٩-٣٠.

٢ ـ حسن عزوزي، مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم ص٣٠ بحث الانترنت في مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الاديان http://al-maktabeh.com/ar/play.php?catsmktba

3 - see: Blachere , Introduction au coran , P.22.

نقلاً عن المصدر السابق الصفحة نفسها.

والارض، ومن البديهي أنّ المراد من التفكّر والتعقّل هو ما يتعقّبه التحرّك نحو العمل ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (التوبة ١٠٥)، ولا يمكن أن يكون المقصود بالتفكرهو التفكير في الحاضر دون المستقبل[١].

وأنموذج آخر بسيط، التأكيد على العمل المستقبلي ما روي «عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»[٢] فالحديث يدل على العمل والتفكير في المستقبل والعطاء، وإن كان ذلك في آخر اللحظات من الحياة.

نعم، يوجد هناك من لا يفكر إلا في الحاضر، يمثله، قول شاعرٍ عربي:

«ما مضى فات والمؤمَّل غيب ولك الساعة التي أنت فيهـا[*]

فلا يعني ذلك إلا شعوراً فردياً لحالٍ معينة، لايصح القياس عليها، ولا تعميم الحكم بمقتضاها»[٣] وببساطة يقابله ويدحضه ما يروى عن سيد البلغاء والمتكلّمين علي بن أبي طالب عليه السلام «إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً...»[٤] فلِمَ القياس على ذاك من دون هذا؟ ثم مسألة جمع القرآن مسألة دينية إلهية مرتبطة برسالة السماء، والدستور الرباني القرآن الكريم، ولو كانت من المسائل الشخصية أو الدنيوية؛ لأمكن جريان النقاش في إهمالها أو عدمه. بعد ذلك، أنّى للرسول أن

---

١ ـ ظ: الشيرازي، ناصر مكارم، ج٢، ص٢٠٢.

٢ ـ البخاري، الادب المفرد، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، ص١٦٨.

* – البيت ينسب إلى أبي إسحاق الغزي، ينظر: رابط:
http://www.alshref.com/vb/t13761.html

٣ ـ التهامي نقرة، القرآن والمستشرقون، ج١، ص٤٢.

٤ ـ مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، ج٣، ص٤٩. ويراجع: القمى، أبو جعفر بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص١٥٧.

يعلم بقرب نهاية العالم ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ (طه: ١٥)، وقد تكون من جملة الغيب الذي استأثر به الله سبحانه لنفسه ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٨)، أما استدلال كازانوفا، بأن النبي هو نبي آخر الزمان وبشَّر به المسيح؛ فهذا ليس معناه ان النهاية ستقوم بعد سنة أو سنتين أو مائة سنة.

شاهدٌ آخر يدفع ما قيل (إن العربي بطبعه أسير اللحظة ولا يشغل نفسه بمزيدٍ من التفكير في المستقبل، لذا أهمل النبي تدوين القرآن) وهو: حادثة جيش أسامة المعروفة، والنبي ﷺ مسجَّى في آخر أيام حياته على فراش الموت، وأمر بتجهيز جيش اسامة[١]، فهل هذا إجراء أُناسٍ لا يفكرون إلا في الحاضر؟ أو يعطل عجلة الحياة بحجة قرب نهاية الكون؟

٢. فقد افترض إرفنج دافعاً سياسياً، بأن «أوعز أبو بكر في بداية خلافته لجمع القرآن، ربما قد يكون لسببٍ سياسي، من أجل أن يدس فيه عدداً من المواضيع التي تساعده في الظروف الطارئة، وتقوي الإمبروطورية الإسلامية»[٢] ما دعاه أن يقول: «إنّ القرآن الموجود في الوقت الحاضر ليس نفس القرآن الذي لقَّنه محمد للمسلمين، إذ دخل عليه بعض التحريف»[٣] (*).

---

١ ـ ظ: الراوندي، قطب الدّين سعيد بن هبة الله، قصص الانبياء، ص٣٥٨.

2 - IRVNG, WASHINGTON, LIVES OF MAHOMET, P, 243.

٣ ـ إرفنج، واشنطن، حياة محمد، م . ن : ص٢٩٣.

* – الغريب أن بعض من يردَّ على مثل هذه الآراء، ويكون الرد هو نفسه مثيراً للشبهة، كما فعل مترجم كتاب إرفنج، في هامش رقم ١، من نفس الصفحة حيث قال «يظن المؤلف أن القرآن قد وقع به بعض التحريف نتيجة تأخر تدوينه. والحقيقة أن هذا الظن خاطئ تماماً. فقد كان العرب في ذلك الوقت يتمتعون بذاكرة قوية جداً، ويعتمدون عليها في تسجيل أنسابهم، وتداول مفاخرهم وأيامهم، ومثالب أعدائهم، ونزل القرآن مفرقاً مما سهل الأمر على العرب حفظه فوعوه».

وللجواب عمّا افترضه إرفنج بشأن الخليفة الاول أبي بكر، وإن كان هو لم يأت بأي دليل لفرضيته، كي ينبسط النقاش فيه؛ من حقنا أن نعده مجرد إدّعاء.

مع ذلك ممكن القول بأن الخليفة أبا بكر أيضاً لم يكن بحاجة لتقوية إمبراطوريته ـ على تعبير ارفنج ـ فقد كانت الدولة الإسلامية وقتئذ في أوج قوتها وقمة شموخها، ثم كيف يستطيع أن يدسَّ مواضيع في القرآن على مسمع ومرأى من الصحابة ومصاحفهم، ثم وجود القرآن الناطق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام «فلو كان نقص أو زيادة وعَلِمَه لما وسعه إلا إبرازه ولأعاده لما ينبغي أن يكون عليه من الصواب»[1] وقد أكد جلكريست بأن «ليس هناك ما يدل على أن النص تعرَّض للتحريف وكل محاولة لتأكيد ذلك ـ كما فعل بعض الباحثين الغربيين ـ يمكن دحضها بسهولة»[2].

ويقرب من هذا الرأي افتراض ماسيه H.MASSE بعدما يشير إلى ما يُسمِّيه (إقرار النص النهائي للقرآن) بقوله: «ويمكن الافتراض أنه كان لعثمان هدف سياسي بعمله هذا يعادل الهدف الديني. فقد وصل إلى الخلافة بجهد، وكان أن عزَّز مركزه بإقراره نصاً لا يتغير للكتاب المقدس»[3].

والسبب في هذا يراه (روي جاكسون) عدم وجود شعبية لعثمان بين المسلمين آنذاك، ولم يشفع لعثمان، حقيقة أنه كان رجلاً كريماً وأعطى كثيراً من ثروته لأقاربه؛ هذا يرجع لأسباب دينية، لاسيما حين قرر حفظ القرآن الكريم في مصحف واحد وإحراق باقي المصاحف، فبهذا الفعل ثبّت عثمان الخليفة سلطة

---

١ ـ رضوان، د عمر بن ابراهيم، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ج١، ص٤٢٢.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN:P,30.

٣ ـ ماسيه، هنري، الإسلام، ص١٠٧.

H.Masse, L"Islam, p78.

دينية رأى آخرون أنه لا يمتلكها[1].

والحق يقال: بغض النظر عن شعبية الخليفة الثالث عثمان أو عدمها، فإنه أُنتخب بحكم الشورى وبويع من قبل الناس اختياراً لا إجباراً ـ ولا يمكن بحث الخلافة هنا؛ فيشتط البحث عن مساره ـ وأُعطي لقب ذي النورين، وبحسب الروايات كانت الملائكة تستحي منه، فإنه وإن كانت مزية لهذا العمل (جمع القرآن)؛ إلا أنها ليست بهذه الضخامة التي يحتاجها الخليفة لتعزيز مكانته، فقد قال الحارث المحاسبي[*] «المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار لـمّا خشي الفتنة»[2] فما فعله الصحابة من الجمع لم يكن أكثر من استنساخ الجمع القائم في الصدور ليكون بين دفتي مصحف، وهذا شأنه شأن الوراقين الذين ينسخون الكتاب من النسخة الأم التي أبدعها ورتَّبها وألف بين أجزائها مؤلف الكتاب في عالَم أهل العلم، فلا يكون من الورَّاق إلا أن ينقله من النسخة الأم التي خطها مؤلفها كما هي، إلى نسخ أخرى متعددة[3].

---

١ ـ ظ: جاكسون، روي، خمسون شخصية أساسية في الإسلام، ص٥٥ ـ ٥٦.

* – الحارث المحاسبي: الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله: من أكابر الصوفية. كان عالماً بالاصول والمعاملات، واعظاً مبكياً، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره. من كتبه، (آداب النفوس ـ صغير) و (شرح المعرفة ـ تصوف) و (المسائل في أعمال القلوب والجوارح ـ رسالة) و (المسائل في الزهد وغيره ـ رسالة) و(البعث والنشور ـ رسالة) و(مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه) الأعلام للزركلي، ج٢، ص١٥٣.

٢ ـ السيوطي، الاتقان، ج١، ص٦١-٦٢.

٣ ـ ظ: توفيق، محمود، كتاب، الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، لمؤلفه، محمود توفيق محمد سعد، ص١٨٢.

فلو كان العمل عظيماً بهذا الحد؛ فهذه المزية أحق بها النبي، ولما توانى عنه الرسول الأكرم ﷺ. إذن، الأمر بديهي إذا ما حاولنا أن نتصور الحال ببداهة: أن الرسول الاعظم ﷺ، كان ينزل عليه القرآن ويمليه على الكَتَبَة ويبقى في بيته. لماذا يجب أن يتفرق ويخرج القرآن من بيته؟ وقد «كان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله فيها القرآن منتشر فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء»[1].

٣. مرة أخرى يفترض بلاشير سبباً ـ برأيه منطقي ـ لتساهل النبي في عدم جمع القرآن وهو: إن الذي أقعدهم عن ذلك بأن الله تبارك وتعالى قد تكفل بحفظ القرآن وجمعه، على وفق ما جاء في نصوص قرآنية، مُطَمْئِنة لهم ومتضمنة ذلك كقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩)، وقوله سبحانه ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ (القيامة: ١٧)، ولأن هذه الكِفالة ترتبط بعقيدة المسلمين وثقتهم التامة لم يَقمُ النبي بهذا العمل[2].

ولمناقشة افتراض بلاشير: لو كان الأمر كما يفترضه بلاشير، وكان الله سبحانه يفعل كل ما يشاءه بهذه الصفة (الإعجاز)؛ فلماذا إذاً أرسل الله سبحانه نبيه بالرسالة وكلّفه بأمر تبليغ القرآن؟ ألا يمكن أن يهدي الله الناس جميعاً ويبلغهم القرآن عن طريق المعجزة، كما في المعجزة المدعاة بجمع القرآن وحفظه من الضياع؟ وإذا كان الله القادر على أن يتكفل بكل أمر مرتبط بالشريعة وأن يحفظه بالمعجزة؛ فَلِمَ ارسل الأنبياء والرسل؟ وما مهمة الرسول الخاتم ﷺ تجاه القرآن

---

١ ـ الاتقان، للسيوطي، ج ١، ص ١١ . والبرهان في علوم القرآن، للزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله. مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، محمد عبدالعظيم، ج ١، ص ١٧٤.

2 - see: Blachere , Introduction au coran.

نقلاً عن: الغزالي، د مشتاق، القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، ص١٤٦.

المبعثر ـ على حدٍّ ما صوروه ـ أمام ناظره؟ لكنَّه كما أفاد الشيرازي: قد أبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها، واقتضت حكمته والسنة الإلهية قد جرت على ذلك، فصار هذا الكون كلّه مسرحاً للأسباب والمسبّبات[1]، «وقانون المعجزات الذي يقول: إن المعجزة إنما تحدث عند توقف إقامة الحق عليها، وأمّا مع عدم هذا التوقف، وإمكان إنجاز الأمر بدون المعجزة فإنها لا تحدث بحال»[2].

فنرى قانون الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة، قد عُطِّل هذا القانون لحماية حياة ابراهيم عليه السلام، حين كان الأسلوب الوحيد للحفاظ عليه تعطيل ذلك القانون، فقيل للنار حين أُلقي فيها ابراهيم ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الأنبياء٦٩)[3].

هنا التساؤل والحال هذه: هل كان جمع القرآن الكريم وحفظه غير ممكن إلا بالمعجزة وتعطيل القوانين الطبيعية دون الاسباب المتاحة؟ من الانصاف أن يكون الجواب، بـ(لا)؛ لأن «الوعد الإلهيّ بجمع القرآن وحفظه لا يعارض أيّ تدبير يتّخذه النبيّ صلى الله عليه واله سواء أكان التوصية بالحفظ في الصدور، أم الحفظ في الرِّقاع وغيرها من وسائل الكتابة المُتداولة في ذلك العصر. بل إنّ الله عندما يتولّى جمع القرآن وحفظه ليس بالضرورة أن يحفظه بالمعجزة، بل قد تكون التدابير ـ والتوصيات التي يعتمدها النبيّ صلى الله عليه وآله هي الوسيلة المُرادة لتحقيق الوعد

---

١ ـ ظ: الشيرازي،ناصر مكارم، الامثل، ج١٣، ص١١٩. وينظر: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تح، عبد الرحمن بن معلا اللويحق،، ج١، ٩٦٦.

٢ ـ ظ: المعجزة في المفهوم الإسلامي، مخطوط، للسيد الصدر، محمد محمد صادق، نقلاً عن: الصدر، محمد محمد صادق، موسوعة الامام المهدي، ج٢ تاريخ الغيبة الكبرى،، ص٣٦.

٣ ـ ظ: الصدر، محمد باقر، بحث حول المهدي عليه السلام، ص٤٠، ضمن كتاب موسوعة الامام المهدي، الكتاب الاول منها، تاريخ الغيبة الصغرى، للسيد، الصدر، محمدمحمد صادق.

الإلهيّ»[1].

إذن فلم يكن الاعجاز هو الاسلوب الوحيد لحفظ القرآن، ولم يسمع أحدٌ عن معجزة حدثت من أجل ذلك الأمر. «وإذا لم يكن محمد هو الذي رتب [أو جمع] القرآن بناءً على وحي نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور زيداً أو أي مسلم آخر يقوم بهذا العمل»[2].

٤. والمستشرق الفرنسي (بارتلمي سانت هيلر Barthélemy Saint Hilaire) في كتابه (محمد والقرآن Mahomet et Coran) توجَّه وأخذ منحىً آخر، بقوله: إنه كان من الأفضل ترك القرآن على حاله مثل ما نزل، وهذا ما حدث فعلاً، فقد توفي محمد فجأةً ولم يُجمع الوحي المبعثر هنا وهناك، وبعدما يتعرض المستشرق سانت هيلر إلى ترتيب القرآن تأريخياً بحسب المكي والمدني ومحاولات بعض المستشرقين ترتيبه، مثل جوستاف فيل ووليم موير والاختلافات القائمة في ترتيبهم، وبيان علائم السور المكية والمدنية وأسلوب القرآن المختلف بينهما وأضاف من عنداياته فروقاً أخرى[3].

بعدها صرَّح بأنه: «يمكن القول، بناءً على هذه الأسباب الوجيهة، إن أفضل شيء هو ترك القرآن على ما هو عليه باضطرابه البادي للعيان، وايضاً بما فيه من لهبٍ قدسيٍّ، وما يحوطه من إجلال مستمر. والمؤكد من بين الأحاديث الكثر المضطربة أن محمداً، وقد فاجأته الوفاة، قد أُعْجِل عن أن يضم بنفسه شظايا الوحي المتناثرة.

---

١ ـ معارف، د مجيد، مسألة جمع القرآن رؤية استشراقية وحقائق موضوعية، بحث منشور في مجلة المنهاج، العدد: ٥٥ خريف ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص٢٧٨.

٢ ـ وات، مونتجمري، الإسلام والمسيحية، ص٦١.

٣ ـ ص ١٧٩ وما بعدها (see, Saint-Hilair, Mahomet et Coran).

وقد وكِلَتْ هذه المهمة فيما بعد إلى زيد بن ثابت أحد كتبته الذي أداها بورع ... إلا أن ذلك لم يكن النسخة الرسمية ولم يكن جمعاً رسمياً على وجه الدقة، فقد نُقِّح ثانيةً بعد عشرين عاماً»[1].

خلاصة الأقوال:

ممكن أن تُقرأ اقوال المستشرقين وتُلخّص بقراءة بحثية بما يلي:

١ ـ إن القرآن لم يُجمع في عهد النبوة والرسالة، وكان مفرقاً بين العسب واللخاف والرقاع وعظام الابل وصدور الرجال.

٢ ـ القرآن يحفظه الصحابة، غير مدوَّن ولا مجموع في مكان واحد، وما دوِّن منه ليس كاملاً. ولا ضمان لبقاء القرآن كاملاً في الصدور؛ فإذا كان النبي ﷺ ينسى ويسقط آيات منه؛ فلا غرابة من نسيان غيره وذهاب بعض القرآن في مطاوي النسيان.

٣ ـ بعد وفاة النبي ﷺ جمعه الصحابة على رأسهم الخليفة الاول، أبو بكر، بإشارة من الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، لكنها لم تعد النسخة الرسمية.

٤ ـ تم جمع القرآن بعد عشرين سنة من رحيل النبي من قبل الخليفة الثالث عثمان، أو تم اعداد وإتمام النسخة الرسمية إبانئذ.

٥ ـ لم يهتم النبي ﷺ بالأمر، والدليل، عدم اهتمامه بأمر الخلافة أيضاً. أو لأن الله سبحانه تكفل بحفظ القرآن بطريق الإعجاز الإلهي، أو لأنه كان يعتقد بقرب نهاية العالم.

---

١ ـ ص ١٧٩ وما بعدها (see, Saint‹Hilair, Mahomet et Coran).

٦ ـ الخليفتان أبو بكر وعثمان بن عفان أقدما على جمع القرآن لمآرب سياسية ولتقوية الامبراطورية التي يحكمانها.

٧ ـ اعتماد المستشرقين بالدرجة الأساس على ما في أيدي المسلمين من مصادر، ومن ثم على اجتهاداتهم الشخصية.

٨ ـ إنّ القرآن جُمع بعد سبعين سنة من وفاة النبي، مثلما حدث مع الإنجيل بزمن طويل.

٩ ـ إكتمال وإعداد النسخة الرسمية، مرَّ بمراحل ثلاث، تطوّر خلالها النص القرآني وسبب ذلك التغيير والتطور هو الاختلاف في القراءات وأنّ نسخة أبي بكر لم تكن رسمية؛ فلم يكن هناك اختلاف واضح في القراءات.

هذا وقد نوقشت بعض من هذه الآراء في الصفحات السابقة، وما تبقى منها سيناقش بعون الله تعالى في الفصل القادم الخاص بالمستشرق جلكريست؛ لأنها مماثلة لآرائه، بل قد اعتمدها، فسيكون مناقشة آرائه، بمثابة مناقشة غيره.

***

الفصل الثالث

كتاب جمع القرآن- جون جلكريست

المبحث الأول
نبذة عن حياة المؤلّف

المطلب الأول: التعريف بالمؤلّف، اهتماماته، مؤلفاته:

من الصعب على أي باحث يبحث في سيرة وحياة شخصيةٍ معاصرة وما زالت موجودة، أن يجد لها ترجمة وتفاصيل في كتب السير والتراجم والموسوعات، من ولادته ونشأته ومراحل حياته العلمية، فضلاً عن أن يجد لها تأريخاً للوفاة؛ بوصفها على قيد الحياة.

والشخصية الكارزمية ـ كارزمية بحال من الأحوال ـ لموضوع هذا الكتاب، هي من هذا النوع، فالمستشرق جون جلكريست مستشرق معاصر، قد يصعب اللقاء أو الاتصال به؛ لوجود بعض الموانع اللوجستية، إلا أنه يمكن التعرف على بعض الأمور المهمة، خلال ما يترشح من مؤلفاته وكتاباته وما كُتبَ عنه في دور النشر والمواقع.

أولاً ـ بلده وعمله:

يعيش في جنوب أفريقيا، ودلّ على عنوانه هذا ما ذكره هو في مقدمة

كتابٍ له بعنوان:

Josh McDowell and John Gilchrist vs. Ahmed Deedat in The Islam Debate.

(جوش ماكدويل وجون جلكريست مقابل أحمد ديدات، في مناقشة الإسلام) إذ جاء في توقيعه لمقدمة الكتاب:

John Gilchrist , South Africa,December 1982.

(جون جيلكريست، جنوب أفريقيا ديسمبر ١٩٨٢)[١] وتحديداً في مدينة (بينوني) كما جاء في مقدمة كتابٍ آخر له بعنوان:

Sharing the Gospel with Muslim

(تقاسم الإنجيل مع المسلمين) فجاء في توقيعه لمقدمة هذا الكتاب:

John Gilchrist Benoni, South Africa12th August 2003 .

ـ جون جيلكريست ـ بينوني ـ جنوب أفريقيا ١٢ أغسطس ٢٠٠٣»[٢].

جون يتحدث أكثر من ٣٠ عاماً عن التوعية الشخصية للمسلمين في جنوب أفريقيا وهو كاتب معروف على الصعيد الدولي، ومدرس، ومفكر.

إنّه يعتقد دائماً أن الطريقة الأكثر فعالية لإقناع المسلمين بالإنجيل، هو أن تعتمد شهادتنا على كلمة الله.

له مناظرات ومناقشات كثيرة مع شخصيات إسلامية منذ سبعينيات القرن

---

1 - see, Josh McDowell and John Gilchrist vs. Ahmed Deedat in The Islam Debate , p11.

2 - Gilchrist, John, Sharing the Gospel with Muslims, p9.

الماضي، منها: مع (الشيخ شبير حليف Shabir Ally)(*) من (تورونتو أكبر مدن كندا) وأبرزها مع الشيخ أحمد ديدات من جنوب أفريقيا(١).

مهنته المحاماة، فيعمل جلكريست محامياً، وهو أيضاً كاتب عدل وثائق نقل الملكية الذي يتناول تعهد وكلاء العقارات في جنوب أفريقيا بانتظام(٢).

ديانته : ينتمي إلى الديانة المسيحية ، المذهب البروتستانتي(*) وانخرط

---

* شبير حليف: داعية إسلامي، ورئيس الإعلام الإسلامي والدعوة المركز الدولي في تورنتو ـ كندا. وهو ناشط إسلامي وواعظ وهو أيضا مفكر، وله مناقشات ومناظرات في أجزاء مختلفة من العالم. ولد شبير حليف في عائلة مسلمة في غيانا وانتقلت إلى كندا في عام ١٩٧٨. وهو حاصل على شهادة البكالوريوس في الدراسات الدينية من جامعة لورانس في سدبري، أونتاريو، مع التخصص في الأدب التوراتي، وعلى شهادة الماجستير في الدراسات الدينية من جامعة تورونتو مع تخصص في التفسير القرآني. وهو الآن في سنته الرابعة من دراسات الدكتوراه في التفسير القرآني في جامعة تورونتو. وهو حاليا (٢٠١٣) يدرِّس اللغة العربية في جامعة Toronto. وله عدة منشورات وكتب منها: (العلم في القرآن ـ Science in the Qur'an) و(تناقضات واضحة في الكتاب المقدس ـ Clear Contradictions in the Bible).

ينظر: موقع ويكيبيديا، على الرابط: http://en.wikipedia.org/wiki/Shabir_Ally

١ ـ تسجيل فديو لمجموعة من المناظرات بين جلكريست وشبير، في موقع اليوتيوب على الرابط:
http://www.youtube.com/results?search_query=Shabir+Ally+John+Gilchrist&oq=Sha

٢ ـ ظ: جلكريست، الكتاب المقدس هو كلمة الله، ص٢.

* – البروتستانتية: «مذهب دينيّ مَسيحيّ، نشأ عن حركة الإصلاح الدينيّ التي قادها مارتن لوثَر (٨٨٨ ـ ٩٥٣ هـ / ١٤٨٣ ـ ١٥٤٦ م) وتدعو إلى تحرُّر الفرد من سلطان الكنيسة وتجعله مسئولاً أمام الله تعالى وحده، وتتَّبعه عدد من الكنائس كالإنجيليَّة والمعمدانيّة وغيرهما، ويقابلها الكاثوليكيَّة الرومانيَّة والأرثوذكسيَّة الشرقيّة». عمر، د.أحمد المختار، معجم اللغة العربية المعاصر، ج١، ص١٩٧. وسمي الذين اعتنقوا مبدأ الإصلاح الكنسي، وخرجوا على الكنيسة الكاثوليكية (بروتستنت)؛ لأنهم عندما أُريد تنفيذ قرار الحرمان عليهم أعلنوا احتجاجاً يسمى بالانجليزية (Protest ـ الاحتجاج) فسمى الذين أمضوا القرار بروتستنت، أي المحتجين. ظ: هامش رقم١، من كتاب محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص١٥٣. =

= ففي عام ١٥١٧م ولدت هذه الطائفة على يد مارتن لوثر في ألمانيا، وكانت ثورة ضد ممارسات معينة ضمن الكنيسة الكاثوليكية فمثلاً:

١. إن الكاثوليك مولعون بالكنائس المزخرفة والمعقدة، بينما نجد البروتستانت يتجهون إلى جعلها لطيفة وبسيطة.

٢. إن الكتابات الكاثوليكية المقدسة تحتوي على عدد من كتب (الكتب المخفية) أمّا البروتستانت فيتفادون التعامل مع أي من هذه الكتب (الكتب المخفية).

إن الكاثوليك عندهم تماثيل في كنائسهم وتماثيل في بيوتهم وتماثيل في سياراتهم، ويدفنون تماثيل في الحدائق الأمامية عندما يعلنون عن بيع بيوتهم ويزيّنون صلبانهم بتمثال عيسى المصلوب. والبروتستانت يصرخون أن هذه هي (عبادة الاصنام)، لايقتنون حتى صليب عادي كزينة في داخل كنائسهم. يراجع: (براون، بربارا، كتاب نظرة عن قرب في المسيحية، ترجمة: المهندس مناف حسين الياسري، ص٩٦). ويختلف البروتستانت كذلك في العقائد أيضاً عن الطوائف المسيحية:

١. الإيمان بأن الكتاب المقدس فقط وليس (البابوات) ولا التقاليد هو مصدر المسيحية.

٢. إجازة قراءة الكتاب المقدس لكل أحد، كما له الحق بفهمه دون الاعتماد في ذلك على فهم بابوات الكنيسة.

٣. عدم الإيمان بـالأسفار الأبوكريفا السبعة.

٤. عدم الاعتراف بسلطة البابا وصكوك الغفران. حيث ترى أنّ الخلاص والفوز في الآخرة لا يكون إلاّ برحمة الله وكرمه وفي الدنيا في الالتزام بالفرائض والكرازة ـ التبشير بالإنجيل.

٥ ـ إنّ القديسيين لقب يمكن أن يوصف به كل إنسان نصراني حيث إنّ القداسة في فهمهم ليست في ذات الشخص ولكنّها مقام يصل إليه. وترفض البروتستانتية مرتبة الكهنوت حيث إنّ جميع المؤمنين بها كهنة، وليس هناك وسيط ولا شفيع بين الله والإنسان سوى شخص المسيح لأنّه جاء في معتقدهم رئيساً للكهنة، كما لا تؤمن بالبخور والهيكل.

٦ ـ يرحب البروتستانت بزواج القسس ويرون انه ليس من الضروري ان يكون القس بتولا. لا تؤمن الكنيسة البروتستانتية بنظام الرهبنة.

وغيرها كثير من اختلاف العقائد والطقوس العبادية ويتفق البروتستانت مع الكاثوليك في انبثاق الروح القدس من الأب والابن كما يوافقونهم في أن للمسيح طبيعتين (إلهية وبشرية) ومشيئتين.

ينظر: موقع طريق الإسلام: http://ar.islamway.net/article

وموقع ويكيبيديا على الرابط: https://ar.wikipedia.org

* – التبشير «من البشرى والبشارة، واصطلاحاً يستخدم مصطلح التبشير على تلك الحملة التي تولتها الصليبية فيما يسمى بتعليم الدين المسيحي ونشره» أحمد ديدات، حوار مع مبشر، ص١١. =

الماضية، وهذا شيء غير خافٍ على سطح كتاباته ومؤلفاته ومناظراته.

ثانياً ـ مناظراته مع ديدات:

لجلكريست مناظرات مع الشيخ أحمد ديدات(*) (١٩١٨ ـ ٢٠٠٥م) من جنوب افريقيا، وقد تحدث جلكريست بنفسه في شريط فديو مسجل عن بدايته

= والتبشير: الدعوة إلى الدين، ينظر: المعجم الوسيط، ج١، ص١٢٢. فالكلمة تبشير كفعل لها علاقة وطيدة بالإنجيل، فالإنجيل في أصله معناه الخبر المفرح أو الطيب فهو بشارة. وفي الاصطلاح الإسلامي هو الداعية، أي الذي يذيع ويدعو الناس للدخول في دين الإسلام، وقد مارس الإسلام أشكال متعددة لدخول الناس في الدين الجديد. ينظر: القس لوديي، مقال بعنوان: ما معنى التبشير ومن هو المبشّر؟ على موقع انترنت اسمه: المرشد للطريق والحق والحياة:
http://almurshid.com/?page_id931

* – أحمد ديدات: الداعية الإسلامي وأحد أكثر المتعمقين في نصوص الأناجيل المختلفة، فهو عالم مسلم متخصص في الإنجيل المسيحي. اسمه: أحمد حسين ديدات ولد في (تادكهار فار) بإقليم سورات بالهند عام ١٩١٨ م، ذهب ديدات إلى (كوازولو ناتال) في جنوب أفريقيا في عام ١٩٢٧ للانضمام إلى والده بسبب الفقر المدقع وعدم وجود التعليم الرسمي في الهند. وكانت نقطة التحول الحقيقي في حياته في أربعينيات القرن العشرين وكان سبب هذا التحول هو زيارة بعثة آدم التنصيرية في دكان الملح الذي كان يعمل به الشيخ وتوجيه أسئلة كثيرة له من قبل طلبة الدين المسيحي عن دين الإسلام لم يستطع وقتها الإجابة عنها.
وقرر الشيخ أن يدرس الأناجيل بمختلف طبعاتها الإنجليزية حتى النسخ العربية كان يحاول أن يجد من يقرأها له وقام بعمل دراسة مقارنة في الأناجيل وبعد أن وجد في نفسه القدرة التامة على العمل من أجل الدعوة الإسلامية ومواجهة المبشرين قرر الشيخ بأن يترك كل الأعمال التجارية، واخذ الشيخ يمارس ما تعلمه من هذا الكتاب في التصدي للمنصّرين، ثم انتقل إلى مدينة ديربان وواجه العديد من المبشرين كأكبر مناظر لهم.
في عام ١٩٤٢، ألقى محاضرته الأولى "محمد: رسول السلام" في ديربان، واشتهر بمناظراته التي عقدها مع كبار رجال الدين المسيحي أمثال: فلويد كلارك، جيمي سواجارت، أنيس شروش.
وألف أحمد ديدات ما يزيد عن عشرين كتاباً، وطبع الملايين منها لتوزع بالمجان بخلاف المناظرات التي طبع بعضها، ولهذه المجهودات الضخمة مُنح الشيخ أحمد ديدات جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٦م وأعطي درجة (أستاذ). =

مع ديدات وكيف كان السبب في كتاباته عن الإسلام والقرآن، قال ما مضمونه: في يوم من ايام السبعينيات كانت عطلة نهاية الاسبوع وكان لقائي لأول مرة مع ديدات وجرى هناك نقاش معه، وقد كانت سياسة ديدات منذ البداية لإبطال أن الإنجيل كلمة الله وأنه محرَّف وليس صادراً من السماء، والمسيح غير مصلوب، والمسيح ليس ابن الله، وفي البداية لم أكن اهتم للامر؛ لأني أعلم إنه على خطأ، ومن السهل الرد عليه، وبعد ذلك بدأت أرى أحمد ديدات تزداد شعبيته في جنوب افريقيا، وبدأ ينشر أفكاره بصورة فعّالة وسريعة، فصار لي حافز بالرد عليه وبدأت مناظراتي وكتاباتي للرد عليه وإثبات أن الإنجيل كتاب من السماء[1].

ومن هنا بدأت مناظراته المباشرة مع ديدات[2]. ورحلة الكلام والسِّجال العلمي الطويل بلا ملل بينهما، محوره يدور حول الإنجيل والسيد المسيح والإسلام والقرآن، وذلك في مؤلفات وكتابات مواجهة صريحة، أو يأتي ذلك استطراداً في كتاب أو مقالة، أو ضمن مؤتمر مهيّأ ومعدّ لهذا الغرض.

= وفي عام ١٩٩٦ بعد عودة الشيخ من أستراليا بعد رحلة دعوية أصيب بمرضه الذي أقعده طريح الفراش طيلة تسع سنوات، وقد أصيب بجلطة في الدماغ. وأمضى آخر تسع سنوات من حياته على السرير في منزله في جنوب إفريقيا توفي صباح يوم الاثنين الثامن من أغسطس ٢٠٠٥م الموافق الثالث من رجب ١٤٢٦هـ. ينظر: موقع الشيخ ديدات: http://ahmed-deedat.net

وينظر:

ahmed deedat, Dr. Md. Mahmudul Hasan, International Islamic University Malaysia 2011, p 3.

كتاب بعنوان أحمد ديدات، د محمد حسن، الجامعة الإسلامية الدولية في ماليزيا، ص٣ ومابعدها، منشور في الانترنت على موقع: http://www.google.ae/url

وينظر موقع ويكيبيديا: http://ar.wikipedia.org/wiki

١ ـ شاهد: تسجيل فديو لجلكريست في موقع اليوتيوب : http://www.youtube.com/watch

٢ ـ شاهد: تسجيل فديو لمجموعة من المناظرات بين جلكريست وديدات، في موقع اليوتيوب على الرابط: http://www.youtube.com/results

ثالثاً ـ مؤلفاته:

أهمّ ما يميّز كتاباته ومؤلفاته، أسلوبها الدفاعي الناقد لكتابات غيره.

أولاً ـ مؤلفات في معرض الرد على ديدات:

١. (صلب المسيح وقيامته)، وهو ردّ على ثلاثة كتيبات لأحمد ديدات: (ما هي آية يونان النبي؟) و (قيامة أم إنعاش؟) و (من دحرج الحجر؟).

٢. (صلب المسيح حقيقة لا افتراء)، وهو ردّ على كتاب لأحمد ديدات: (صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء).

٣. (الكتاب المقدس هو كلام الله) وهو رد على كتاب لأحمد ديدات (هل الكتاب المقدس هو كلام الله) ؟

٤. كتاب التاريخ النصي للقرآن والإنجيل وهو أيضاً رد للكتاب أعلاه، حول دراسة القرآن والكتاب المقدس.

Bible Qur'an and the The Textua History of the.

٥ ـ مناقشة الإسلام جوش ماكدويل وجون جيلكريست مقابل أحمد ديدات).

The Islam Debate Josh McDowell and John Gilchrist vs. Ahmed Deedat

٦. (ديدات في الميزان ـ Deedat in the Balance) هذا الكتيب تضمّن اعمال ندوة ومناظرة بين جلكريست وديدات، جرت في بينوني جنوب أفريقيا[1].

٧. (المسيح في الإسلام والمسيحية):

CHRIST IN ISLAM AND CHRISTIANTIY.

---

١ ـ ديدات في الميزان (Deedat in the Balance)، كتيب منشور على شبكة الانترنت على موقع:
http://answering-islam.org/Responses/Deedat/deedat.html

وهو ردٌّ على كتيب بعنوان: (المسيح في الإسلام Christ in Islam) نشره أحمد ديدات عام ١٩٨٣[١].

٨. (مواجهة تحدي المسلمين):

FACING THE MUSLIM CHALLENGE.

وفي هذا الكتاب مواجهة لكتابات المسلمين ولاسيما كتيبات أحمد ديدات[٢].

٩. صلب المسيح حقيقة وليست خيال:

A Fact, not Fiction :The Crucifixion of Christ.

١٠. ما كان في الواقع علامة يونان؟

What Indeed Was the Sign of Jonah ?

ثانياً: مؤلفات كثيرة غير الذي تقدم، منها:

١. كتاب جمع القرآن ـ تدوين نص القرآن:

JAM' AL-QUR'AN :THECODIFICATION OF THE QUR'AN TEXT .

٢. أصول ومصادر إنجيل برنابا:

Origins and Sources of the Gospel of Bar nabas.

٣. الشاهد المسيحي إلى المسلم:

The Christian Witness to the Muslim.

٤. المجيء الثاني ليسوع:

THE SECOND COMING OF JESUS .

---

١ ـ المسيح في الإسلام والمسيحية:

see, Gilchrist, John, CHRIST IN ISLAM AND CHRISTIANTIY, p, 2.

٢ ـ (جلكريست، مواجهة تحدي المسلمين، ص٥):

see, Gilchrist, John, FACING THE MUSLIM CHALLENGE, p,5.

٥. القرآن، الكتاب المقدس للإسلام:

The Scripture of Islam The Qur'an.

٦. تقاسم الإنجيل مع المسلمين:

Sharing the Gospel with Muslims .

٧. جمع ومصادر القرآن:

The Collection and Sources of the Qu'ran .

٨. محمد ودين الإسلام:

Muhammad and the Religion of Islam .

٩. هل محمد ذُكر في الإنجيل؟

Is Muhammad Foretold in the Bible?

١٠. عيد الأضحى: إبراهيم والنحر:

Eid-ul-Adha: Abraham and the Sacrifice .

المطلب الثاني: أهداف ودواعي تأليف الكتاب:

تطرّق جلكريست لموضوع جمع القرآن في عدة مناسبات منها كتابية كما في كتيبٍ له (جمع ومصادر القرآن):

The Collection and Sources of the Qu'ran.

وكذلك كتيبٍ آخر (التاريخ النصي للقرآن والإنجيل:

Bible Qur'an and the The Textua History of.

وغيرها من المؤلفات ـ سيأتي ذكرها تباعاً ـ ومنها مناظراتية[1]، إلا أن كتابه (جمع القرآن) قد استحوذ القسم الاكبر في ذات الموضوع، فقد خصصه لذلك

---

١ ـ شاهد: تسجيل فديو لجلكريست يتحدث فيه عن جمع القرآن على الرابط:

http://www.youtube.com/watch

وتناول فيه ما يسمى بمراحل جمع القرآن بالتفصيل غير الممل وكل ما يُتصور ارتباطه به كالتدوين واختلاف القراءات وأنواع الخطوط القرآنية، وتعدد المصاحف وغيرها من المواضيع؛ لذا سيطول مكوث الباحث في أروقة هذا الكتاب ومناقشته.

ويمكن الوقوف على الأهداف والدوافع التي تقف وراء تأليف جلكريست لكتاب (جمع القرآن) من خلال التعرف عن كثب على الظروف والبيئات الزمانية والمكانية التي هيأت وزاولت ورافقت تأليف هذا الكتاب.

الظروف والبيئات الثقافية للمؤلف: ولبيان أهداف التأليف يمكن إيراد عدة نقاط هنا ونصبها عين الاعتبار:

١. كما سبق أن جلكريست ومن خلال كتاباته ومؤلفاته، له اهتمامات خاصة بديانته المسيحية وعمله التبشيري المميز، والتبشير: هو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي. وقد فُصِّلَ معناه آنفاً[1].

٢. بالنظر إلى جوهر مواضيع كتاباته التي جاءت رداً على أحمد ديدات وعلماء آخرين، والحرب الكلامية العقائدية، فقد جاء في معرض رده على ديدات، عندما أورد الأخير عيوباً أسماها جسيمة على الكتاب المقدس، بل أوصلها إلى خمسين ألف خطأ، فقال جلكريست ما مضمونه: وبطبيعته العدوانية المعتادة يتحدى ديدات المؤمن المسيحي أن يلمّ أطراف شجاعته ليواجه أقسى ضربة، وهو ـ ديدات ـ يستشهد بكلمات من مقدمة الترجمة المنقحة المعروفة ويقول: إنّ الترجمة المعروفة بترجمة الملك جيمس تحتوي على عيوب جسيمة، وهذه العيوب كثيرة ومهمة بحيث تتطلّب المراجعة. فيرد جلكريست: هذه (العيوب) ما هي إلا

---

١ ـ ظ: هامش ص١٨٢ ـ ١٨٣ من هذا الكتاب.

عدد من القراءات المختلفة التي لم تكن معروفة للمترجمين الذين أعدّوا ترجمة الملك جيمس[1].

ويعترف بحقيقة تأثير هذا الاختلاف على الإنجيل؛ إلا أنه قليل بقوله: «نعم هناك قراءات مختلفة للكتاب المقدس، ونحن كمسيحيين نؤمن بالنزاهة التامة في كل وقت، ولا يسمح لنا ضميرنا أن نتحاشى الحقائق، كما أننا لا نؤمن أنه يمكن تحقيق أي شيء بالتظاهر أنّ مثل هذه الاختلافات لا وجود لها ونحن لا نرى أن هذه القراءات المختلفة تثبت أن الكتاب المقدس قد تغير. إن أثرها على الكتاب قليل، ويمكن تجاهلها، ويمكننا بثقة أن نؤكد أن الكتاب المقدس بشكل عام سليم ولم يحدث به أي تغيير بأي طريقة»[2].

وبعدها يواجه مواجهة صريحة محاولاً إثبات ما جرى على الكتاب المقدس، نفسه كان في القرآن بقوله: «هناك دليل قوي أنّه عند تجميع القرآن لأول مرة في عهد الخليفة عثمان في مجلد واحد رسمي، كانت هناك مخطوطات متعددة تحتوي على قراءات مختلفة. وخلال حكمه كان المسلمون في أنحاء متفرقة من سوريا وأرمينيا والعراق يتلون القرآن بطريقة تختلف عن طريقة تلاوته في بلاد العرب ... وأمر زيدًا بن ثابت وثلاثة آخرين أن يعملوا نسخاً من هذا النص وأن يصححوا حيثما لزم الأمر... وأمر عثمان العمال أن يجمعوا ما عندهم من المصاحف ويَغْلوا له الخل ويسرّحوه فيه ويتركوه حتى يتقطع ويهترئ، ولم يبق منه شيء، وتوعَّد من يخالف أمره. ولم يحدث في تاريخ المسيحية في أي وقت من الأوقات أنّ أحدًا حاول أن يُضفي صفة الرسمّية على نسخة واحدة من الكتاب

---

١ ـ ظ: جلكريست، جون، الكتاب المقدس هو كلام الله، ص ٥.

٢ ـ م . ن، ص ٦.

المقدس معتبراً أنها النسخة الحقيقية، لا يمكننا إلاّ أن نفترض أنّه كان يؤمن أنها تحتوي على عيوب من الكثرة والجسامة بحيث تتطلب لا مجرد التصحيح بل الاستئصال الكامل... نجد أنّ القرآن الذي أُضْفيت عليه الصفة الرسمية بأنّه الصحيح وحده، أصدر القرار بصحته الإنسان وليس الله، وحسب استحسان الإنسان وليس بوحي رباني»[1].

وبعدما يذكر أموراً ـ محاولاً برأيه تقرير أن لا صحة كاملة للنص القرآني وفقدان فقرات عديدة حذفت منه ـ منها مسألة اختلاف المصاحف وعدم مطابقتها مع النسخة التي اعدّها الخليفة الأول أبو بكر، ومنها إن زيداً تذكّر بعد نسخ المصاحف بخمس سنين أو أكثر، آية كانت ناقصة وجدها عند ابي خزيمة، ومنها ما يُعرف بآية الرجم المدّعاة، التي جاء بها عمر، ومنها ما يُعرف بآية طمع ابن آدم الموضوعة، وإيراد روايات القراءات المختلفة المثبتة خطياً لدى بعض حملة القرآن، ومنها نسخة ابن مسعود ورفضه بعدم تسليمها إلى الحرق[2]، فبعد ذكر هذه الأمور وغيرها، يخلُص إلى نتيجة محاولاً فيها جرَّ ما جرى على نصوص الإنجيل من عدم حفظٍ تام لها بالصورة التي أرادها الله تعالى والمسيح، على النصوص القرآنية والتي يعترف بها هو قائلاً: «والحقيقة هي أن تاريخ نصوص القرآن يشابه تماماً تاريخ نصوص الإنجيل، فكلا الكتابين حُفظ جيدًا بطريقة ظاهرة، وكلٌّ منهما في تكوينه الأساسي ومحتواه تسجيل مقبول لما كان عليه في الأصل. لكن لم يُحفظ أيٌّ من الكتابين كليةً بدون خطأ أو عيب نصّي.

---

١ ـ (تاريخ النص القرآني):

Gilchrist, John , The Textual History of the Quran, p, 8.

٢ ـ ظ: جلكريست، الكتاب المقدس هو كلام الله، ص ٦، ٧، ٨ من الكتاب.

لقد عانى كلٌّ من الكتابين ـ هنا وهناك ـ من تفسيرات مختلفة في النسخ الأولى المعروفة لنا، لكن لم يُحَرَّف أيٌّ منهما بأي شكل من الأشكال. وإنّ المسيحيين والمسلمين الجادّين سوف يقرّون هذه الحقائق بأمانة.

الاختلاف الوحيد بين القرآن والإنجيل اليوم هو أنّ الكنيسة المسيحية ـ ومن أجل الحقيقة ـ قد حفظت بعناية النصوص المختلفة التي وُجدت، بينما المسلمون ـ وفي وقت عثمان ـ وجدوا أنّه من الملائم أن يبيدوا على قدر الإمكان كل أدلة النصوص المختلفة للقرآن، بقصد إقرار نص واحد للقرآن لجميع المسلمين في العالم»[1].

٣. يجب الاخذ بنظر الاعتبار، الكم والنوع غيرالقليل من المناظرات التي أجراها مع علماء المسلمين، والتي تتُّم عن نزعة دفاعية علمية مشروعة.

٤. نشر السيد جلكريست في سنة ١٩٨١ كتيباً عنوانه (تاريخ النص القرآني): (Quran. The Textual History of the) كردٍّ على منشور إسلامي أراد الطعن في موثوقية الإنجيل. وحاول من خلاله إيجاد أدلة تثبت خلاف ذلك، أنّ نقل القرآن لم يكن أبداً أوثق من نقل الإنجيل. في المقابل في سنة ١٩٨٦ نُشر مقالين في مجلة (البلاغ) وهي صحيفة إسلامية حاول صاحباهما الرد على كتيب جلكريست السالف الذكر[2].

٥. كذلك أصدر كتيبا آخر في سنة ١٩٨٤ بعنوان (أدلة حول جمع القرآن):

Evidences for the Collection of the Quran.

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN,p3.

2 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN,p3.

هذا المؤلَّف أثار أيضاً رد فعل بعض العلماء المسلمين، تُوِّج رد الفعل هذا بنشر كتيب مقابله سنة ١٩٨٧ من قبل (مجلس العلماء) لجنوب إفريقيا[١].

بهذه الروح وهذه البيئات والظروف الانفعالية انبثق كتاب جمع القرآن لجلكريست؛ بوصفه جاء رداً على ثلاثة مقالات آنفة الذكر من علماء المسلمين من جنوب أفريقيا:

١. أحدها للدكتور كوكب الصديق الباحث الإسلامي المتمركز في أمريكا، نُشر في مجلة البلاغ الإسلامية مجلد ١١ عدد ١ فبراير/ مارس ١٩٨٦، بعنوان: (قول داعية الكذب المسيحي إن القرآن ليس قول الله) و يصف صدّيق بحوث جلكريست بالجدال الحقير الذي لا يليق بالمسألة والوقاحة التي تميز تهجمه على الإسلام والقرآن.

٢. مقال السيد عبد القادر عبد الصمد الذي نشر تحديداً في العدد التالي من نفس المجلة فقد كان بعنوان (كيف تم جمع القرآن؟) (مجلة البلاغ، مجلد١١ عدد ٢ ماي/ يونيه ١٩٨٦) فقد وصف جلكريست بأنه من أعداء القرآن المجنونين، الذين تحركهم الغيرة والبغض والعداء والنوايا السّامة.

٣. مقال ما يُعرف بـ(مولانا ديزاي Maulana Desai) بعنوان: (القرآن فوق كل اتهام) وقال فيه: إن جلكريست سيلعن نفسه ومن الضروري فضح محاولته لنفي أصالة القرآن المجيد[٢].

بعد كل هذا، أصدر جلكريست هذا الكتاب قائلاً في مقدمته: «هذا الكتاب ألف أساساً ليكون تأكيداً للحجج التي قدمت في منشوراتي السابقة وكذلك

---

1 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN,p 4.

2 - see, Ibid, p5 .

الاستنتاجات المستخلصة منها وليكون في نفس الوقت تقييماً للأجوبة الثلاثة الصادرة عن العلماء المسلمين السالفي الذكر وتفنيداً لمقولاتهم»[1].

الأهداف والدواعي:

من خلال هذه النقاط وبعد ما تقدم، سوف لا يصعب التكهن بدوافع وأهداف انتاج هذا الكتاب، المعدّة سلفاً، بيدَ إنها مذكورة إما ضمناً أو صراحةً، في فلتات لسان هذا الكتاب أو غيره من آثار المؤلف، ومن الأهداف:

١ ـ إثبات ان القرآن كان غير مكتمل وقت تدوينه في مصحف واحد[2].

٢ ـ تقرير عدم خلو القرآن من التحريف والزيادة والنقصان والاختلاف[3].

٣ ـ محاولة إيقاع الترادف بين القرآن والإنجيل، بأن تاريخ نصوص القرآن يشابه تماماً تاريخ نصوص الإنجيل[4]. وهذا يجيز للباحث أن يطلق على تصريحٍ لجلكريست بأنه (مجرد إدعاء) عندما قال: «ليس هناك ما يدل على أن النص تعرض للتحريف وكل محاولة لتأكيد ذلك ـ كما فعل بعض الباحثين الغربيين ـ يمكن دحضها بسهولة»[5] وإلا كيف يكون التحريف إذاً؟ إذا كان القرآن غير مكتمل وقت تدوينه. فهو يحاول عبثاً، إسقاط قدسية القرآن بعين المسلمين، وبهذا يناقض نفسه ومدعياته؛ لأنه قد قال منتقداً: بأن ديدات يعتقد «إنّه لكي تصبح مسلماً حقيقياً عليك أن تهدم ديانة الآخرين»[6].

---

1 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN,p 4.

2 - see: Ibid, p, 31.

3 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 55 – 85.

٤ ـ ظ: جلكريست، الكتاب المقدس هو كلام الله، ص٨.

5 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 30.

٦ ـ جلكريست، الكتاب المقدس هو كلام الله، ص٢.

المطلب الثالث: موارد الكتاب:

من اللائق في هذا المجال، ذكر المصادر التي اعتمدها في كتابته عن موضوع جمع القرآن، وكيفية انتقائه المصادر، وهي بصورة عامة: القرآن الكريم، ما يتعلق بالسيرة النبوية، كتب الحديث، كتب التفسير، كتب معاصرة تطرقت لموضوع جمع القرآن، مقالات حول موضوع جمع القرآن. وتفصيلها :

١. القرآن الكريم: إذ أفاد من بعض الإشارات التي يشتمل عليها القرآن الكريم إلى طريقة جمع القرآن، وآية النسخ وغيرها.

٢. كتب السيرة النبوية:

أ. سيرة رسول الله لمحمد بن إسحاق(*) (ت١٥١هـ) (اعتمد عليه ابن هشام (ت٢١٨ هـ) في تأليف كتاب السيرة النبوية).

---

* ـ ابن إسحاق: وهو أبو بكر محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار، المطلبي بالولاء المدني. كان مولى لقيس بن مخرمة بن المطلب القرشي، ولد في المدينة سنة ٨٥ هـ /٧٠٣م، وبها نشأ،. من أقدم مؤرخي العرب. يعتبر أول من كتب السيرة النبوية والمنسوبة خطأ لابن هشام، واعتمد ابن هشام في نقلها عن زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن إسحاق، لكن ابن هشام هذب سيرة ابن إسحاق وخفف من أشعارها وأتبع ذلك منهجاً ذكره في بداية الكتاب. قال ابن هشام: وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسولَ الله صلى الله عليه [وآله] وسلم... وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء ... لِما ذكرتُ من الاختصار، وأشعاراً لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها وأشياءَ بعضها يشنُع الحديث به. وكان قدرياً، ومن حفاظ الحديث. زار الاسكندرية سنة ١١٩ هـ، وسكن بغداد فمات فيها، توفي محمد بن اسحاق في بغداد سنة ١٥١ هـ/ ٧٦٨م، ودفن في مقبرة الخيزران. ينظر: الأعلام للزركلي، ج٦، ص٢٨ والمصدر نفسه ج٣، ص٥٤. وينظر: كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج٩، ص٤٤.

ب. كتاب الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ـ ٢٣٠هـ ـ ٨٤٥م.

ج. كتاب المغازي لمحمد بن عمر الواقدي(*) ت٢٠٧ هـ .

٣. كتب الحديث، و« التي يُنظر إليها في الأوساط الإسلامية على أنها تأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن من حيث الأهمية والموثوقية»[١] وهي:

أ. صحيح البخاري لمحمد بن اسماعيل البخاري ـ ت٢٥٦ هـ.

ب. صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج ـ ت٢٦١ هـ

ج. سنن أبي داود لسليمان بن أبي داود ـ ت ٢٧٥ هـ

د. الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد الترمذي ـ ت٢٧٩ هـ

هـ. الموطأ لمالك بن أنس ـ ت١٧٩ هـ

و. السنن الكبرى لأبي بكر أحمد البيهقي ـ ت ٤٥٨ هـ.

٤. كتب التفسير منها: جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطبري ـ ت٣١٠ هـ.

«رغم أن كتاب الطبري قُصد به التفسير بالدرجة الأولى إلا أنه يحتوي على معلومات بالغة الأهمية حول جمع القرآن في الحقبة الأولى»[٢].

---

* ـ الواقدي: محمد بن عمر بن واقد السهمي الاسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي: من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث. ولد بالمدينة سنة ١٣٠هـ الموافقة لسنة ٧٤٧م، انتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ أيام هارون العباسي، واتصل بيحيي بن خالد البرمكي فأفاض عليه عطاياه وقربه من الخليفة، فولي القضاء ببغداد. واستمر إلى أن توفي فيها. توفي في ١١ ذو الحجة ٢٠٧ هـ الموافق لـ ٢٧ إبريل ٨٢٣م. ينظر: الأعلام للزركلي، ج٦، ص٣١١.

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 11 – 12.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p12.

واعتمد على كتابين مهمّين أساسيين في جمع القرآن، وليس لهما علاقة مباشرة بالتفسير القرآني وهما:

أ ـ كتاب المصاحف لابن أبي داود ـ ت ٢٧٥ هـ

ب ـ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السُيوطي ـ ت ٩١١ هـ

٥. بعض الكتب المعاصرة اهتمت بموضوع جمع القرآن يذكر من بينها :

أ. (بيستون، وآخرين، الأدب العربي إلى نهاية العصر الأموي. مطبعة جامعة كامبريدج، إنجلترا ١٩٨٣).

Beeston, A.F.L. & others. Arabic Literature to the End of the Umayyad Period. Cambridge University Press, Cambridge, England, 1983.

ب. (بيرتون، جون. جمع القرآن. مطبعة جامعة كامبريدج، إنجلترا ١٩٧٧).

Burton, J. The Collection of the Qur'an. Cambridge University Press, Cambridge, England. 1977.

ج. (جيفري، آرثر. مواد لتاريخ نص القرآن. نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية. ١٩٧٥. (E.J. بريل، ١٩٣٧).

Jeffery, A. Materials for the History of the Text of the Qur'an. AMS Press, New York, United States of America. 1975. (E.J. Brill, 1973.

د. (جيفري، آرثر. القرآن ككتاب مقدس. الكتب للمكتبات، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية. ١٩٨٠ (١٩٥٢):

Jeffery, A. The Qur'an as Scripture. Books for Libraries, New York, USA. 1980 (1952).

هـ (نولدكه، T. التاريخ من Qorans. جورج Olms فيرلاغ، هيلدسهايم، ألمانيا. ١٩٨١ (١٩٠٩):

Noeldeke, T. Geschichte des Qorans. Georg Olms Verlag, Hildesheim, Germany. 1909 – 1981.

و. (فون دينفر، A. علوم القرآن: مقدمة لعلوم القرآن الكريم. المؤسسة الإسلامية، ليستر، إنجلترا. ١٩٨٣):

Von Denffer, A. 'Ulum al-Qur'an: An Introduction to the Sciences of the Qur'an. The Islamic Foundation, Leicester, England. 1983.

س. (واط، مونتجمري. مقدمة بيل للقرآن. ادنبره جامعة أكسفورد، أدنبرة، اسكتلندا. ١٩٧٠):

Watt, W.M. Bell's Introduction to the Qur'an. Edinburgh University Press, Edinburgh, Scotland. 1970.

٦. مقالات حول موضوع جمع القرآن: رجع المؤلف إلى بعض المقالات التي نشرت في (العالم مسلم) (The Muslim World) التي نشرتها مؤسسة هارتفورد اللاهوتي (Hartford Seminary Foundation) بالولايات المتحدة الأمريكية. المراجع المذكورة هنا هي تلك التي توجد في المجلدات التي أعيد نشرها من طرف شركة طبع كراوس (Kraus Reprint Corporation) بنيويورك سنة ١٩٦٦. المقالات المتعلقة بموضوع جمع القرآن وبالمصاحف الأولى هي كالتالي:

أ. كايتاني،L. عثمان والنص المنقح للقرآن الكريم المجلد٥، ص٣٨٠، ١٩١٥).

Caetani, L. Uthman and the Recension of the Koran. Volume5, p380, (1915).

ب. جيفري، A. أبو عبيد على آيات من القرآن مفقود. حجم ٢٨، ص٦١، ١٩٣٨.

Jeffery, A. Abu Ubaid on Verses Missing from the Qur'an. Volume 28, p61, (1938).

ج. جيفري، A. التقدم في دراسة نص القرآن. حجم٢٥، ص٤، ١٩٣٥.

Jeffery, A. Progress in the Study of the Qur'an Text. Volume 25, p4, (1935).

د. الاختلافات النصية للقرآن الكريم. المجلد ١٥، ص٣٣٤، ١٩٢٥.

Margoliouth, D.S. Textual Variations of the Koran. Volume 15, p334, (1925). (Margoliouth ،DS 1925).

هـ. مندلسون، I. النسخة جامعة كولومبيا من سمرقند الكوفي القرآن. حجم ٣٠، ص ٣٧٥، ١٩٤٠ Mingana، A. نقل القرآن. المجلد٧، ص٢٢٣، ١٩١٧.

Mendelsohn, I. The Columbia University Copy of the Samarqand Kufic Qur'an. Volume 30, p 375, (1940).

و.

Mingana, A. The Transmission of the Koran. Volume 7, p223, 1917.

٧. ورجع باستمرار إلى الدراسات الثلاث التي نُشرت في جنوب افريقيا وهي:

أ. عبد القادر، A.S. كيف تم جمع القرآن. آل Balaagh، المجلد. ١١، (NO٢)، جوهانسبرغ، جنوب أفريقيا، مايو / يونيو ١٩٨٦.

Abdul Kader, A.S. How the Quran was Compiled. Al-Balaagh, Vol.11 , No2, Johannesburg, South Africa, May/June 1986.

ب. ديزاي، مولانا (القرآن فوق كل اتهام) مجلس العلماء من جنوب أفريقيا، بورت إليزابيث، جنوب أفريقيا. مايو ١٩٨٧.

Desai, Maulana. The Quraan Unimpeachable. Mujlisul Ulama of South Africa, Port Elizabeth, South Africa. May 1987.

ج. الصديق الدكتور كوكب. (قول داعية الكذب المسيحي، إن القرآن ليس قول الله). البلاغ، المجلد١١، رقم١، جوهانسبرغ، جنوب أفريقيا. فبراير/مارس ١٩٨٦.

Siddique, Dr. Kaukab. Quran is NOT Allah's Word says Christian Lay Preacher. Al-Balaagh, Vol.11, No.1, Johannesburg, South Africa. February/March, 1986.

ملاحظات حول موارد الكتاب:

١ ـ إعتماده على مدونات ومصادر خاصة لجهة دون أخرى من المسلمين، فقد استند بجميع ما أثاره من شبهات، واستدل واستنبط وناقش وأنتج النتائج، مستنداً على التراث الإسلامي السني دون الشيعي.

٢ ـ من الملاحظ والبيِّن، إنتقائه المصادر ليس عشوائياً، بل إنه، خَبَرَ جيداً الأرض الخصبة التي يمكن أن يبذر فيها بذور الشك والريبة بالنص القرآني.

٣ ـ الواضح إنه اتكأ على السقيم والصحيح وعلى الغث والسمين، مع معرفته التامة باختلاطها، جاء ذلك على لسان قلمه إذ قال: «لا نجد أي دليل على الطريقة التي تم بها حقيقة جمع القرآن في الأصل إلا في روايات الحديث المدونة. علم دراسة أدب الحديث غالباً ما تركز حول موثوقية نصوص الأحاديث وقام بعض علماء المسلمين برفض روايات الأحاديث حول جمع القرآن على اعتبارها غير موثوقة لأنه كان من المعروف في بواكير الإسلام بأن بعض مواد الأحاديث تم تلفيقها وتم تسليمها إلى جانب المواد التي كانت تعتبر غير موثوقة»[١].

ويعترف بأن كثيراً من الأحاديث موضوع فـ «روايات الأحاديث غير الموثوقة هذه كانت مرتبطة عادة بالمدارس الفقهية المعارضة أو القضايا السياسية. نتج عن التنافس بين الأمويين والعباسيين، ظهور روايات ملفقة لصالح أحد الطرفين، وفي الوقت الذي تطور فيه الفقه الإسلامي، كذلك تم ابتداع الأحاديث لتقديم الحجة بما يخص الأحكام المختلفة للشريعة. ويمكن الاعتراف بالعديد منها كروايات ملفقة مجرد من خلال دراسة عابرة لمضامينها»[٢]، ويتطرق إلى مدى

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p132.

2 - Ibid , p 132.

إمكانية معرفة الرواية الصحيحة، الحسنة، الضعيفة، المردودة، مشهورة كانت أم متواترة، وقد أعيته السُبل؛ لأنه يرى أن أحاديث جمع القرآن وضعت في الكتب الحديثية بدون أي تدقيق؛ لذا ابتدع طريقة حدسية خاصة به؛ لأنه قال عن علم الحديث: أو ما يسميه «علم التصنيف هذا نادراً ما يطبق على الأحاديث التي تبين طريقة جمع القرآن. أُولى الروايات حول جمع القرآن قد تم أخذها بدون تمحيص لأن هذا الموضوع لم يكن من المواضيع التي تحفز على التلفيق ... وعلى أية حال، لم يكن بين الكتّاب الثلاثة الذين كتبوا مقالات رداً على ملاحظاتي الأولى حول جمع النص القرآني أثاروا هذ الاحتمال ولم يحاولوا تحديد أي من الأحاديث يمكن قبوله وأي منها يجب رفضه.

لا يوجد معيار يمكن من خلاله حقاً تمييز تلك الروايات المبكرة. أي كاتب يريد الفصل بينها وضمها إلى الروايات التي يمكن أن تحظى أو أن لا تحظى بالقبول، سيتوجب عليه الاعتماد تقريباً حصراً على مبادرته الخاصة به، والنتائج التي يتوصل إليها ينبغي أن تكون ذاتية وتستند إلى حدس محض»[1].

٤ ـ تقبّله بسلاسة ورحابة، مقولة (أصح الكتب بعد كتاب الله) في معظم كتب الحديث، لا فقط في الصحاح الستة[2] ـ مع كل ما تقدم في النقطة الثالثة ـ لكي يثبت أن ما جاء به من شبهات حول النص القرآني، موثق ومصحح في أصح الكتب عند المسلمين أنفسهم التي تقع في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم على حد قوله.

٥ ـ اعتماده في كثير من النصوص والمعلومات على المصادر الثانوية من دون الأساسية[3].

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p133.

٢ ـ ظ: ص١١-١٢، من كتابه، JAM' AL-QUR'AN وصفحة ٨١ من نفس الكتاب.

٣ ـ لمراجعة ذلك ينظر على سبيل المثال: ص٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٤ من كتابه: JAM' AL-QUR'AN

المبحث الثاني

بحوث على هامش جمع القرآن

توطئة:

هناك موضاعات شتى تطرق لها المستشرق في كتابه (جمع القرآن) قد يراها الرائي مرتبطة وقريبة من موضوع الجمع، وبعبارة ثانية: بجعلٍ من جلكريست صوّرَ لها هذا الإرتباط الوثيق، وإلا في الحقيقة كما سيتوضح، لا دخل لها بالموضوع، أما لماذا سيُتعرض لها هنا؟ الجواب لأنه قد ضمّنها في هذا الكتاب الذي عنونه بعنوان (جمع القرآن)، ولا داعي لبحثها هنا لو كانت في غير كتاب من مؤلفاته.

فكان لا بد من المرور بها؛ للوقوف على دواعي زجّ مثل هذه الموضوعات في ساحة البحث، وإجمالاً الدواعي تكمن في سبب واحد، هو لأنه حاول الالتفاف عبر النوايا المبيّتة لإثارة شبهة تحريف القرآن من خلال تلك الموضوعات، وكان جهده منصباً على ذلك، بشتى الوسائل ـ مع تصريحه في أكثر من مناسبة بأنه غير محرف ـ وإلا كيف يُفسَّر طرحه قضايا في كتابه، ليس لها ارتباط بجمع القرآن، كموضوع الناسخ والمنسوخ[1]، وموضوع الأحرف السبعة[2] وموضوع آخر مُخترع اختراعاً بامتياز مخصوصاً لإثبات تلك الشبهة والموضوع بعنوان: (الفقرات التي فُقدت من القرآن) وعنوانات أخرى طرحها للمناقشة:

ـ هل هناك نسخة أصلية في مسجد النبي؟[3].

---

1 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 82.

2 - see, Ibid, p 10.

3 - see, Ibid, p, 89.

ـ الخط الكوفي والمشق والخطوط القرآنية الأخرى[1].

ـ دراسة مصحفي طبكبي وسمرقند[2].

وهذه الموضوعات وما جاء فيها من إشكالات في كتابه، لا يمكن عرضها هنا جميعاً؛ إذ كل واحد منها يحتاج لبحث مفصل، وسيُعدُّ خروجاً عن نطاق البحث، لكن لا بدّ من الاشارة ولو لبعضها في المطالب الآتية؛ لبيان الفهم المغلوط لها.

المطلب الأول: موضوع النسخ:

تطرّق جلكريست لمسألة النسخ في القرآن وحاول أن يجرجرها ويربطها بجمع القرآن إرتباطاً وثيقاً كأنه لا ينفك أبداً، معتمداً على الرأي القائل: بأن سبب عدم جمع القرآن هو ما يَرِدُ عليه من النسخ في حياة النبي ﷺ. ومن خلال ما يعدهُ هو نسخاً، اعتماداً على بعض مصادر المسلمين، يحاول إثبات ان نصوص كثيرة فقدت بالكامل من القرآن، ويقول: إن بعض المسلمين لا ينكر هذا الفقدان، لكنّ هؤلاء يقدمون، جواباً مغايراً بمبدأ أن الله نفسه قد نسخ هذه الآيات حين كان محمد ما زال يتلقى الوحي منه و كان القرآن في طور النشوء[3].

فيفهم النسخ من الآية ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ١٠٦)، بأنه حذف وإلغاء ورفع الآية من القرآن كلياً وتغيير النص؛ لذا يتساءل على وفق هذا الفهم: «إذا كانت هنالك

1 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 143.

2 - see, Ibid, p 146.

3 - sse, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 82.

أجزاءً من القرآن قد نُسِخت وحُذِفت فهل كانت هذه الأجزاء ضمن اللوح المحفوظ؟ إذا أجبنا بنعم فالنتيجة الحتمية هي أن المصحف الحالي ليس نسخة طبق الأصل لما يوجد في اللوح المحفوظ؛ لأن هذا الأخير لا يمكن تغيير أي جزء منه لأنه كلام الله الآبدي. إذا أجبنا بلا فكيف أمكن أن توحى هذه الآجزاء المنسوخة لمحمد وتُعتبر من القرآن خلال فترة معينة قبل نسخها وهي ليست من اللوح المحفوظ؟»[1].

لكن النسخ لايوجب زوال نفس الآية من الوجود وبطلان تحققها، بل زوال الحكم؛ إذ تجد في الآية الكريمة المتقدمة، علّق بالوصف وهو الآية والعلامة مع ما يلحق بها من التعليل في الآية بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أفاد ذلك أن المراد بالنسخ هو إذهاب أثر الآية من حيث إنها آية، أعني إذهاب كون الشيء علامة مع حفظ أصله فبالنسخ يزول أثره من تكليف أو غيره مع بقاء أصله[2].

بل أكثر فـ«النسخ كما أنه ليس من المناقضة في القول وهو ظاهر كذلك ليس من قبيل الاختلاف في النظر والحكم وإنما هو ناشئ من الاختلاف في المصداق من حيث قبوله انطباق الحكم يوماً لوجود مصلحته فيه وعدم قبوله الانطباق يوماً آخر لتبدل المصلحة من مصلحة أخرى توجب حكماً آخر، ومن أوضح الشهود على هذا أن الآيات المنسوخة الأحكام في القرآن مقترنة بقرائن لفظية تومىء إلى أن الحكم المذكور في الآية سينسخ كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي

1 - sse, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 84.

٢ ـ ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١، ص٢٤٦-٢٤٧، تفسير سورة البقرة، آية ١٠٦.

ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ١٤)، انظر إلى التلويح الذي تعطيه الجملة الأخيرة»[١]. ومن ثَمّ يلملم جلكريست جميع أطراف قوته ليستنبط من آية (مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ...) وآيات أُخر (وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ...) على أن القرآن ناقص ومتغير ومتبدل فيقول: «إن القرآن نفسه يعترف أن بعضاً منه قد تغير، يمكن للمرء أن يعتقد أن التسليم بهذه المسألة كافٍ للبرهنة على أن القرآن الحالي غير مكتمل. هذا بالفعل ما يعيه العلماء المسلمون الحديثون لذلك ينكرون نظرية النسخ لأنها تؤدي بهم إلى ما لا تحمد عقباه»[٢] وبعدها يحاول تذويب النص خدمةً لمبتغاه بنقص القرآن ليقول: «تفترض هذه النظرية أن كل جزء من القرآن لم يتم ضَمُّه للمصحف وقت جمعه أو ألغي لسبب آخر وجب أن يكون الله قد نسخه»[٣].

ويستدل على فهمه هذا بروايات من صحيح البخاري منها رواية بئر معونة «... قَالَ أَنَسٌ فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قُرْآناً ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا...»[٤]، ثم يردفها بالقول «هذا الحديث يعتبر مشهوراً فقد ورد عند كل من ابن سعد والطبري والواقدي ومسلم. بخصوص هذه الحادثة يقول السيوطي إستناداً إلى الصحيحين: ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رُفِع»[٥] وعبارته هنا (يقول السيوطي)؛ لإيهام القارئ بزيادة المصادر للرواية، فعند مراجعة كتاب

---

١ ـ ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١، ص٦٩، تفسير سورة البقرة. آية ٢١-٢٥.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 85.

3 - Ibid, p, 86 .

٤ ـ صحيح البخاري، ج٤، ص١٩١٣، رقم الحديث: ٤٧١٩، باب القراء من اصحاب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم.

5 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p, 88 .

الاتقان للسيوطي تجده ينقل الرواية نفسها عن الصحيحين، وإن كان لا بأس بعدد المصادر التي نقلت الرواية؛ لكنها لا تفيد مهما بلغ عددها؛ لأنها رواية آحاد وهو (أنس بن مالك) وليست متواترة، فـ«إن مستند هذا القول أخبار آحاد وإن أخبار الاحاد لا أثر لها في أمثال هذا المقام»[1] فالعبرة ليست في كثرة المصادر التي تنقلها، بل في كثرة رواة الرواية وتعدد طرقها في كل طبقة. والظاهر، إنه استنبط الفهم الخاطئ للنسخ من ظواهر الروايات الصريحة، ومن فهم بعض علماء الإسلام، إذ يقول لُمناظِره: «محاولة ديزاي لتفسير سقوط آيات من القرآن بنظرية النسخ ما هي إلا محاولة يائسة للتغطية على ما شاب عملية جمع القرآن من سلبيات جعلت المصحف المتداول حالياً لا يتسم بالكمال»[2].

ويستدل لذلك بما يسميها آيات منسوخة منها:

أولاً ـ ما تسمى بآية (طمع بني آدم) :

مفادها أن الإنسان مهما أعطي من الثروة فهو لا يقنع بل يطمع في أكثر. وهي ماجاء «عن أبي واقد الليثي قال كنا نأتي النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إذا أُنزل عليه فيحدثنا فقال لنا ذات يوم إن الله عز وجل قال: إنّا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم وادٍ لأحب أن يكون إليه ثانٍ ولو كان له واديان لأحب أن يكون إليهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ثم يتوب الله على من تاب»[3].

وأيضاً مرة أخرى يعوّل على شهرة الحديث تاركاً القرائن الاخرى، بظنه

---

١ ـ السيد الخوئي، البيان، ص٢٨٥.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 87.

٣ ـ مسند أحمد، ج٣٦، ص٢٣٧، رقم الحديث، ٢١٩٠٦.

أن «شهرته تبرهن على أن أساسه صحيح. لقد أورد السيوطي في إتقانه عدداً لايستهان به من الأحاديث التي تذكر هذه الآية»[1].

هذه الرواية جاءت بطرق متعددة في الكتب الحديثية المعتمدة عند الأخوة المسلمين السنة، وغير متفق عليها بين فرق المسلمين، فعلى وفق مبانيهم الحديثية، هي صحيحة وتامة السند وقد تبلغ حد التواتر ـ وهذا ما تشبث به جلكريست ـ إلا أن الأمر لا يُترك على عواهنه هكذا بدون محاكمة المتن وما فيه من تناقضات

ومغايرةٍ لأسلوب وروح القرآن الكريم مما يسقطها عن الاعتبار، فيلاحظ عليها:

١. فقد وردت بألفاظ مختلف أحدها عن آخر، وهذا شيء لم يحصل في آيات القرآن الحقّة، إذ لو كانت الروايات أفادتها بلفظ موحد، لأمكن النظر فيها. هذا فقد أخرج الحاكم في مستدركه ـ وهو مما استدل به جلكريست[2] ـ «عن أُبيّ بن كعب قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، فقرأ : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، ومن نعتها لو أن ابن آدم سأل وادياً...، ويتوب الله على من تاب، وإن الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية، ولا النصرانية، ومن يعمل خيراً فلن يكفره»[3].

ويلاحظ عليه: لماذا أمر الله النبي أن يقرأها على أُبي دون غيره من الصحابة، ولم يُعرف في تاريخ تراث المسلمين جميعاً، أن الله سبحانه يأمر نبيه بذلك لأحد الصحابة بما فيهم سيد الصحابة وأقضاهم وأقرأهم وأعلمهم، أمير المؤمنين

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 89.

2 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 90.

٣ ـ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، بتعليق الذهبي، ج٢، ص٢٤٤.

علي بن أبي طالب عليه السلام، مما يجعل الرواية منكرة. ثانياً: إن هذا اللفظ (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) هو لفظ من آية رقم ١ من سورة البيّنة، ولا وجود لبقية لفظ الرواية الركيك في سورة البينة في القرآن الكريم.

وأشار الشيخ الكوراني: بأن هذه الآية المخلوطة والمنقوصة المنسوبة إلى أُبي بن كعب، ثبت انها مكذوبة عليه وإن اسمه استُغل لإثبات الزيادة والنقص في القرآن[١].

٢. ورد بلفظ آخر وجزء من سورة أخرى فيما أخرجه مسلم ـ وأيضاً مما استدل به جلكريست ـ قد نسيها أبوموسى الأشعري «سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني قد حفظت منها لو كان لابن آدم واديان...»[٢].

٣. في صحيح البخاري وردت بلفظ آخر، فجاء لفظ (وادياً مُلئ من ذهب) بدلاً من (وادياً من مال) و(ولا يسدّ جوف) بدلاً من (ولا يملأ)[٣] وأخرى (وادٍ من نخل)[٤]. وكثيرة هي اختلافات الألفاظ، بل المقاطع لهذه الرواية (الآية المدعاة) لا مجال لذكرها.

«ويبين أنه من كلام البشر، اختلاف الألفاظ فيه... وقد نزه الله سبحانه عن هذا الاختلاف ونفاه عنه بقوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢)، يعني: أنه لما كان من عند الله زال عنه

---

١ ـ ظ: الكوراني، تدوين القرآن، ص١٢٤.

٢ ـ صحيح مسلم، ج٣، ص١٠٠، رقم الحديث، ٢٤٦٦.

٣ ـ ظ: صحيح البخاري، ج٥، ص٢٣٦٥، رقم الحديث، ٦٠٧٤، باب ما يتقي من فتنة المال.

٤ ـ ظ: مسند أحمد بن حنبل، ج٣، ص٣٤١، الحديث، ١٤٧٠٦، باب مسند جابر بن عبد الله رضوان الله عليه.

الاختلاف»[1].

٤. وفي مجمع الزوائد «عن ابن عباس قال: لو كان لابن آدم واديان من ذهب... فقال عمر: ما هذا؟ قلت: هكذا أقرأنيها أُبي. قال: فمُرْ بنا إليه قال: فجاء إلى أُبي فقال: ما يقول هذا ؟ قال أُبي: هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، قال: أفأثبتها في المصحف؟ قال: نعم»[2]، ويستغرب ويتعجب الشيخ الكوراني: من سؤال الخليفة لأُبي بن كعب: (أفأثبتها في المصحف؟) فهل أنّ الملاك في كون اعتبار نصٍ من القرآن أو ليس منه، هو رأي أُبي بن كعب كما تقول هذه الرواية؟ أو الملاك رأي الخليفة عمر أو رأي زيد بن ثابت كما تقول أخرى؟ أو شهادة اثنين من الصحابة كما تقول ثالثة؟ إلى آخر التناقضات الواردة في هذه الروايات[3].

٥. منهم من عدّ هذا القول من الأحاديث القدسية، فقد ذكره المناوي (٩٥٢ ـ ١٠٣١ هـ) كحديث قدسي وليس كآية في كتابه (الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية)[4]؛ لذا حاول ابن حجر العسقلاني إيجاد مخرج لذلك بأن «يَحْتَمِل أَنْ يَكُون النَّبِيّ صلى الله عليه [وآله] وسلم، أَخْبَرَ بِهِ عَنْ الله تَعَالَى عَلَى أَنَّهُ مِنْ الْقُرْآن، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون مِنْ الأَحَادِيث الْقُدْسِيَّة، وَاَللهُ أَعْلَم وَعَلَى الأَوَّل [أي إنه من القرآن] فَهُوَ مِمَّا نُسِخَتْ تِلاوَته جَزْمًا وَإِنْ كَانَ حُكْمه مُسْتَمِرّاً»[5]، وترى ابن حجر، قد دخل في عنق زجاجة أخرى لأن «القول بنسخ التلاوة هو نفس القول

---

١ ـ مقدمتان في علوم القرآن، تح، المستشرق آرثر جفري، ص٨٥.

٢ ـ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٧،ص٢٩٦، رقم الحديث،١١٥١٠، باب سورة لم يكن.

٣ ـ ظ: الكوراني، تدوين القرآن، ص١٢٢.

٤ ـ ظ: المناوي، عبدالرؤوف بن تاج العارفين، الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، ص٣٧.

٥ ـ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج١١، ص٢٥٨. باب ما يتقى من فتنة المال.

بالتحريف»[1].

ومثل هذا التعامل مع القرآن غير الصحيح من أي عاقل منصف، بدون قواعد وأسس قرآنية، وكأن المسألة، فوضى كلٌ يدلي بدلوه، وكأن النبي، المنوطة به مهمة حفظ القرآن وإيصاله إلى الأمة كاملاً، قد ترك الأمور على غاربها للآراء والاحتمالات والتكهنات. وكأن القرآن كأي كتاب عادي يمكن أن يدخله احتمال ورأي غير النبي فيه، ما هكذا تُقاس الأمور. ما لكم كيف تحكمون.

وهذا الاختلاف الوارد في الروايات، ليس بالإمكان أن يُعزى إلى أي وجه من وجوه الأحرف السبعة المحتملة ـ على فرض انحدارها عن النبي الكريم ـ ؛ لأنه ليس اختلاف في لفظ واحد معين فحسب، بل في سور ومقاطع كاملة بحسب هذه الروايات، وكذلك لم يقل بهذا الوجه أحد من الأحرف السبعة.

ثانياً ـ ما تسمى (بآية الرجم):

وتمثّل جلكريست للنسخ في القرآن أيضاً بما تدعى آية الرجم «التي ادّعى عمر أنها من القرآن، ولم تقبل منه»[2]، وقد نقلها بألفاظ منها: «كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص يكتبان المصحف، فمرّا على هذه الآية فقال زيد: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، يقول: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) فقال عمر: لما نزلت أتيت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، فقلت: أكتبها؟ فكأنه كره ذلك»[3].

---

١ ـ السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٨٥.

٢ ـ السيد الخوئي، البيان، ص ٢٠٢.

٣ ـ السيوطي، الاتقان، ج٣، ص٨٦. ونقلها جلكريست بلفظ آخر، عن كتاب موطأ الامام مالك، ج٣، ص٥٨. وينظر:

Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p, 96-94 .

ونفسه جلكريست أثبت التناقض الموجود في هذه الرواية، متجاهلاً السند أيضاً، إذ قال: «تتخلل هذا الحديث بغض النظر عن اسناده بعض التناقضات الواضحة في محتواه (متنه). يضع هذا الحديث عمر مع زيد وسعيد بن العاص في الوقت الذي كان فيه الاثنان معاً يكتبان القرآن وهذا الأمر معروف بحدوثه بطلب من عثمان في فترة طويلة بعد وفاة عمر. كان عمر قلما يتحادث معهما»[1].

ويتساءل ـ بغض النظر عن حكم الآية بعد نسخها ـ عن عدم درجها عند جمع القرآن بقوله: «لا تعنينا هنا الانعكاسات أو التضمينات اللاهوتية والشرعية لمبدأ النسخ ولكن ما يعنينا فقط هو الجمع الفعلي للنص القرآني نفسه. السؤال هنا هو هل كانت هذه الآية مرة جزءاً من النص القرآني أو لا، واذا كانت جزءاً لماذا هي الآن محذوفة من صفحاتها؟»[2].

من المؤكد أنّ النبي نفسه، لا يستطيع أن يعطي رأيه أو يحتمل أو يرفع أو يثبت في القرآن، وإذا رأيناه أثبت أو أشار بوضع آية في موضع معين وغيره؛ فإنه لا ينطق ولا يفعل ولا يقرر عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (يونس: ١٥).

وجلكريست، كفانا بعض المؤنة في تتمة سقوط هذه الروايات جميعها عن الاعتبار بمخالفتها صريح القرآن، قال: فإن «المشكلة هنا وكذلك فيما يخص الآيات الأخرى التي يعتبرها الحديث منسوخة هو أن المرء لا يجد سبباً واضحاً

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 94.

2 - Ibid , p 94.

للنسخ ولا يدري ما هي الآية التي هي (أحسن منها أو مثلها) التي جاءت لتعوضها؛ لأن القرآن يعلن بصراحة في آيتين (البقرة: ١٠٦) ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ (والنحل: ١٠١) ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ إن الله يبدل الآيات الاصلية بما هو خَيرٌ مِّنْهَا أَوْ مِثْلُهَا»[1].

لقد فَهِمَ من كلمة (آية) بمعنى (الجزء من السورة)، ومن دون أن نستبق الأبحاث، سيتبين في مطلب لاحق بعنوان: (حقيقة ارتباط النسخ بجمع القرآن)، أن مفردة (آية) في القرآن لها عدة معانٍ مشتركة فيما بينها، كالعلامة، المعجزة، الأمارة، الحكم، أو الجزء من السورة. وسيتضح هناك أنها تعني الحكم من أحكام الله سبحانه من دون باقي المعاني.

فهنا ـ بل في كل مرة ـ تعامل جلكريست مع ظاهر اللفظ للآيات، وهذه هي المشكلة الأساسية التي ابتُلي بها البحث القرآني مع المستشرقين، هي الفهم الخاطئ لظاهر الروايات والآيات القرآنية، بل قد صار منهجاً يتكئون عليه في إثارة الشبهات، إن أعوزتهم الحاجة لذلك، تاركين أسباب نزول الآية، تاركين تأويل الآية وجريها وانطباقها على أي مصداق، وتاركين ظروف ومناخ الآية التي نزلت فيها، والبحث الروائي الذي يتدخل مباشرة في رسم مسار الآية، تاركين العام والخاص والمطلق والمقيد والمحكم والمتشابه، وهناك اللفظ المشترك والمختص والمنقول والمرتجل، وهناك السياق والقرائن الداخلية والخارجية للآية، إذن توجد عدة علوم قرآنية تتدخل في فهم المفردة القرآنية وتحديد اتجاه الآية، وليس الأمر كما يحلو ويشتهيه المستشرقون.

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 87-86.

فهم تركوا كل ذلك وتمسكوا بظاهر اللفظ الشايع للعرف العام، وهذا الشيء وهذا الفهم من جلكريست، سوف لا يُقْنعُ أحداً سوى العوام من قرائه في بلاد الغرب؛ لأنهم لم تطرق أسماعهم تلك العلوم القرآنية، ولم يعرفوا بأن لها دخل في الفهم الصحيح للقرآن.

وعودة على ما تساءل به جلكريست مستغرباً: إذا كان القرآن يقول (نأتِ بخيرٍ منها)، فأين الآية الناسخة التي هي خير منها؟ ويمكن هنا استخراج مفهوم من منطوق جلكريست: بأن تلك الروايات معارضة للقرآن، ومعارضتها للقرآن تكفي لمحقها.

ويكمل جلكريست قائلاً معززاً ما بدأ به: «الحديث الذي ذكرنا حول قتلى بئر معونة لم يذكر لنا الآية التي نزلت مكان الآية المنسوخة. نفس الشيء نلاحظه بالنسبة للآيات الأُخر التي ذكرنا، ما الذي عَوَّضها؟ أين الناسخ الذي وجب أن يأتي مكان المنسوخ؟»[1] لكن عدم وجود هذا الناسخ، يفرح به جلكريست ولايستدل به على دحض تلك الروايات، بل يعدهُ نقصاً واضحاً في القرآن من وجهة نظره التي تعد تلك الكتب المذكورة فيها تلك الآيات (المنسوخة)، هي أصح الكتب بعد كتاب الله، بذلك لا يمكن المناقشة في متونها على حد هذا الاعتقاد.

بينما في المقابل، قد «أجمع المسلمون على أن النسخ لا يثبت بخبر الواحد كما أن القرآن لا يثبت به، والوجه في ذلك ـ مضافا إلى الاجماع ـ أن الأمور المهمة التي جرت العادة بشيوعها بين الناس، وانتشار الخبر عنها على فرض وجودها لا تثبت بخبر الواحد فإن اختصاص نقلها ببعض دون بعض بنفسه دليل على كذب الراوي أو خطئه وعلى هذا فكيف يثبت بخبر الواحد أن آية الرجم

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 87.

من القرآن، وأنها قد نسخت تلاوتها، وبقي حكمها، نعم قد تقدم أن عمر أتى بآية الرجم وادعى أنها من القرآن فلم يقبل قوله المسلمون، لأن نقل هذه الآية كان منحصراً به، ولم يثبتوها في المصاحف»[1].

مضافاً إلى ذلك، يحلل العلامة الطباطبائي المسألة تحليلاً عقلياً بقوله: إن النسخ لا يتحقق من غير طرفين ناسخ ومنسوخ، وإن الناسخ يشتمل على ما في المنسوخ من كمال أو مصلحة، وإن الناسخ ينافي المنسوخ بحسب صورته وإنما يرتفع التناقض بينهما من جهة اشتمال كليهما على المصلحة المشتركة فإذا توفي نبي وبعث نبي آخر وهما آيتان من آيات الله تعالى أحدهما ناسخ للآخر كان ذلك جرياناً على ما يقتضيه اختلاف مصالح العباد بحسب اختلاف العصور وتكامل الأفراد من الإنسان،[2] فلا نسخ فيما لا يكون هناك ناسخ، فلنتساءل : ماذا يكون الناسخ هنا كي تتم عملية النسخ ويتحقق طرفا النسخ؟ وكيف ينسخ لفظ الآية ويبقى حكمها إلى الأبد؟ وأي فائدة في نسخ اللفظ حينذاك وهو سند الحكم الذي يجب بقاؤه مادام الحكم باقياً؟[3].

نتيجة: يمكن القول، إن جميع هذه الروايات مطروحة؛ لأن «قوة أي سلسلة تساوي فقط قوة أضعف حلقة فيها»[4] والحلقة الضعيفة في هذه الروايات، إنها «تخالف صريح القرآن الكريم، ولم يصح شيء من أسانيدها بتاتاً»[5] فتعارض قوله تعالى ﴿نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ مع ملاحظة أن تلك الروايات جميعها لم تصدر

---

١ ـ السيد الخوئي، البيان، ٢٨٥.

٢ ـ ظ: الطباطبائي، الميزان، ج١، ص٢٤٩، تفسير سورة البقرة، آية١٠٦-١٠٧.

٣ ـ معرفة محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ج٨، ص٢٦.

٤ ـ جلكريست، الكتاب المقدس هو كلمة الله، ص٨.

٥ ـ معرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ج٨، ص٢٥.

عن النبي ولم تُسند إليه، وهذا ما يحيلها عرضةً للشكوك.

وأكد السيد الخوئي: بأن نسخ التلاوة هذا إما أن يكون قد وقع من رسول الله ﷺ وإما أن يكون ممن تصدى للزعامة من بعده، فإن أراد القائلون بالنسخ وقوعه من رسول الله ﷺ فهو أمر يحتاج إلى الاثبات. وقد اتفق العلماء أجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد، بل قطع الشافعي وأكثر أصحابه، وأكثر أهل الظاهر بامتناع نسخ الكتاب حتى بالسنة المتواترة، وإليه ذهب أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه، وعلى ذلك فكيف تصح نسبة النسخ إلى النبي ﷺ بأخبار هؤلاء الرواة؟ مع أن نسبة النسخ إلى النبي ﷺ تنافي جملة من الروايات التي تضمنت أن الإسقاط قد وقع بعده. وإن أرادوا أن النسخ قد وقع من الذين تصدوا للزعامة بعد النبي ﷺ فهو عين القول بالتحريف[1].

فالمسألة لا محيص منها (مانعة خلو) لا تخلو: إما الالتزام بسقوط هذه الروايات وأمثالها من العشرات عن الاعتبار، أو الالتزام بصحة واعتبار هذه الروايات ورفعها فوق مستوى الشبهات، وبالتالي «إن الالتزام بصحة هذه الروايات؛ التزام بوقوع التحريف في القرآن»[2]، ففي مقام تعارض الرّوايات، يسقط ما هو أضعف دلالةً وسنداً وما هو مخالف للقرآن الكريم، وهذه روايات موهمة لتحريف القرآن[3].

فيثبت بذلك سقوط هذه الروايات جميعها عن الاعتبار والنظر العلمي؛ لما تقدم، ولإصطدامها بالقاعدة المجمع عليها التي يجب الركون إليها، ولا يمكن

---

١ ـ ظ: السد الخوئي، البيان، ص٢٠٥-٢٠٦.

٢ ـ السيد الخوئي، البيان، ٢٠١.

٣ ـ ظ: المحمدي، د فتح الله، سلامة القرآن من التحريف، ص٣٢.

الاستغناء عنها، وهي «عدم وقوع التحريف في القرآن، وأن الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله»[1] ـ و سيتم الحديث عنها في المطلب التالي ـ . ومادام أن القرآن الكريم مصون من التحريف والزيادة والنقصان بإجماع كلمة المسلمين، بمختلف مشاربهم؛ للقواعد والأسس القرآنية والأدلة العقلية، لا كما يتصور جلكريست: بأن الشعور العاطفي هو الذي يدفع بالمسلمين للقول بعدم تحريف القرآن وليس الادلة والبراهين العلمية،[2] وإن «عقيدة كمال القرآن وحفظه لا تنشأ من دراسة علمية لتاريخ النص لكن من المشاعر الشائعة المفروضة المسبغة عليه وهي التسليم جدلاً الذي يجب أن يبقى مهما كان الثمن»[3].

خلاصة ونتيجة:

من خلال ما تقدم لا يسعني إلا أن أتوقف عند الروايات التي أصبحت أداة طيّعة بيد المستشرق للتشكيك بالنص القرآني، وحال لسانهم يقول: من فمكم أدينكم أيها المسلمون وهذه كتبكم المعتمدة عندكم ونحن نستشهد بها ولم نأت لكم بشيء من خارجها.

والمستشرقون لا أدري إن كانوا يعلمون أو لا، أن لا قيمة لهذه الروايات عند المنصفين والمعتدلين والعقلاء والمخلصين من علماء وأهل هذه الأمة، بل متغافلون أن مصداقية هذه الكتب بما فيها كتابي البخارى ومسلم، مختلفٌ فيه عند العلماء بين القبول والرفض، والمشكلة الأكبر مع من يصر حتى الآن من رجال

---

١ ـ السيد الخوئي، البيان، ٢٠٠.

2 - see Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 4.

٣ ـ ينظر: ص١٢٥ من نفس الكتاب:

Ibid, p 124.

الدين على رفض دعوة إعادة تقييم كتب الحديث المعروفة بكتب الصحاح على ضوء المعارف الحديثة والأسس التى وضعها العلماء لصحة السند والمتن معاً، وعدم الاكتفاء بصحة السند فقط، فإن كل من سيسلّم بصحتها ليس أمامه من مجال سوى التشكك فى مسألة وصول القرآن إلينا تاماً بالطريقة والأسلوب الذى أوحى به إلى محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم[1] فحاولوا توجيه ما لديهم من روايات وحلاً لمعضلتها التي تستلزم نقصان القرآن، قالوا إنها من منسوخ التلاوة ولو فُرض الحكم باقياً إلى الابد، أو من منسوخ التلاوة والحكم معاً[2].

لذا فقد سعى أعداء الأمة منذ ظهور هذه الروايات فى منتصف القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الهجرى (وهى المدة التى تم فيها تدوين السنة وسيرة الصحابة والنبى والمغازى وروايات جمع القرآن وغيرها) إلى الطعن فى سلامة القرآن واختلاق روايات أخرى ودسها والترويج لها بين المسلمين بعد وضع أسانيد معتمدة لها عند كبار علماء الحديث والجرح والتعديل، فبدأت هذه الروايات تشق طريقها بخطى متسارعة إلى كتب الصحاح والسيرة، حتى استقر لها الحال ووجدت لها موضع فى كتب الصحاح[3].

المطلب الثاني: موضوع شبهة تحريف القرآن:

موضوع آخر بعيد عن جمع القرآن ، بحثه جلكريست في كتابـه ، رغم أنه لم يعنون في كتابه هذا العنوان (تحريف القرآن) لكنه تكاد لا تخلو صفحة من

---

١ ـ ظ: عبد الحميد، هشام كمال، الحقيقة والاوهام في قضية جمع القرآن، ص٩٤، و ص١٢٢.
٢ ـ ظ: هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ج٨، ص٢٤.
٣ ـ ظ: عبد الحميد، هشام كمال، الحقيقة والاوهام في قضية جمع القرآن، ص٩٤، و ص١٢٢.

صفحات كتابه من التلويح أو التصريح بتحريف القرآن، برغم قوله في عدة مناسبات، بأن القرآن لم تمتد إليه يد التحريف[1] ـ من قبيل ذر الرماد في العيون ـ فحاول من خلال معطيات جمع القرآن إثبات تلك الشبهة، وناقش في آيات أُستدل بها من قبل البعض بشهادتها صراحةً على كمال النص القرآني وعدم تحريفه، لذا سيكون المطلب ذا شقين:

أولاً ـ إمكانية شهادة آيات القرآن على كمال القرآن:

فيرى جلكريست أن بعض الآيات لا تنفع أن تكون دليلاً على المدعى (جمع القرآن التام وعدم تحريفه)؛ لأنها جاءت قبل عملية الجمع المتعارفة وإنه لا يمكن أن يشهد القرآن لأشياء ممكنة التغيير في المستقبل، فقال مانصه: «فإن القرآن لم يستطع أن يشهد سلفاً من الناحية التاريخية على مسيرة النص بعد وفاة محمد. ومع ذلك، فإن هذا التحديد بحياته على وجه الدقة هو الذي يجعل من القرآن شاهداً غير كفوء على حالة النص في وقت اكمال جمعه»[2] لأن هذه الآيات في الوقت الذي كان فيه القرآن في طور الجمع عندما أصبحت هذه الآيات جزءاً من نص السور القرآنية، «في هذه النقطة لم يكن الكتاب مكتملاً إلى حد كبير وأنه من المستحيل تقريباً أن نرى كيف يمكن التلاعب بهذا النص لإثبات أنّ القرآن قد تم جمعه وحفظه في نهاية المطاف إلى آخر نقطة وحرف»[3].

وقال في موضع آخر «لا يوجد أيضاً أي شيء في الكتاب يثبت أنه لم يتم حذف أي شيء من صفحاته أو لم يتم تعديله أثناء عملية جمعه»[4]. بالتأكيد هذا

---

1 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN,p28, 29, 30, 45.

2 - Ibid p 129.

3 - Ibid, p 126.

4 -Ibid, p 131.

لايحتاج إلى كلام؛ لأن القرآن سبق التدوين بنزوله.

وعلى وفق أطروحته هذه، قد نسف كلَّ آية قرآنية ممكن الاستدلال بها على جمع النص القرآني، بل أعمق من ذلك، فالأمر قد يشمل القرآن كلّه بنفس الحجة الواهية، فلو كانت هناك آيات تدل على المطلوب؛ حتماً سيقال: لم يُعلم مدى حال الآيات القرآنية أيام الجمع هل كانت من القرآن أم لم تكن؟ ومن الآيات التي جرى النقاش فيها: قوله تعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الانعام: ١١٥)، فيفسر من عندياته ويأخذ بمسار الآية منحى بعيد، آخر غير ما تريده الآية، إلى كون أنها شاهد على جمع القرآن، ولايدري أحد، من قال إنها تخص جمع القرآن من بعيد أو قريب، وإليك نصه: «في الوقت الذي كان فيه القرآن في طور الجمع عندما اصبحت هذه الآية ١١٥ من سورة الانعام جزءاً من نصها فانه من الصعب ملاحظة في أي حال من الاحوال كيف انها تشهد على جمع القرآن كاملاً كما زعم»[1].

وقريب من هذا الكلام أجراه على آية أخرى ﴿ وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ * فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ (الطور: ١-٣)، بقوله إن هذا النص لا يشهد على جمع هذه الصحف في كتاب واحد، و إنما هو نص عام جداً في وصفه ويتطلب خيالاً ليس بالضئيل لجعله يشهد على كمال النص القرآني[2].

ونفس الأمر مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ (الواقعة: ٧٧-٧٨)، وكذلك «الآيات من (١٣ إلى ١٦) من سورة عبس لا تخبرنا أكثر من أن

1 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN,p 126.

2 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN,p 126 – 127.

النصوص القرآنية كانت تكتب على صحف يكتبها كتّاب بررة وكلا السورتين نزلتا في الفترة المبكرة جداً في مكة»[1].

جوابه: وإن كانت هاتان السورتان نزلتا في مكة، فالأمر سواء في مكة أم المدينة سوف يُكتب القرآن، فالآية مطلقة لم تحدد مكان أو زمان للكتابة فـ«العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إذا نزلت الآية بسبب خاص وكان اللفظ فيها عاماً فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلا يتقيد بالمدلول القرآني في نطاق السبب الخاص للنزول أو الواقعة التي نزلت الآية بشأنها بل يؤخذ به على عمومه لأن سبب النزول يقوم بدور الاشارة لا التخصيص»[2].

أما قوله تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ فمن الممكن جعلها دليلاً عليه، وإلزامه بما ألزم به نفسه؛ لأنه قد فسّرها حسب ظاهر اللفظ ـ كعادته ـ بأنها تقصد: جمع النص القرآني في دفتين ـ مع أن لها تفسيراً آخر عند علماء التفسير ـ مع ذلك لم يلتفت لها، بنفس الحجة السالفة الذكر، وهي أنها جاءت قبل عملية جمع القرآن بعد النبي، فلا يؤمن التلاعب بها، فقال: «... هناك مكان واحد فقط في القرآن مستخدمة فيه كلمة (جَمْعَهُۥ) (يجمع أو يؤلف) بما يخص نص الكتاب نفسه، وذلك في الآية ١٧ من سورة القيامة، إذ يقول الله ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ ... ومع ذلك، فهي تجعل الله يتكلم عن جمع القرآن قبل نزوله من السماء على محمد لذلك فإنه أيضاً لا يمكن تقديمها كدليل على جمع النص بعد نزولها»[3].

ويخلص إلى نتيجة: «أن القرآن الحالي هو غير مكتمل نوعاً ما... لا يمكن

---

1 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN,p 129.

٢ ـ الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، ص٤٢.

3 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 98.

أن تتغلب على المشكلة الرئيسة التي تواجه هؤلاء المسلمين الذين يزعمون أن القرآن محفوظ تماماً حتى آخر نقطة وآخر حرف بدون أية إضافة أو حذف أو اختلاف، اشارة إلى الرقابة الإلهية على نقله»[1]؛ لأنه مهما يؤتى بأي شاهد من القرآن؛ لا يمكن أن يصمد أمام النزول التدريجي في حياة النبي، وعملية الجمع بعد النبي «في النهاية إن الجمع التدريجي للقرآن خلال حياة محمد الذي هو أقوى الحجج ضد أي دليل في القرآن ـ إن وجد أصلاً ـ بما يخص تمام وكمال القرآن»[2]. يتبين لنا الآن أن ما يقال عن الكمال المطلق للقرآن وخلوه من الزيادة والتحريف والإختلاف لا يمكن أن يثبت ويصمد أمام البراهين الثاقبة فما هو إلا نِتاج للمشاعر والمتمنيات لا يمت بصلة إلى الإثبات العقلي![3].

ثانياً ـ مناقشة دعوى نقص القرآن وعدم كماله (تحريف القرآن):

الآيات التي أشار إليها جلكريست لا تشهد على جمع القرآن بالمعنى الذي يقصده ولا تشير إلى انتهاء نزول القرآن وبالتالي انقطاع أمد الوحي واكتمال نصاب الآيات النازلة من الله سبحانه، وهذا هو المعنى الذي حاول جلكريست جرجرة تلك الآيات إليه وإلى موضوع جمع القرآن، وقد يكون قصد المستدل بها (بالآيات) من علماء المسلمين، لا من ناحية تمامية القرآن بمعنى اكتمال نزول عدد آياته، بل تماميته من جانب عدم النقص والزيادة والحذف والتغيير، وهو الأقرب للواقع.

ولمناقشة كلام جلكريست المتقدم حول شهادة القرآن على كمال القرآن

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 128.

2 - Ibid, p 128.

3 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 55.

نفسه، وإنه لا يمكن أن يشهد لاشياء ممكنة التغيير ولا يستطيع أن يشهد سلفاً من الناحية التاريخية على مسيرة النص بعد وفاة محمد ﷺ، وإنه غير مكتمل وغير محفوظ تماماً حتى آخر نقطة وآخر حرف؛ بسبب الإضافة أو الحذف أو الاختلاف، بالتالي هو ليس تحت الرقابة الإلهية[1]. ولبيان الجواب ومناقشة كل ذلك، هناك مقدمتان ضروريتان في المقام.

ثالثاً ـ مقدمتان وإستدلالان: المقدمة الأولى مكونة من أربع نقاط:

١ ـ وقفة مع علم الله عزّ وجل وقدرته:

كلام جلكريست المتقدم يجري ويكون تاماً؛ لوكان مؤلف القرآن هو النبي نفسه أو أي شخص آخر ـ والظاهر إن جلكريست يعتقد بهذا ويحاول إثباته ـ لكن الذي صدر عنه القرآن هو الله عز وجل.

والله سبحانه لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الحكيم الخبير، هو العالم بالأشياء قبل وبعد إيجادها ويعلم ما هو كائن وما يكون إلى يوم القيامة، وهذا المتسالم عليه عند جميع أهل الشرائع، فقد جاء في الكتاب المقدس «فَاللهُ أَعْظَمُ مِنْ قُلُوبِنَا وَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ»[2]. وجاء كذلك «لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إلى هذِهِ كُلِّهَا ... لأَنَّ أَبَاكُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ»[3].

٢ ـ علمه سبحانه بالأشياء قبل إيجادها:

فإنه سبحانه يعلم بالأشياء قبل إيجادها، ولا جدال في ذلك؛ لأن العلم بالسبب بما هو سبب، علمٌ بالمسبَّب. والعلم بالعلة، بما هي علَّة، علمٌ بوجود

---

1 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 128.

٢ ـ رسالة يوحنا الرسول الاولى، الإصحاح الثالث، ص٤.

٣ ـ إنجيل متى، الإصحاح السادس، ص٨-٩.

المعلول، والمراد من العلم بالعلة، العلم بالحيثية التي صارت مبدأ لوجود المعلول وحدوثه. وللتوضيح:

إن الطبيب العارف بحالات النبض وأنواعه وأحوال القلب وأوضاعه يقدر على التنبؤ بما يصيب المريض في مستقبل أيامه. وليس علمه بهذه الطوارئ إلا من جهة علمه بالعلة من حيث هي علة. وإن العالَم بجميع أجزائه مستند إليه سبحانه[1]. فـ«إن ذاته سبحانه لما كانت علة الأشياء ـ بحسب وجودها ـ والعلم بالعلة يستلزم العلم بمعلولها، فتعقّلها من هذه الجهة لا بدّ أن يكون على ترتيب صدورها واحداً بعد واحد»[2].

٣ ـ علمه سبحانه بالأشياء بعد إيجادها:

إن الأشياء الخارجية تنتهي في مقام الوجود إلى الله سبحانه ويعد الكل معلولاً له. ويترتب على ذلك أن العالَم كما هو فعله، فكذلك علمه سبحانه. وعلى سبيل التقريب لاحظ الصور الذهنية التي تخلقها النفس في مسرح الذهن، فهي فعل النفس وفي نفس الوقت علمها، ولا تحتاج النفس في العلم بتلك الصور إلى صور ثانية، وكذلك أن النفس محيطة بتلك الصور وهي قائمة بفاعلها وخالقها فهكذا العالَم دقيقه وجليله مخلوق لله سبحانه قائمٌ به، وهو محيطٌ به. وما هذا حاله لايغيب عنه شيء ولا يحيطه شيء بل هو يحيط كل شيء. وعلى هذا الأصل فالموجود المنزه عن قيود الزمان وحدود المكان يقف على جميع الأشياء مرة واحدة، وتنصبغ الموجودات المتغيرة بصبغة الثبات بالنسبة إليه[3]. ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا

---

١ ـ ظ: السبحاني، جعفر، الالهيات، ج١، ص١١٣-١١٤.
٢ ـ صدر المتألهين، الاسفار، ج٦، ص٢٧٥.
٣ ـ ظ: السبحاني، جعفر، الالهيات، ج١، ص١١٨-١١٩.

يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ (سبأ: ٣).

٤ ـ قدرة الله عز وجل:

فالله القادر المقتدر وعلى كل شيء قدير، وقدرته مطلقة غير متناهية وغير محدودة؛ فأوضح الكتاب المقدس أن الله يخلق كل شيء بكلمة (كن، فيكون) الشيء من عدم، أو من شيء آخر« وقال الله ليكن نور فكان نور.. وقال الله ليكن جلد في وسط المياه.. وكان كذلك ..وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء.. وتظهر اليابسة.. وكان كذلك»[1] وإنه قادر على كل ما هو كائن ويكون، فقد جاء «نَشْكُرُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، لأَنَّكَ أَخَذْتَ قُدْرَتَكَ الْعَظِيمَةَ وَمَلَكْتَ»[2].

استدلال:

بعد هذه المقدمة الطويلة وكون الله هو العليم والقدير وإن «كل قادر عالم، حي بالضرورة»[3] يمكن بهذه القدرة العظيمة والعلم اللامتناهي بدقائق الأمور؛ أن يعلم ويحيط بحال القرآن خلال حياة النبي وبعد وفاته ﷺ وأن يخبرنا عن مسيرة القرآن هل هو محفوظ أم لا، وهل سيكتمل ولا ينقص منه شيء ولا يتغير ولايُضاف عليه شيء. فتسقط الدعوى القائلة بعدم إمكانية شهادة القرآن على نفسه وحفظه بالمستقبل ومسيرته بعد حياة النبي ﷺ .

---

١ ـ تكوين ١/٣ـ٩.

٢ ـ رؤيا يوحنا الاصحاح الحادي عشر، ص ١٦.

٣ ـ الطوسي، نصير الدين، تجريد العقائد، ص١١٧.

المقدمة الثانية:

هناك نقطةٌ مهمة يمكن الانطلاق منها، هي أن جلكريست وبعض من بحث في شؤون القرآن من المستشرقين، مثلما يعتقد بأن القرآن غير مكتمل وفيه نقص وآيات محذوفة، في المقابل قد يؤمن ـ وهنا قد، تفيد التقليل ـ بعدم الزيادة في القرآن وإنه لم يُضف إليه شيئ، فقول جلكريست «أنا لست عدواً صريحاً للإسلام تسيطر عليه رغبة جنونية للإستهزاء بالقرآن أو نفي سلامته من التحريف بأي وسيلة كما يفترض بعض الكتاب الإسلاميين»[1]. وقوله: «ليس هناك ما يدل على أن النص تعرض للتحريف وكل محاولة لتأكيد ذلك ـ كما فعل بعض الباحثين الغربيين ـ يمكن دحضها بسهولة»[2]. وفي معرض حديثه عن مصحف زيد وتقييمه قال: «لا يمكن نفي أن مصحفه كان على العموم خالياً من التحريف»[3].

وأخيراً بإنصاف يقول: «من الصعب تصور أية زيادة أو تغيير في القرآن بعد وفاة محمد لأن أجزاء النص كانت موجودة بطريقة متناثرة عند الصحابة لكن إمكانية ضياع بعض الأجزاء من النص تبقى واردة كما ذكرنا سالفاً. إذا كان جزء مهم من القرآن احتُفِظ به عن طريق الحفظ فهذه ضمانة أكيدة أن لا أحد من الصحابة كان بإمكانه إضافة شيء إلى القرآن دون أن يلقى معارضة الآخرين»[4].

الإستدلال:

هذه الإنطلاقة ـ على ظاهرها ـ يمكن أن تهدم على أقل تقدير، نصف ما

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN,p 9.

2 - Ibid , p 30.

3 - Ibid, p 45.

4 - Ibid, p 28 – 29.

بناه من شبهات؛ لأنه يمكن القول: إذا كانت هناك ضمانة لعدم الزيادة فلماذا لا تكون نفس هذه الضمانة لعدم النقصان؟ فيمكن إثبات عدم النقص بنفس العلة التي أجراها جلكريست على عدم الزيادة والتغيير، وهي: (إن أجزاء النص كانت موجودة بطريقة متناثرة عند الصحابة... وإذا كان جزء مهم من القرآن احتُفِظ به عن طريق الحفظ فهذه ضمانة أكيدة أن لا أحد من الصحابة كان بإمكانه إضافة شيء إلى القرآن من دون أن يلقى معارضة الآخرين) فمثلما كانت الزيادة شيئاً طارئاً على القرآن ولم تكن تلك الزيادة متعارفة لدى الصحابة أرباب القرآن ـ إذا جاز التعبير ـ وخبرائه، وستلقى معارضتهم، كذلك النقصان المدعى على القرآن، أيضاً هو شيء طارئ على القرآن؛ لكن لا من حيث النقصان بمعنى العدم، إنما النقصان من حيث هو شيء غير معهود أيضاً لدى الصحابة كما الزيادة، فإن القرآن بأجمعه قد حفظه الصحابة عن ظهر قلب، وهذا أمر تسالم عليه الجميع حيث «كانت ذاكرة العرب المدهشة المستودع العظيم للقرآن»[1]، وكذلك تدويناً وكتابةً بعناية نبوية[2]، فإن من يأتي بعد ذلك ويدعي وجود شيء غير موجود في القرآن ويريد إضافته إليه، سيكون هو شيئاً غير متعارف لدى الاغلبية من الصحابة الصادقين، كما كانت الزيادة غير مألوفة لديهم.

وقرينة ذلك رفضهم لآية الرجم باعتبارها زيادة، فلو أدرجوا ما كان يظنه بعضهم نقصاً، الآيات المدعاة كآية الرجم وآية طمع بني آدم وآية الرضعات العشر وغيرها ـ على علاّت رواياتها برواتها الآحاد ومعارضتها صريح القرآن ـ لحصلت الزيادة فعلاً وهو شيء لم يفعله أحد آنئذ، فاعتراضهم على عمر عندما

---

١ ـ سل، كانون، تدوين القرآن، ترجمة، مالك مسلماني،ص٤. وينظر: بودلي، حياة محمد، ص٢٩٠.

٢ ـ ظ: بودلي، الرسول حياة محمد، ص ١٠. وينظر: إرفنج، واشنتن، محمد وخلفاؤه، ص ٤٥٣ ـ ٤٥٤. وللتفصيل، يراجع الفصل الثاني من هذا الكتاب ص٣٨ وما بعدها.

جاء بآية الرجم لم يقبلوا كلامه، لماذا؟ لأنه جاء بزيادة على القرآن هو يدعيها إذ قال عمر فيما قال: «والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله لكتبتها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، فإنّا قد قرأناها»[1].

وهنا لتُكتب بخطٍ غامق كلمة (زاد عمر) فلم يقبلها الصحابة بهذا الاعتبار، بهذه الجهة ولنفس العلة المتقدمة الذكر والتي قررها جلكريست، ولأن الصحابة المنتجبين هم مهدُ القرآن ورعاتُه كتابةً وحفظاً، أو على الاقل بما يقرّ به جلكريست، حفظاً.

وهذا الاستدلال ممكن جعله مُطّرداً لكل ما يدّعونه ويسمّونه نقصاً كاختلاف القراءات والمصاحف، كما يُروى عن عائشة أم المؤمنين عندما أملت على كاتبها في الآية ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣٨)، فأمْلَت عليه (والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين)[2] فهذه زيادة من حيث يعتبرها المعتبر نقصاً، سيرفضها حتماً المسلمون الاوائل لنفس القاعدة آنفاً.

أقوالٌ كهذه التي أقرّها على نفسه جلكريست ـ بغض النظر عمّا يناقضها من أقوال ـ القدر المتيقن منها ويُفهم من ظاهرها، بأنّ ما وصلنا من القرآن حقيقةً

---

١ ـ موطأ مالك، ج٥، ص١٢٠٣، رقم الحديث، ٣٠٤٤، ويراجع استشهاد جلكريست بهذا الحديث في كتابه، جمع القرآن، ص٩٣، ٩٤، ٩٦ من كتابه.

٢ ـ نص الرواية في موطأ مالك، ج٢، ص١٩٠، باب الصلاة الوسطى، رقم الحديث، ٤٥٨. وقد أخذت الرواية بيد المستشرق جلكريست لبث الشك والريب في مصداقية القرآن إذ قال: «حتى بعد عملية الجمع الأخيرة للمصحف في عهد عثمان استمرت النزاعات بين المسلمين حول مصداقية هذا النص ... هذه عائشة زوج محمد رسول الإسلام تؤكد وجوب إضافة عبارة (وصلاة العصر) بعد عبارة (والصلاة الوسطى) مستشهدة في ذلك بمحمد نفسه»:

Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN,p,34.

وعلى أقل التقادير لم تطرأ عليه زيادة ولا تغيير، أنزله الله على نبي آخر الزمان، ومن هنا يمكن الانطلاق والاستفادة من آيات أُخر، شاهدة بحفظ القرآن وعدم نقصه وتحريفه.

وإن كانوا هم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، فهم يكفرون بكثير من الآيات التي تتقاطع مع عقيدتهم ودينهم ودين آبائهم منها: كقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ (الصف: ٦).

النقطة الأخرى: إن جلكريست عندما حاول آنفاً، دفع شهادة الآيات على جمع القرآن، ومعها إلتزاماً ستنخدش تمامية القرآن، لم يُسقط في استدلاله تلك الآيات كونه يجحد بها وبنبيها ـ هذا على ظاهر قوله ـ إنما ناقش في دلالة ومعاني الآيات، ومرت الآيات قوله تعالى (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ...) (وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ) (إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ) (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ)، هذا الأمر، يتيح للباحث الخوض في آيات أُخر، مفيدة في المقام، وإن كانت هي لاتحكي عن جمع القرآن بالمعنى المتعارف.

وبالمناسبة ـ بحسب استقراء الباحث ـ لا أحد يدعي أن هناك آية صريحة تتحدث عن الجمع تفصيلاً بالمعنى الاصطلاحي. ولكن الآيات التي سيتم الحديث عنها، تُنبئ بوضوح عن حقيقة تمامية وكمال القرآن الكريم وعدم زيادته أو نقصانه، بالتالي ستتلاشى بالدلالة الإلتزامية، كل رواية من روايات جمع القرآن وغيره التي تتقاطع مع هذه الحقيقة.

نعم هناك آيات من نوع آخر ـ تم بحث بعضها، وتفصيلها يأتي في فصل

لاحق ـ لا تتحدث صراحة عن الجمع ، ولكن يستفاد منها ذلك ، وبنفس الوقت لم يقل أحد بوجوب إيجاد آية من القرآن صريحة عن الجمع، كي ينعقد الإيمان بجمع القرآن المثالي، فهناك أدلة أخرى غير الآيات لإثبات المطلوب.

المطلب الثالث: آيات شاهدة بحفظ القرآن مقابل دعوى جلكريست:

وهذه الآيات الشاهدة بحفظ القرآن وعدم تحريفه، إنما هي المعيار والمقياس الذي يُقاس وينضبط به كل ما يطرأ على النص القرآني ويمكن بعد ذلك كيفية التعامل معه، وليس القول بحفظ القرآن من الضياع، دافعه الشعور العاطفي فحسب، كما ادعى ذلك جلكريست آنفاً[1].

فيجب التعامل مع هذه الآيات، كما التعامل مع القواعد العلمية للعلوم الأخرى، فالقاعدة العلمية هي المرجع التي يرجع إليها عالم الفيزياء وعالم الرياضيات وغيرهم، عند الشك والاختلاف، فإذا قال قائلٌ مثلاً: بإمكانية دخول الجمل في سَمّ الخياط؛ نجيبه على الفور بعدم إمكانية هذا الشيء واستحالته؛ لقصورٍ في القابل (سم الخياط)، والإجابة هذه ليست بدافع الشعور المسبغ، وإنما لقاعدة علمية تحدد لنا المسار الصحيح وهي: أن الجزء أصغر من الكل، والظرف أكبر من المظروف والجسم الكبير لا يدخل في الجسم الصغير.

الآية الأولى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩) والمعنى نحن أنزلنا هذا الذكر إنزالاً تدريجيّاً، وإنّا له لحافظون بما له من صفة الذكْر

1 - see: Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p98 and 128.

ويجب الأخذ بنظر الاعتبار، أن المستشرق جلكريست فسّر بفهمه القاصر، آيات قرآنية، وحكم بأنها لا تشهد بحفظ القرآن، كونها لا تدل على جمع القرآن.

بما لنا من العناية الكاملة به، ولا يضر الانزال التدريجي بحفظه، فالآية تدلّ على كون كتاب الله محفوظاً من التحريف بجميع أقسامه من جهة كونه ذكراً لله سبحانه، فهو ذكر حيّ خالد[1]. وهو ضمان إلهي لا يختلف ولا يتخلف [لا كما يتخيل جلكريست بأن مستقبل القرآن كان مجهولاً أيام النبي] أي في كل زمان وكل مكان، لا زمان من دون آخر ولا مكان، وعداً من الله صادقاً ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ (الرعد: ٣١).

وهذا مقتضى قاعدة اللطف الإلهي وهي: يجب على الله تعالى ـ وفق حكمته في التكليف ـ فعل ما يوجب تقريب العباد إلى الطاعة وبعدهم عن المعصية. ولا شك أن الإسلام هو خاتمة الشرائع السماوية الباقية مع الخلود، الأمر الذي يستدعي بقاء أساسه قويماً مستحكماً، ولا يقع عرضةً لتلاعب أهل البدع والاهواء[2].

قد أولوا هذه الآية الشريفة، وذكروا وجوهاً: الأول أن الذكر هو الرسول، فقد ورد استعمال الذكر فيه في قوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا * رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ (الطلاق: ١٠-١١)، وهذا الوجه بيِّن الفساد: لأنّ المراد بالذكر هو القرآن في كلتا الآيتين بقرينة التعبير(بالتنزيل والانزال) ولو كان المراد هو الرسول لكان المناسب أن يأتي بلفظ (الإرسال) أو بما يقاربه في المعنى، على أن هذا الاحتمال إذا تم في الآية الثانية فلا يتم في آية الحفظ، فإنها مسبوقة بقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾ (الحجر: ٦)، ولا شبهة في أن المراد بالذكر

---

١ ـ ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان : ج ١٢، ص٩٩، تفسير سورة الحجر، آية ٦-٨.

٢ ـ ظ:هادي معرفة، التمهيد، ج٨، ص٤١

في هذه الآية هو القرآن، فتكون قرينة على أن المراد من الذكر في آية الحفظ هو القرآن أيضاً[1]. نعم هنا شبهة أخرى ترد على الاستدلال بالآية الكريمة على عدم التحريف. وقريب من هذه الشبهة أوردها جلكريست في كتابه[2].

«وحاصل هذه الشبهة أن مدعي التحريف في القرآن يحتمل وجود التحريف في هذه الآية نفسها، لأنها بعض آيات القرآن، فلا يكون الاستدلال بها صحيحاً حتى يثبت عدم التحريف، فلو أردنا أن نثبت عدم التحريف بها كان ذلك من الدور الباطل»[3].

وهذه شبهة ترد على من عزل العترة الطاهرة عن الخلافة الإلهية، ولم يعتمد على أقوالهم وأفعالهم، فإنه لا يسعه دفع هذه الشبهة، وأما من يرى أنهم حجج الله على خلقه، وأنهم قرناء الكتاب في وجوب التمسك كما ورد في حديث الثقلين، فلا ترد عليه هذه الشبهة؛ لأنّ استدلال العترة بالكتاب وتمسكهم به وعدم اعتراضهم، وتقرير أصحابهم عليه يكشف عن حجية الكتاب الموجود، غاية الأمر أن حجية الكتاب على القول بالتحريف تكون متوقفة على إمضائهم[4].

الآية الثانية: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت٤١-٤٢)، هذه الآية أكثر تصريحاً ودلالةً من الآية الاولى، فقد دلت على نفي الباطل بجميع أقسامه عن الكتاب فإن النفي إذا ورد على

---

١ ـ ظ: السيد الخوئي، البيان، ص٢٠٧-٢٠٨.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 126.

وينظر: ص١٢٤من هذا الكتاب من الفصل الثالث.

٣ ـ السيد الخوئي، البيان، ص٢٠٩.

٤ ـ ظ: ن.م: نفس الصفحة.

الطبيعة أفاد العموم، أي طبيعة الباطل وعمومه منفي عن القرآن، ولا شبهة في أن التحريف من أفراد الباطل، فيجب أن لا يتطرق إلى الكتاب العزيز، لا في الحاضر ولا في مستقبل الأيام[1].

وذكر المفسرون للباطل أقوال، لا تتقاطع فيما بينها، فمعناه: «لا يأتيه النكير من بين يديه ولا من خلفه ... عن السديّ الباطل: هو الشيطان لا يستطيع أن يزيد فيه حرفاً ولا ينقص»[2].

وقيل المراد بالباطل «ما كان باطلاً في نفسه... والمراد (لَّا يَأْتِيهِ) استمرار النفي لا نفي الاستمرار»[3].

وقال الطبري: وأولى الأقوال معناه لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه[4]، «فذكر تعالى أن القرآن من حيث هو ذكر لا يغلبه باطل ولا يدخل فيه حالاً ولا في مستقبل الزمان لا بإبطال ولا بنسخ ولا بتغيير أو تحريف يوجب زوال ذكريته عنه»[5].

فالآية دالة على تنزيه القرآن في جميع الأعصار عن الباطل بجميع أقسامه، والتحريف والزيادة والنقصان من أظهر أفراد الباطل فيجب أن يكون مصوناً عنه،

---

١ ـ السيد الخوئي، البيان: ص٤٦، وينظر: آبادي، آية الله حسن طاهري، تحريف القرآن أسطورة أم واقع، ص٩١. وينظر: هادي معرفة، التمهيد، ص ٤٦-٤٧.

٢ ـ ظ: تفسير الطبري، ج٢١، ٤٧٩-٤٨٠.

٣ ـ تفسير الآلوسي، ج٩، ص١٧٣.

٤ ـ ظ: تفسير الطبري، ج٢١، ٤٨٠.

٥ ـ الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٢، ص١٠٤، تفسير سورة الحجر، اية ٩.

ويشهد لدخول التحريف في الباطل، الذي نفته الآية عن الكتاب أن الآية وصفت الكتاب بالعزة، وعزة الشيء تقتضي المحافظة عليه من التغيير والضياع[1]، فلو دخلت زيادة على القرآن أو نقص منه شيء مما نُزل «يكون نقضاً لغرض الباري لا ينسجم مع حكمته سبحانه وتعالى الواردة في قوله تعالى (تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) وأنّ هذا التعبير دليل وحكمة على حصانة القرآن ومنعته وعزته»[2].

لا كما تأوّل جلكريست بتأويلات غريبة في بابها عندما قال: «فإن القرآن لم يستطع أن يشهد سلفاً من الناحية التاريخية على مسيرة النص بعد وفاة محمد. ومع ذلك، فإن هذا التحديد بحياته على وجه الدقة هو الذي يجعل من القرآن شاهداً غير كفوء على حالة النص في وقت إكمال جمعه»[3] وهذا القول لا يقرب من الحقيقة في شيء، ففي مقام الآية المتقدمة تجدها دالة على العموم، عموم نفي الباطل؛ لا نفيه في وقت حياة النبي صلى الله عليه وآله فقط، ولأن معاني القرآن لا تختص بموارد خاصة[4]، فقد قال أميرالمؤمنين عليه السلام في صفة القرآن: «ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لايدرك قعره، ومنهاجاً لايضل نهجه، وشعاعاً لايظلم ضوءه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لاتهدم أركانه...»[5] يريد بقوله عليه السلام هذا وبكثير من جمل هذه الخطبة أن القرآن لا تنتهي معانيه، وأنه غض جديد إلى يوم القيامة. فقد تنزل الآية في مورد أو في شخص أو في قوم،

---

١ ـ السيد الخوئي، البيان، ص٢١٠.

٢ ـ المحمدي، د فتح الله، سلامة القرآن من التحريف، ص٢١.

3 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p129.

٤ ـ ظ: السيد الخوئي، البيان، ص٢١٠.

٥ ـ نهج البلاغة، وهو مجموعة خطب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، تأليف: الشريف الرضي، تح: الشيخ فارس الحسّون، ص٥٠١.

ولكنها لا تختص بذلك المورد أو ذلك الشخص أو أولئك القوم، فهي عامة المعنى[1] فعن الامام الباقر عليه السلام في حديث «... إن القرآن حي لايموت، والآية حية لاتموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية لمات القرآن ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين»[2].

الآية الثالثة: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (السجدة: ٢)، فكأنّ سائلا يسأل: ما هو الدليل على أنّ هذا الكتاب حقّ، ولا مجال للشكّ والتحريف فيه؟ فتقول: الدليل هو أنّه من ربّ العالمين الذي يصدر منه كلّ حقّ وحقيقة. فقوله (مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) جاءت دليلاً وبرهاناً لجملة (لَا رَيْبَ فِيهِ)، وقد جاءت في سياق رد شبهة أنّ هذا الكتاب من تأليف محمّد. وقد ادّعى كذباً بأنّه من الله، وحاشاه[3]، فهذه من الآيات التي تؤيّد نفي التّحريف، فقد نفت الرّيب عنه في نزوله وحدوثه، وكذلك تؤكد كون القرآن كتاب هداية ومنزهاً عن الرّيب في هدايته وبقائه، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ومن الواضح أنّ أي تحريف وتغيير في القرآن يوجب ورود الريب عليه ويستلزم الشك والتشويش الدائم في النفس، بأنّ الكتاب الذي يجب أن يكون مصدراً للهداية قد تغيّر وحُرِّف وبُدِّل. وهذا ينافي إنكار الرّيب مطلقاً في القرآن في جميع وجوهه لوجود النكرة في سياق النفي في الآية الكريمة[4].

والدليل على نفي أي تحريف أو زيادة أو نقصان التي توجب الريب،

---

١ ـ ظ: السيد الخوئي، البيان، ص٢٢.

٢ ـ العياشي، المحدث الجليل ابى النضر محمد بن مسعود بن عياش، تفسير العياشي، ج١، ص٢٠٤.

٣ ـ ظ: مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ج١٣، ص٩٢-٩٣.

٤ ـ ظ: المحمدي، د فتح الله، سلامة القرآن من التحريف، ص٢٥.

فالدليل على نفي ذلك بالكلية، هو أن في قوله: (لَا رَيْبَ فِيهِ) نفي لماهية الريب ونفي الماهية يقتضي نفي كل فرد من أفراد الماهية، لأنه لو ثبت فرد من أفراد الماهية لثبتت الماهية، وذلك يناقض نفي الماهية، ولهذا السر كان قولنا: (لا إله إلا الله) نفياً لجميع الآلهة سوى الله تعالى[1].

الآية الرابعة: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان: ٣٠)، قول الرّسول ﷺ هذا، شكوى من فئة عظيمة من المسلمين، يشكو بين يدي الله أنّهم دفنوا القرآن بيد النسيان، القرآن الذي هو رمز الحياة ووسيلة النجاة[2].

وهذه الشكوى من الرسول الأكرم تكون قائمة إذا كان القرآن مصوناً من أي نوع من التّحريف، زيادة أو نقصان وتغيير واختلاف، إذ يعد القرآن الحبل المتين الممتد من قبل الباري تعالى بين هؤلاء ليتعلقوا به فيكون سبيلاً لنجاتهم، وإذا تركوه ولم يعملوا بتعاليمه يصير مهجوراً، وأمّا إذا كان محرَّفاً فهذه الشكوى تصبح لغواً لأنَّ القرآن حينئذ لا يوصف بأنّه الحبل المتين الممتد ليتعلقوا به وينجوا، ولأنّ الرسول الأكرم ﷺ لم يشتك من احتمال تغيير وتحريف القرآن الكريم بل اشتكى من عدم العمل به وهجره، وهذا يدل على أن القرآن سيظل مصوناً من أيّ نوع من التّحريف والتبديل إلى يوم القيامة[3].

الآية الخامسة: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢)، وهذه الآية تدل الناس على أمر يحسونه بفطرتهم،

---

١ ـ ظ: تفسير الرازي، ج٢، ص٢٦٦.

٢ ـ ظ: مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ج١١، ص٢٤٣.

٣ ـ ظ: المحمدي، د فتح الله، سلامة القرآن من التحريف، ص٢٥.

ويدركونه بغريزتهم، وهو أن التهافت في القول، والتناقض في البيان، لم يقع في الكتاب العزيز. والقرآن يتبع هذه الخطة في كثير من استدلالاته واحتجاجاته، فيرشد الناس إلى حكم الفطرة، ويرجعهم إلى الغريزة، وهي أنجح طريقة في الإرشاد، وأقربها إلى الهداية[1].

فالقرآن الكريم بثّ المعارف الإلهية من المبدأ والمعاد والخلق والإيجاد، ثمّ الفضائل العامّة الإنسانية، ثمّ القوانين الاجتماعية والفردية الحاكمة في البشر جميعاً حكومة لا يشذّ منها دقيق ولا جليل، ثمّ القصص والعبر والمواعظ، ولا يوجد فيها أيّ اختلاف، لا اختلاف التناقض بأن ينفي بعضها بعضاً أو يتدافعا، ولا اختلاف التفاوت بأن تتفاوت الآيتان من حيث تشابه البيان أو متانة المعاني والمقاصد، فيكون البعض أحكم تبياناً وأشدّ ركناً، فالآية تفسّر الآية، والبعض يبيّن البعض، والجملة تصدّق الجملة كما قال عليٌ عليه السلام «ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض»[2] ولو كان من عند غير الله لاختلف النظم في الحسن والبهاء والقول في الشداقة والبلاغة والمعنى من حيث الفساد والصحّة ومن حيث الإتقان والمتانة، مما يكون دليلاً على عدم التحريف بكل مصاديقه[3]. وهناك كثيرٌ من الثوابت القرآنية والأدلة والمؤيدات التي لا حصر لها لإثبات المطلب سيطول معها المقام لو ذُكرت كلها، لكن منها:

الأخبار الكثر المروية عن النبيّ صلى الله عليه وآله من طرق الفريقين الآمرة بالرجوع إلى القرآن عند الفتن، وفي حلّ عقد المشكلات. وكذا حديث الثقلين المتواتر من طرق الفريقين.

---

١ ـ السيد الخوئي، البيان، ص٥٦.

٢ ـ من أقوال الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، رقم الخطبة، ١٣٣.

٣ ـ ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١، ص٦٨، تفسير سورة البقرة، آية ٢١-٢٥.

وكذا الأخبار الكثر الواردة عن النبيّ والأئمة عليهم السلام الآمرة بعرض الأخبار على الكتاب... وأخبار العرض صريحة في أنّ الأمر بالعرض إنّما هو لتمييز الصدق عن الكذب والحقّ عن الباطل مطلقاً ، ولا يختص برواية دون رواية.

وكذا الأخبار التي تتضمن تمسك أئمة أهل البيت بمختلف الآيات القرآنية في كلّ باب على ما يوافق القرآن الموجود عندنا...

وكذا الرّوايات الواردة عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وسائر الأئمة من ذريّته في أنّ ما في أيدي الناس قرآن نازل من عند الله سبحانه... فمجموع هذه الرّوايات على اختلاف أصنافها يدلّ دلالة قاطعة على أنّ الّذي في أيدينا من القرآن هو القرآن النازل على النبيّ صلى الله عليه وآله من غير أن يفقد شيئاً من أوصافه الكريمة وآثارها وبركاتها[1].

***

١ ـ ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان: ج١٢، ص١٠٥-١٠٦، تفسير سورة الحجر، آية ١-٩.

الفصل الرابع

مع المستشرق جون جلكريست

في جمع القرآن

في هذا الفصل، يتم تسليط الجهد حول منهجية جلكريست في تعامله مع جمع القرآن، والإشكاليات التي أوردها على النص القرآني، تاركين الكم الكبير من التساؤلات والمواضيع المهمة في كتابه (جمع القرآن)؛ لأنها خارجة تخصصاً عن ذات الموضوع، بحثها في مكان آخر إن شاء الله، وليس مكانها هذا الكتاب الخاص بجمع القرآن فحسب.

المبحث الأول
دراسة في المنهج

المطلب الأول: رؤية جلكريست حول المرحلة الأولى لجمع القرآن:

تناول جلكريست جمع القرآن من خلال مرحلتين وهما: المرحلة الأولى جمع القرآن في عهد أبي بكر، والتالية جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان. وينبغي الإشارة هنا إلى أنه قصر الجمع على مرحلتين، وكلتاهما بعد رحيل النبي ﷺ. كي يكون هناك مجال واسع للتشكيك في دخول وخروج نصوص قرآنية بحسب مزاج الكتب والمصادر الحديثية التي اعتمدها جلكريست. وسيتناول هذا المطلب نظرته لهذه المرحلة عبر عدة محاور:

أولاً ـ القرآن في عهد النبي محمد صلى الله عليه وآله :

فيبدأ جلكريست بما يسميه (تطور القرآن في عهد محمد) ليقدم مقدمة عن تسلسل القرآن يصل بعدها إلى طور الجمع بعد وفاة النبي، فيبدأ من كيفية تبليغ القرآن وإنه لم يوحَ ولم يُبلَّغ مرة واحدة بل جاء على أجزاء خلال مدة من الزمن، ويبحث عن معلومات تفيد الترتيب الزمني للفقرات القرآنية[1]، فإنه «لم يؤخذ بعين الإعتبار لا الموضوع ولا التسلسل من حيث النزول. كل العلماء المسلمون يُقِرُّون بأنّ جُلّ السور وعلى الخصوص الطويلة منها هي خليط من المقاطع التي ليست بالضرورة متصلة ببعضها البعض حسب التسلسل الزمني»[2] وهذه معلومة أطلقها من عنده بالمجان وبدون دليل، بحسب فهمه هو للقرآن، في المقابل طالما طالب جلكريست علماء المسلمين بتقديم الأدلة على ما يدّعونه، ونسأله أيضاً لو أن أحداً قال كلمةً من دون حجة عن الإنجيل، إن مواضيعه شتات وغير مترابطة هل سيصدقه بهذه السذاجة؟ على أنه لو أُريد إثبات معجزة القرآن في بلاغته وترابط مواضيعه وأسلوبه والمؤلفات العديدة في تناسب الآيات والسور؛ لخرج موضوع البحث عن مساره(*).

ولم ولن يفهم القرآن أبداً؛ لأنه لا توجد لديه رغبة مسبقة، وغير مستعد لذلك «وعلى كل حال حتى لو تمتع المرء بالشجاعة والرغبة في التخلي عن

---

1 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p17.

2 - Ibid, p 17.

* ـ ولمن أراد التفصيل مراجعة كتاب، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، وكتاب تفسير الكشاف للزمخشري، وكتاب تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب، وكتاب علوم القرآن للسيد محمد باقر الحكيم، موضوع: الشبهة حول إعجاز القرآن، ص٢٥٠.

تصوراته السابقة ووضعها جانباً واكتشاف الحقائق بنفسه، لا يخفف من حدة المواجهة الأولى لأي أجنبي مع القرآن؛ فالقرآن كتاب صعب القراءة، وإذا توقع القارئ الغربي أنه سيبحر خلال الكتاب من الغلاف إلى الغلاف ويستخلص الرسالة المتضمنة في القرآن بسهولة، فسوف يُصاب بلا شك بخيبة أمل كبيرة. حيث إن هناك العديد من العوائق التي يصعب الوصول إلى قلب القرآن ومعانيه الخفية. وعلى الرغم من أن الوصول إلى هذه النفائس والمعاني ليس مستحيلاً، فإن النظرة الأولى إلى القرآن تعطي الانطباع وكأن هناك خطة خفية لمنع الأشخاص غير المستعدين لفهم تلك المعاني من الحصول عليها في المقام الأول»[1].

وفي نفس السطر يناقض نفسه يقول: «مع مرور الوقت أصبح محمد يقول لكُتَّابه : ضعوا أية كذا في موضع كذا»[2] وفيه ما يدل على أن ترتيب القرآن كان بأمر من النبي، فلا يمكن أن يكون خليط غير مترابط.

بعدها يمر القرآن بطورٍ آخر «حين صارت الآيات القرآنية تتكاثر أصبح أصحاب محمد يكتبون بعضاً منها ويحفظون البعض الآخر عن ظهر قلب»[3] ويرحب جون بفكرة الحفظ ـ كما مر سابقاً ـ بجعلها تشكل الطريقة الرئيسة للحفاظ على نص القرآن واستدل باستدلال غير ناهض يقول: «لأن كلمة (قرآن) تعني (القرآءة) ولأن أول كلمة قال محمد أنها نزلت عليه ... إقرأ»[4] وإن كان كذلك، هذا لا يعني أن تثبيت النص الإلهي تمت بهذه الطريقة فقط؛ لأن الإنسان عرضةً للنسيان مهما كانت سعة حفظه، ومرة أخرى يناقض نفسه فيقول: «مع كل

---

١ ـ ظ: تيرنر، كولين، الإسلام الاسس، ترجمة، نجوان نور الدين، ص٨٣.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 17.

3 - Ibid, p 18.

4 - Ibid, p 18.

هذا ففي القرآن نفسه ما يدل على أنه مُدَوَّنٌ كِتابياً كما تشهد الآية التالية: ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ (عبس: ١٣-١٦)»[1]، ويستدل أيضاً بما يُعرف برواية إسلام عمر وجمعه وتداوله بين المسلمين، فجاء إن عمر هاجم بيت اخته وزوجها، وهما يقرءان القرآن، فضرب زوجها، «فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها، فنفحها نفحة بيده، فدمي وجهها، فقالت وهي غضبى: وان كان الحق في غير دينك إني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فقال عمر: أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فاقرأه، وكان عمر يقرأ الكتاب، فقالت أخته: إنك رجس، وأنه لا يمسه إلا المطهرون فقم واغتسل أو توضأ، فقام فتوضأ، ثم أخذ الكتاب، فقرأ (طه) حتى انتهى إلى: إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ »[2]. ودراسة هذه الوثيقة تؤكد أن الرسول ﷺ كان يدون القرآن من بدء الدعوة في مكة المكرمة. وذلك واضح في عبارتي (معه صحيفة فيها طه) (وأعطوني الكتاب الذي هو عندكم فاقرأه)، فحوادث هذه الوثيقة، كما يذكر المؤرخون، كانت في المرحلة السرية، وكما تشير الحادثة ذاتها إلى ذلك، مما يكشف المشروع النبوي لتدوين القرآن وجمعه مدوناً، اضافة إلى جمعه في صدور الحفاظ، كما ذكر[3].

وشيءٌ آخر يُستفاد منها إن الحفظة الذين يريدون حفظ القرآن، كان لابدّ وإنه يتداول عندهم شيءٌ ليقرأوه كي يحفظوه، وإلا لا يمكن أن يحفظوه بالمعجزة.

والغريب بعد أن ينقل الرواية كاملة من (سيرة ابن هشام) يرجع فيقول:

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 18.

٢ ـ البيهقي: السنن الكبرى، ج١، ص٨٨.

٣ ـ ظ: الموسوي، السيد هاشم، القرآن في مدرسة أهل البيت: ٥/٣ قرص المكتبة الشاملة.

«مع هذا يتضح لنا أن الحفظ كان هو المنهج السائد إلى حين وفاة محمد وكانت تعطى له أهمية أكبر»[1] وهذا تهافت واضح عند جلكريست.

حينها يأتي إلى ما أسماه الطور الأخير للقرآن بقوله: عندما توفي النبي بعد مرض لم يدم طويلاً وبوفاته اكتمل القرآن وانقضى نزوله ولم يعد من الممكن إضافة آيات أخرى إليه نظراً لانتهاء نبوة محمد. حين كان لا يزال على قيد الحياة كانت هناك دائماً إمكانية نزول أجزاء جديدة من القرآن؛ لهذا يرى أنه لم يكن من الممكن جمع النص في كتاب واحد وهو أيضاً ما يفسر كون القرآن بقي مفرقاً بين ما في ذاكرة بعض الناس وما في مختلف المواد التي كان مكتوباً عليها وقت وفاة محمد[2].

ثانياً ـ الأسباب الداعية لعدم جمع القرآن: التي من أجلها لم يُجمع القرآن أيام النبي يراها جلكريست:

١ ـ عند نهاية المرحلة الأولى التي مر منها القرآن نجد أن محتواه كان موزعاً بشكل واسع في ذاكرة الناس بينما كانت بعض أجزائه مكتوبة على مختلف المواد التي كانت تستعمل آنذاك في الكتابة.

٢ ـ كل هذه العوامل تفسر غياب نص قرآني رسمي[*] وموحد وقت وفاته؛ لإمكانية نسخ أجزاء من القرآن واحتمال نزول آيات جديدة، بديلة عنها[3].

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 19.

2 - Ibid , p 20.

* ـ تبين في موضع سابق من الكتاب هامش ص١٥٨ ماذا يريد جلكريست والمستشرقون من هذا التوصيف (قرآن رسمي).

3 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN , p20 – 21.

٣ ـ لم يُجمع القرآن لحين وفاته مستدلاً بما ذكره السيوطي: أن القرآن قد كتب كله في عهد محمد وبقي محافظاً عليه بعناية بالغة لكن لم يجمع في موضع واحد قبل موته وقيل إنه كان متوافراً بأكمله مبدئياً في ذاكرة الصحابة وأيضاً على شكل مكتوب[١].

٤ ـ إمكانية نسخ أجزاء من القرآن واحتمال نزول آيات بديلة عنها[٢]. معتمداً جلكريست بذلك على رأي أورده السيوطي[٣].

٥ ـ حين كان لا يزال محمد على قيد الحياة كانت هناك دائما إمكانية نزول أجزاء جديدة من القرآن ولهذا لم يكن من الممكن جمع النص في كتاب واحد. وإن الآيات القرآنية صارت تنزل على محمد بشكل مكثف قبيل وفاته ولذلك استمنع جمعها[٤]. مستدلاً على ذلك برواية أوردها من صحيح البخاري «أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه: أن الله تعالى تابع على رسوله صلى الله عليه [وآله] وسلم الوحي قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي ثم توفي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بعد»[٥].

ثالثاً ـ مناقشة الأسباب:

لكن هذه الاسباب لا يمكن أن تقف عائقاً أمام تدوين وجمع القرآن في

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN , p 21.

وينظر:السيوطي، الاتقان، النوع الثامن عشر، ج١، ص٥٨.

2 - See, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 20.

٣ ـ ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن،النوع الثامن عشر، ج١، ص٥٨.

4 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 20.

٥ ـ صحيح البخاري، ج٤، ص١٩٠٦، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل، رقم الحديث، ٤٦٩٧.

مصحف واحد من قبل النبي ﷺ والصحابة الكرام. أما عن إمكانية نزول آيات جديدة فهذا لا يمنع من كتابتها وصفّها مع الأُخريات، حتى مع نزوله تدريجاً، وكان كلما نزلت آية يأمر كتّابه بتدوينها، لاسيّما وأنّ جلكريست أورد رواية عن صحيح البخاري تفيد هذا المعنى (كلما نزل قرآن جديد، أمر النبي بكتابته على الفور).

لكن هذه المرة جلكريست يقلل من شأن هذه الرواية، ليس كما في السابق؛ لأنها لا تنسجم وهدفه المنشود، وحتى لا يسمّيها حديث أو رواية، بل يعبّر (هناك حكاية)؛ للتقليل من أهميتها، في المقابل رأيناه عندما يأتي بروايات فيها أدنى إثارة لشبهة، يقول عنها: إنها جاءت من أصح الكتب بعد كتاب الله، وإليك ما نصه: «هناك حكايات مفادها أنه كلما نزل شيء من القرآن كان محمد يطلب من كتّابه ومن بينهم زيد أن يكتبوه»[1] ويذكر ما جاء في البخاري «عن البراء قال لما نزلت ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ادع لى زيداً وليجئ باللوح والدواة والكتف أو الكتف والدواة ثم قال أكتب لا يستوى القاعدون وخلف ظهر النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم عمرو بن أم مكتوم الأعمى قال: يا رسول الله فما تأمرني فإني رجل ضرير البصر ؟ فنزلت مكانها ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (النساء: ٩٥)»[2]

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 26.

٢ ـ صحيح البخاري، ج٤، ص١٦٧٧. باب كاتب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، وقد استشهد المستشرق اميل درمنغم، بهذه الرواية، في كتابه حياة محمد (THE LIFE OF MAHOMET) بما كان ينزل من الوحي والكتاب يكتبونه:

See: DERMENGHEM, EMILE, THE LIFE OF MAHOMET, 253.

وينظر: النسخة العربية، درمنغم، إميل، حياة محمد، ص ٢٤٧.

ومجاحدةً من جلكريست يردفها بالقول: «لكن لا شيء يؤكد أن القرآن كان مجموعاً بأكمله في بيته»[1]. فماذا بعد الحق غير الضلال، وهذا لأمرٌ عجيب، لا أدري هل كان النبي عندما يأمر بكتابة القرآن، يكتبه ثم يرميه في البحر؟ شيء بديهي أن يبقى في بيته، والبديهي لا يُطلب بدليل، ولا يحتاج إلى مثل هذا التعقيد، فأي كاتب كان في ذلك الزمن أو في الزمن الحاضر ويكتب كتاباً، أكيد سيبقى في بيته، لماذا يجب أن يتفرق ما الداعي لذلك؟ كيف وإذا كان ذلك الكاتب هو خاتم الانبياء والرسل وسيد الكون محمد ﷺ والكتاب هو القرآن الكريم دستور الأجيال من بعده إلى يوم القيامة.

ـ وأمّا عن مسألة النسخ، فكذلك لا تكون حائلاً بوجه جمع القرآن، لكن ليس على الفهم المشحون لديه، فقد عده سبباً؛ لأنه فهم من النسخ، مجرد حذف وإلغاء ورفع الآية من القرآن كلياً، ورأيه هذا مبني على أساس لمصادر المسلمين «قال الخطابي: إنما لم يجمع صلى الله عليه [وآله] وسلم القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته»[2].

هناك رأي مغاير لفهم النسخ وهو: إنما هو نسخ الحكم من دون التلاوة، أي تبقى الآية وينسخ حكمها كما في آية النجوى ولم يوجد في ما ذكروا من رواية عن رسول الله ﷺ أنّه فسّر لفظ (آية) في قوله تعالى ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ ﴾ هنا بـ(الآية) الّتي هي جزء من السورة كما قالوا به. ومثال ليس ببعيد في رواية (عمرو بن أم مكتوم الأعمى) الآنفة عند نزول الآية ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ فنزلت مكانها ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ﴾ فلم

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p26.

٢ ـ السيوطي : الاتقان في علوم القرآن،النوع الثامن عشر، ج١، ص٥٨.

تُمح أوتحذف الآية السابقة، بل هي باقية ـ ولا يُراد هنا القول بجريان النسخ في هذه الآية أو عدم جريانه، وإنما لتقريب الصورة فقط ـ وسيتم تفصيل أكثر عن النسخ في المبحث القادم.

ـ أما عن السبب الثالث: إن الآيات القرآنية صارت تنزل بشكل مكثف قبيل وفاته.

وهذا أيضاً لا يمنع أبداً من جمع القرآن، والمسألة ليست مستحيلة بالشكل الذي يصوّره بلحاظ الكثرة المشهورة لكتّاب النبيﷺ ، فقد ذكر المسعودي (٣٤٦هـ) أسماء ستة عشر كاتباً[١] مضيفاً على قائمة البلاذري (٢٩٧ هـ) ـ التي كانت تضم أحد عشر كاتباً[٢] ـ خمسة أسماء، فضلا عن الكتّاب الذين أوردهم الطبري[٣].

وقد بيّن المسعودي بأنه لم يذكر أياً من كان «وإنما ذكرنا من أسماء كتّابه صلى الله عليه [وآله] وسلم من ثبت على كتابته، واتصلت أيامه فيها وطالت مدته، وصحت روايته على ذلك من أمره دون من كتب الكتاب أوالكتابين والثلاثة، إذ كان لا يستحق بذلك أن يسمى كاتباً ويضاف على جملة كتّابه»[٤].

ويظهر أنه كان للنبي ﷺ كتّاب كُثر ليس فقط للرسائل، بل هناك من كتّاب الوحي أو الرسائل أو الصدقات أو المعاملات أو المداينات وغيرها[٥].

---

١ ـ ظ:المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٢٤٥.
٢ ـ ظ: البلاذري، فتوح البلدان، ج٣، ص٥٨٠-٥٨٢.
٣ ـ ظ: الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٥، ص٢٤.
٤ ـ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٢٤٦.
٥ ـ ظ: م. ن، ص٢٤٥.

رابعاً ـ الجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر:

قبل أن يتناول جلكريست الروايات في جمع أبي بكر ولثقته الكبيرة بالرواية الشائعة في الجمع، يطرح تساؤلاً: «إذا كان محمد قد ترك بالفعل نصاً كاملاً ومجموعاً كما يزعم العلماء المسلمون فلماذا كانت هناك حاجة إلى جمعه بعد وفاته؟ لقد كان فعلاً من المنطقي أن لا تبدأ عملية الجمع إلا بعد أن تنتهي الرسالة بموت الرسول»[1].

فأول ما يستشهد به الرواية الشائعة في هذا الباب عندما استحر القتل في أهل اليمامة وخشي عمر بن الخطاب وأبو بكر فكلفا زيد بن ثابت بمهمة جمع القرآن، إلى آخر الرواية[*]. يقف جلكريست طويلاً عند هذه الرواية ويضعها تحت مجهره، ويستظهر منها:

١ ـ «يتضح جلياً من خلال هذه الرواية أن جمع القرآن كان أمراً لم يقم به رسول الله.

٢ ـ إن تردد زيد إزاء المهمة التي أسندت إليه كان سببه من جهة كون محمد نفسه لم يهتم بجمع القرآن ومن جهة أخرى ضخامة المشروع. هذا ما يظهر أن المهمة لم تكن بالسهلة بتاتاً»[2].

٣ ـ «لم يكن هذا تصرف شخص يعتقد أن الله وهبه ذاكرة خارقة للعادة يمكنه الإعتماد عليها كلياً في مهمته بل تصرف كاتب نبيه كان يريد جمع القرآن من جميع المصادر الممكنة»[3].

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 21.

* ـ الرواية ومصادرها ذُكرت بالتفصيل في الفصل الأول من هذا الكتاب ص٤٢.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 20.

3 - Ibid, p 24.

٤ ـ إن النص القرآني كان متناثراً في أماكن عدة لدرجة أنه وجب جمع كل ما أمكن جمعه من أجل الحصول قدر المستطاع على نص كامل نسبياً[١].

ليتساءل ضمن هذه الدائرة «إذا كان زيد يحفظ القرآن جيداً ويعرفه بأكمله عن ظهر قلب ولا يجهل أي جزء منه وإذا كان عدد من الصحابة يتوفرون كذلك على مقدرة هائلة في مجال الحفظ والإستظهار فإن عملية جمع القرآن لن تكون إلا سهلة ـ خلافا لما جاء في حديث البخاري المذكور أعلاه ـ فلم يكن على زيد إلا أن يكتب ما كان يحفظ من القرآن في ذاكرته ويطلب من الصحابة أن يضبطوا ما كتب... فمن غير المعقول أن نجده (أي زيد) يقوم بجمع القرآن بالشكل الذي فعله. فعوض أن يعتمد فقط على ذاكرته مباشرة نجده يبحث عن النصوص في مختلف المصادر (فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر في حياته ثم عند حفصة بنت عمر»[٢] وجرّاء ذلك، لم يرتض جلكريست تفسير علماء المسلمين القائل: «إن البحث الذي قام به زيد كان مقتصراً على المواد التي كُتب عليها القرآن ـ بين يدي رسول الله ـ لأن زيداً كان هو الصحابي الوحيد الذي أتيحت له الفرصة لكي يكون جنب محمد حين جاءه جبريل ورتل معه القرآن آخر مرة»[٣].

ونقل رواية عن صحيح البخاري في هذا الصدد وقال متسائلاً: «في الواقع

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 23.

2 - Ibid, p 23.

3 - Ibid, p 25.

كون القرآن عُرض مرتين في آخر المطاف كان سراً لم يبح به محمد سوى لابنته فاطمة الزهراء، قال مسروق: عن عائشة عن فاطمة عليها السلام أسرّ إليّ النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي.

فكيف أمكن أن يكون هذا سراً إذا كان زيد بن ثابت حاضراً في هذه المناسبة؟»[1]. أقول: أولاً ـ الرواية موجودة في كثير من كتب الحديث منها صحيح البخاري[2] (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ) والسنن الكبرى للنسائي[3] (٢١٥-٣٠٣ هـ) والمعجم الكبير للطبراني[4] (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ) وغيرها، ولم يذكر لسان الرواية بمختلف ألفاظها، بأن زيداً بن ثابت قد حضر هذه المناسبة (معارضة جبرئيل الأخيرة القرآن للنبي صلى الله عليه وآله)، فلا يُعرف من أين جاءت هذه الزيادة، وثانياً ـ على افتراض أن زيداً حضر تلك المناسبة مع النبي، هذا لا ينافي كونه سراً يسرّه النبي لابنته فاطمة عليها السلام.

خامساً ـ تقييم جلكريست لمصادر جمع القرآن:

لا زال جلكريست يغوص في بطن الروايات فيتصور أنه اكتشف كنوزاً ما إنَّ مفاتحه لَتنوءُ به، فيحكي عن لسان الروايات بأنها تريد القول وتريد أن تجعل من «المشروع الذي قام به أبو بكر بخصوص جمع القرآن كان هو الأهم والوحيد

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 25.

٢ ـ صحيح البخاري، ج٤، ص١٩٩١ باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي.

٣ ـ السنن الكبرى للنسائي، ج٥، ص١٤٧.

٤ ـ المعجم الكبير للطبراني، ج٢٢، ص٤١٩، باب ذكر سن فاطمة رضي الله عنها ووفاتها، رقم الحديث، ١٠٣٣.

الذي تم بعد وفاة محمد»[1] ويقول: إن علماء المسلمين حاولوا بعد ذلك أن يدعموا هذه الفكرة مدّعين أن زيداً كان الشخص الوحيد المؤهل للقيام بالمهمة و«أن النص الذي جمعه زيد والذي أصبح فيما بعد النموذج الذي اعتمد عليه المصحف العثماني ما هو إلا المنتوج النهائي لمحاولة صادقة لجمع القرآن انطلاقاً من مصادر متنوعة كان الرجوع إليها أمراً ضرورياً»[2] ليصل بكل ما أُوتي من قوة محاولاً هدم صرح هذا الإنموذج والمنتوج الاخير لجمع القرآن من قبل زيد؛ بضربةٍ واحدة في أهم مفاصل العملية وهي: المصادر التي سعى إليها زيد في مهمته، بقوله: يجب علينا الآن أن نقوم بتقييم للمصادر التي اعتُمِد عليها بإعادة النظر فيها:

١ ـ اعتمد زيد بن ثابت على صدور الرجال، وعلى ما كان متناثراً في ذاكرات الصحابة.

٢ ـ واعتمد على ما كُتِب من القرآن كيفما كانت المواد التي استعملت في ذلك (الرقاع واللخاف والعسب والعظام وأكتاف الإبل).

٣ ـ أما بخصوص الآيتين الأخيرتين من سورة التوبة إعتمد زيد بن ثابت على مصدر واحد فقط لأن لا أحد غير أبي خزيمة كان على دراية بهما[3].

واستخدام هذه المصادر برأيه «وجب أن تؤدي إلى بعض النتائج المنطقية التي لا مفر منها»[4] .فالنتيجة الحتمية المنطقية هناك احتمال ضياع أجزاء من النص لأن القرآن لم يكن مجموعاً في كتاب واحد بل كان متناثراً بشكل واسع؛

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 27.

2 - Ibid, p 27.

3 - see, Ibid, p27 – 31.

4 - see, Ibid, p 27 – 28.

لأنه مهما كانت المجهودات التي قام بها الصحابة الأوائل لحفظ القرآن بشكل كامل فإن ذاكرة الإنسان تبقى دائماً عرضة للنقصان والخطأ. إذا أخذنا بعين الإعتبار طول القرآن. فالأحاديث النبوية تبين بعضها أن محمداً كان هو نفسه عرضة لنسيان بعض أجزاء القرآن، هذا ما سيتضح حين سنقدم الدلائل المأخوذة من التراث الإسلامي القديم، فقد ورد في كتاب المصاحف «حدثنا أبو الربيع قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال: بلغنا إنه أُنزل قرآن كثير فقُتِل علماؤه يوم اليمامة الذين كانوا قد وعوه فلم يُعْلَم بعدهم ولم يُكْتَب، فلما جمع أبو بكر وعمر وعثمان القرآن ولم يوجد مع أحد بعدهم»[1] ويحلل هذه الرواية فيرى أن هذه الأجزاء من القرآن التي كان يحفظها قراء اليمامة فقدت بدون رجعة؛ بالالفاظ (لم يُعْلَم بعدهم) و(لم يُكْتَب) و(لم يوجد مع أحد بعدهم).

ومن نفس الرواية يستدل بإمكانية فقدان بعض أجزاء النص فقد جاء فيها (حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ حتى خاتمة براءة) فالآيتان هنا كان شاهداً واحداًعليها، ولو لم يكن الأمر كذلك لفقدتا وضاعتا من القرآن[2].

ولم يستسغ تفسير علماء المسلمين لهذه الرواية: أن الآيتين كانتا من ضمن القرآن إذ كان مئات الصحابة يحفظونهما، وكانتا مكتوبتين عند كل الصحابة الذين كانوا يحفظون القرآن بأجمعه لكنّ أبا خزيمة كان قد كتبها بين يدي رسول الله، و« إن قولة زيد تعني أن أبا خزيمة كان فقط الوحيد الذي أتيحت له فرصة كتابة

---

١ ـ ابن ابي داود، المصاحف، ص٢٣، باب جمع عثمان رحمة الله عليه المصاحف.

2 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 29-31.

الآيتين تحت الإشراف المباشر لمحمد، على الرغم من أن الحديث كما دَوَّنه البخاري لا يشير بتاتاً إلى شيء من هذا القبيل»[1] ويقول إنهم استنبطوا هذا التأويل المريح من ابن حجر العسقلاني، إذ قال ابن حجر: «قوله: (لم أجدها مع أحد غيره) أي مكتوبة لما تقدم من أنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة. ولا يلزم من عدم وجدانه إياها حينئذ أن لا تكون تواترت عند من لم يتلقها من النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وإنما كان زيد يطلب التثبت عمّن تلقاها بغير واسطة ولعلهم لما وجدها زيد عند أبي خزيمة تذكروها كما تذكرها زيد»[2] .

فيقول: إن هذا المصدر لا يُعد إلا تفسيراً لصحيح البخاري ألفه في زمن متأخر نسبياً العلامة المشهور بن حجر العسقلاني الذي عاش بين سنة ٧٧٣ هـ (١٣٧٢ م) وسنة ٨٥٢ هـ (١٤٥١ م).

هذا التأويل الخاص لقولة زيد يفصله إذن ما لا يقل على ثمانية قرون عن زمن محمد، وإن نص ابن حجر لا يذهب أبعد من القول بأنه من المحتمل أن يكون زيد حين أخذ الآيتين من أبي خزيمة قد أعطى الفرصة للصحابة الآخرين أن يتذكروا سماعهما من قبل وهذا هو المقصود من عبارة (العلهم)، بعدها يأتي على حد تعبيره (ليفند مزاعم هؤلاء العلماء) برواية أخرى[3]: «... فقام عثمان بن عفان رض فقال: من كان عنده من كتاب الله شيء فليأتنا به، وكان لا يقبل من ذلك شيئا حتى يشهد عليه شهيدان، فجاء خزيمة بن ثابت فقال: إني رأيتكم تركتم آيتين فلم تكتبوهما. قالوا: وما هما؟ قال: تلقيت من رسول الله صلى الله عليه [وآله]

---

1 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 32.

٢ ـ بن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٩، ص١٥.

3 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 33 – 34.

وسلم ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ إلى آخر السورة، فقال عثمان: وأنا أشهد أنهما من عند الله، فأين ترى أن تجعلهما؟ قال: أختم بهما آخر ما نزل من القرآن فختمت بها براءة»[1].

كان من ضمن ما أفاده من هذه الرواية، ومن حقه أن يفرح بنتائجه ويعدها تمثل الحقيقة؛ لأن الأحاديث التي استخرج منها، قُدمت له على طبق مقولة (أصح الكتب بعد كتاب الله) التي يُحظَر النقاش في مضامنيها، حالها حال القرآن، فبعد التحليل توصل إلى:

١ ـ إن زيداً والصحابة الآخرين افتقدوا كلياً هاتين الآيتين عند نسخ القرآن. يتضح ذلك من سؤالهم لأبي خزيمة عن موضعهما داخل المصحف فاقترح أن يضافا إلى آخر ما نزل من الوحي يعني آخر سورة التوبة.

٢ ـ أبو خزيمة بمبادرته الشخصية أثار الإنتباه حول وجودهما ولولاه لما كانتا ضمن القرآن فبالتأكيد لم يعثر عليهما زيد على إثر البحث الذي قام به لجمع القرآن.

٣ ـ عدم ثبوت الفرضية القائلة بوجود عدد كبير من الصحابة كانوا يعرفون الآيتين، وتثبت مثل هكذا فرضية، فقط في حال إذا جعلوا كلمة (تلقيت) تعني أن الطريقة التي تم بها توصيل الآيتين من محمد إلى أبي خزيمة كانت كتابية. لكن من المؤكد أن كلمة (تلقيت) عنى بها أبو خزيمة أنه أخذ الآيتين مباشرة من عند محمد وليس بالضرورة كتابياً. ما أراد قوله هو أنه لم يأخذهما من مصدر

---

١ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٦، ص٣٦٥. والمصاحف لابن أبي داود، ص١٠-١١.

ثانوي بل من محمد نفسه إذ ليس هناك ما يبرر أن الصحابي تلقاهما من محمد بشكل كتابي[1].

ليصل بعدها إلى التساؤل الأهم، على خلفية تأويل الرواية: بأن زيداً كان يعرف الآيتين ويحفظهما كما يحفظها جميع الصحابة؛ إلا إنه كان يبحث عنهما مكتوبتين فوجدهما عند أبي خزيمة «وجب هنا أن نطرح على العلماء المسلمين هذا السؤال: انطلاقاً من التأويل الذي قمتم به هل يمكننا أن نعرف ما إذا كان زيد سيضيف هاتين الآيتين إلى القرآن لو لم يجدهما مكتوبتين بين يدي محمد؟»[2].

وهنا لا بأس من وقفة مع الرواية الآنفة وفيها:

أولاً ـ تضارب في وقت الحدث فإن هذه الرواية تبين الزمن الذي جرى به الحدث في خلافة عثمان، وقبل ذلك كان نفس السيناريو عند جمع القرآن في زمن خلافة أبي بكر، ومع هذه الهشاشة، هل يجب التوفيق بين الروايتين وكيف يمكن ذلك؟ والأغرب من هذا، إن جلكريست يصرّ أن يبني نتائجه على أساس أمثال هذه الرواية، مع اعترافه باختلاف الزمنين وبدون أن يوفق بينهما، فنراه يقول: «هذه الرواية تشير إلى أن الحدث كان في زمن عثمان وليس أثناء جمع القرآن في عهد أبي بكر، لكن ليس هناك اختلاف جوهري مع الحدث الذي نحن بصدد مناقشته»[3] اقول كيف لا يوجد اختلاف جوهري، بل يوجد اختلاف واضح وتهافت بيّن للعيان، وهو أمارة على سقوط مثل هذه الروايات عن الاعتبار.

ثانياً ـ مخالفة الرواية للاجماع في قوله: (فأين ترى أن تجعلهما؟ قال: أختم

1 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 35 – 36.

2 - Ibid , p 36.

3 - Ibid, p 35.

بهما آخر ما نزل من القرآن فختمت بها براءة) والمعروف والمشهور عند جلّ علماء المسلمين إن ترتيب القرآن توقيفي وليس إجتهاد من الصحابة كما كان في ترتيب السور «وسائر الأخبار تدل على أنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك إلا بتوقيف»[1]، وكذلك ما جاء في الاتقان «الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك. أما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان وأبوجعفر بن الزبير في مناسباته»[2].

ثالثاً ـ قرأنا عند جمع القرآن في عهد أبي بكر إن ذات الآية فُقدت ووجدت عند أبي خزيمة، وكُتب المصحف على هذه الشاكلة، وانتهى المصحف أن وَضع عند حفصة فأرسل عثمان في عهده إلى حفصة أن أرسلي إلي بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت حفصة إلى عثمان بالصحف. فإذا كان ذلك واقعاً؛ فالسؤال هل فُقدت آخر سورة التوبة مرة أخرى ووجدوها عند أبي خزيمة أو جاء هو بنفسه بالآية، كيف يكون ذلك؟!

المطلب الثاني: رؤية جلكريست للمرحلة الثانية لجمع القرآن:

أولاً ـ جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان:

تحدّث المستشرق جون عن هذه المرحلة تحت العنوان الكلاسيكي: (جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان) مبتدأ ومستفهماً بالسؤال: هل كان لمصحف أبي بكر طابع رسمي؟ ماذا كانت منزلة المصحف الذي جمع من قبل زيد بأمر من أبي بكر؟ هل كان مصحفاً خاصاً بالخليفة أم كان الغرض جعله مصحفاً رسمياً للأمة

---

١ ـ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٩، ص١٥.

٢ ـ السيوطي، الاتقان، ج١، ص٢١١، النوع الثامن عشر.

الإسلامية؟ لماذا تم إخفاء هذا المصحف مباشرة بعد جمعه؟ فبعد وفاة عمر انتقل هذا المصحف إلى ابنته حفصة التي كانت تعيش في عزلة شبه تامة منذ وفاة محمد، وهذا ما يبين بوضوح أنه لم تكن هنالك أية رغبة في نشره بين الجمهور. مع أن عملية جمع القرآن التي تمت في عهد أبي بكر أول خلفاء الإسلام كانت لها منزلة خاصة؛ لأن جامعه زيد بن ثابت كانت له مكانة خاصة بين الصحابة الذين اهتموا بالقرآن.

فهذا المصحف لم يُعط له في أي وقت من الأوقات أي طابع رسمي بالرغم من قيمته العالية والقداسة التي لحقته من رعاية أبي بكر وعمر خلال مدتي خلافتهما[1].

ولذلك حاول أن يمايز بينه وبين المصاحف الأخرى فيصور لنا أن هذا المصحف أصدق وذاك أتم وآخر أفضل وهكذا. سائراً على هذه التساؤلات والمقدمات، بُغية الوصول إلى أن هذا المصحف، لم يكن ذا تمامية حقيقية، إذ لو كان أبو بكر وعمر يعلمان علم اليقين أن المصحف كان مكتملاً لتمّ فرضه على مجموع المسلمين في الحين. لأنه في واقع الأمر لم يكن مصحف زيد إلا واحداً من مصاحف عديدة تم جمعها في نفس المدة تقريباً وكانت لها نفس المصداقية، فهناك مصاحف أخرى كانت تنافسه المصداقية والموثوقية. فبالرغم من طابع الأهمية الذي أعطي له لم يكن يعد أكثر نفوذاً بالمقارنة مع باقي المصاحف التي جُمِعت آنذاك ولهذا السبب بالذات لم يكن من الممكن فرضه كمصحف رسمي وموحد على مجموع الأمة الإسلامية.

---

1 - See, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 39 – 40.

وقريب من هذا الكلام، ينظر: بلاشير، المدخل إلى القرآن، ص ٣٣-٣٤ باختصار، نقلاً عن: د.عبدالصبور شاهين، تاريخ القرآن، ص ١٠٨.

في الوقت الذي كان فيه زيد يجمع القرآن كان يدري جيداً أن مصحفه قد لا ينظر إليه كنص مكتمل لأن بعض الفقرات قد فقدت منه وآيتين على الأقل لم يكن يعرفهما إلى أن ذكَّره بهما أبو خزيمة[1].

ثانياً ـ مناقشة كلام المستشرق جلكريست:

ولمناقشة ما تقدم يمكن القول: إنّ هذه تأويلات وفرضيات مجانية لم يقدّم لها دليل، في المقابل لطالما كان يطالب جلكريست علماء المسلمين بدعم أقوالهم بالأدلة ولا يقبل أي تفسير بدون حجة، فلماذا (باؤه) تجر و(باء) غيره لا تجر؟ فمن أين يدري أن أبا بكر وعمر يعلمان علم اليقين أنّ المصحف لم يكن مكتملاً، ولا يوجد في الروايات ما يشير إلى أن زيداً كان يدري أن مصحفه قد لا ينظر إليه كنص مكتمل، أما بالنسبة لفقد الآيتين، فها قد وجدها زيد عند أبي خزيمة، ولو فرضنا ـ وفرض المحال ليس بمحال ـ أن القرآن غير مكتمل، فلا توجد إشارة من أي رواية أنهم جعلوا هذا الشيء سبباً لعدم نشر المصحف بين الجمهور.

ويفترض جلكريست أيضاً: «من جهة أخرى إذا افترضنا أن زيداً كان مقتنعاً بأن مصحفه لم يكن أحسن من المصاحف التي قام عبد الله بن مسعود وصحابة آخرون بجمعها أمكننا أن نفهم لماذا تم إخفاء هذا المصحف»[2] وهذا مجرد افتراض لا قيمة علمية له.

ربما على نحو الأطروحة قد يكون السبب في عدم جعله مصحفاً رسمياً ـ مع التحفظ على هذا التسمية ـ ؛ لأن مشكلة الأحرف السبعة لم تظهر بعدُ ولم تتفاقم

1 - See, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 40 – 41.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 41.

إلا في خلافة الخليفة الثاني عمر، وقد أشار الشيخ الكوراني لهذا المعنى: بعدما انتشر التفاوت في قراءاتهم، ثم تحول التفاوت إلى اختلاف بين القراء في هذه الكلمة وتلك، وهذه الآية وتلك، هنا كان لابد أن يتدخل الخليفة عمر لحل المشكلة[1]، قال السيوطي في الإتقان في علوم القرآن «قال الطحاوي: وإنما كان ذلك رخصة (أي القراءة بسبعة أحرف) لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسرالكتابة والحفظ. وكذا قال ابن عبد البر والباقلاني وآخرون»[2].

لكن ما هو دليل الباقلاني وابن عبد البر والطحاوي على أن السبعة أحرف كانت فقط لظرف خاص ثم نسخت؟! فإن كانت حديثاً نبوياً صحيحاً وتوسعة من الله ورسوله على المسلمين في النص القرآني.. فما هو الحديث الذي نسخها؟![3].

على أية حال استند بذلك الخليفة الثاني إلى حديث وحينها لم يقل هذا الحديث أحدٌ غيره، مفاده بأن في القرآن سعة فالنظرية إذن ولدت على يد الخليفة عمر عندما واجه مشكلة القراءات، وبدأ توظيف الأحرف السبعة لحل مشكلة الألفاظ وتفاوت القراءات والحديث[4] «عن المسور بن مخرمة أن عمر بن الخطاب قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فقرأ فيها حروفاً لم يكن نبي الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أقرأنيها قلت من أقرأك هذه السورة قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قلت كذبت ما كذلك أقرأك رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فأخذت بيده أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فقلت يا رسول

---

١ ـ ظ: الكوراني، تدوين القرآن، ص١٨٢-١٨٣.
٢ ـ السيوطي، الاتقان، ج١، ص١٦٨.
٣ ـ ظ: الكوراني، تدوين القرآن، ص١٨٢-١٨٣.
٤ ـ ظ: م . ن: ص١٨٢.

الله إنك أقرأتني سورة الفرقان وإني سمعت هذا يقرأ فيها حروفاً لم تكن أقرأتنيها فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم اقرأ يا هشام فقرأ كما كان قرأ فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم هكذا أنزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأت فقال هكذا أنزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم إن القرآن أنزل على سبعة أحرف»[1].

ولقد أورد الشيخ الكوراني في كتابه (تدوين القرآن) جميع روايات الأحرف السبع ولاحظ عليها عدة ملاحظات، ما يهم المطلب منها: «الظاهر أن أصل جميع أحاديث النظرية رواية واحدة أو اثنتان رواهما الخليفة عمر، وإن اعتبرها بعضهم أحاديث عديدة وصل فيها إلى حد التواتر.. ويكفي تدليلاً على ذلك أن حديث ابن كعب تكملة لحديث عمر أو هو نفسه.. وأن أكثر الصحابة رووه عن عمر»[2]. وسيأتي الحديث لاحقاً عن الأحرف السبعة فيما يتعرض له جلكريست هناك وكيف زحزحها إلى القراءات السبع وبالتالي بعدها إلى جمع القرآن.

ولم يقبل جلكريست فكرة أن مصحف أبي بكر لم يكن في حاجة لكي يفرض على جمهور المسلمين بعد جمعه لكون بعض الأشخاص كانوا لا يزالون يحفظونه في ذاكراتهم، أو أن المصحف أُحتفظ به كل هذه السنين لكي يتم استعماله في المستقبل حين سيكون كل القراء من صحابة محمد قد توفوا؛ لأنه لا يجد في الروايات مايشير إلى ذلك. وكانت هناك المصاحف الأخرى كانت معروفة ومقبولة لدى المسلمين ربما أكثر من مصحف زيد الذي كان آنذاك بحوزة حفصة[3].

---

١ ـ سنن النسائي، ج١، ص٣٢٤. ولمراجعة روايات السبعة احرف جمعها النسائي في مكان واحد، بينما وزعها البخاري في بضعة امكنة من اجزاء كتابه.

٢ ـ الكوراني، تدوين القرآن، ص١٨٧.

3 - See, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 40 – 43.

يُلاحَظ إن كلمة (ربما) التي أطلق عنانها لو كانت من أحد علماء المسلمين؛ لقال عنها: تأويل بلا دليل، أو تأويل مريح كما ردد هذه الكلمات في كتابه!! فلماذا يجب على القارئ أن يقبل إحتمالية أن المصاحف الاخرى مقبولة أكثر من مصحف زيد، ولا يقبل احتمالية إنتفاء حاجة أن يفرض القرآن على جمهور المسلمين بعد جمعه لكون بعض الأشخاص كانوا ما يزالون يحفظونه في ذاكراتهم، وكانت أنفاس الوحي لا زالت طرية.

ولو فُرض أنه لا يوجد في الروايات مايشير إلى المدعى، لكنه أمر معقول، إذا ما لوحظ كثرة القراء وحفظة القرآن؛ ولأن تلك الامصار مثل العراق والشام، كانت بعيدة عن مركز الوحي ومهبط القرآن، وانتشار الكتابة والحفظ تكون أقل بطبيعة الحال مما عليه في مكة والمدينة، فكان من السهل قبول المصحف الذي يأتيهم، سيّما لوكان من صحابي كابن مسعود وأُبي بن كعب.

مضافاً إلى ذلك عندما أرسل الخليفة عثمان إلى مصحف زيد، فلماذا لايُعد هذا دليل على رسمية هذا المصحف وإلا ما الذي يمنعه من أن يرسل إلى غيره من المصاحف وكان بمقدوره ذلك، إذ إن هذا المصحف كُتب أمام مرأى ومسمع كبار الصحابة وفي مركز ومكان مهبط الوحي بلهجة قريش كما أُنزل، بعيداً عن لهجات القبائل واختلاطها ببعض، فباتت هي اللغة العربية المشتركة.

وقد أشار الدكتور حاتم الضامن: إلى أن لغة قريش بمثابة اللغة المشتركة التي انتظمت جميع أنحاء شبه الجزيرة وتمثل لغة موحدة منسجمة لا تكاد تتضمن شيئاً عن لهجات العرب، بل هي مزيج من كل هذا، تكونت له شخصيته وكيانه وأصبح مستقلاً عن اللهجات، فأصبحت هي الفصحى المقصودة عند الإطلاق[1].

---

١ ـ ظ: الضامن، د حاتم، فقه اللغة، ص٤٢-٤٤.

ثالثاً ـ إحراق عثمان للمصاحف:

عنوان آخر يستقله جلكريست مع مقدمات وتساؤلات ليصل بعدها إلى تآويل يعدها هو، حقائق مسلّمة لا تقبل النقاش، ولا يأبه لتأويلات وآراء الطرف المقابل ودائماً يصفها بتعبيره (هذا تأويل مريح بلا دليل مبني على رغبة مسبقة)!!

فيبدأ بالإشارة إلى أن القرآن ما زال بتغير وتبدل ويعبّر عنه بالتطور فـ«بعد تسع عشرة سنة من وفاة محمد تقلد عثمان كرسي الخلافة بعد أبي بكر وعمر فكان لهذا الحدث أهمية بالغة بالنسبة لتطور النص القرآني. كان حذيفة بن اليمان يقود غزوة شمال بلاد الشام وكان جزء من جيشه متكَوِّناً من أهل الشام وجزء آخر من أهل العراق. فلم يمر وقت طويل حتى اختلف الفريقان حول طريقة قراءة القرآن»[1]، أقلق هذا الأمر حذيفة فتشاور بشأنه مع سعيد بن العاص وأبلغ على إثر ذلك الخليفة عثمان، «فقال لعثمان بن عفان: يا أميرالمؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلي بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت حفصة إلى عثمان بالصحف، فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن الزبير أن انسخوا الصحف في المصاحف، وقال للرهط القرشيين الثلاثة: ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، بعث عثمان إلى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوا، وأمر بسوى ذلك في صحيفة أو مصحف أن يحرق»[2].

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 42.

٢ ـ صحيح البخاري، ج٤، ص١٩٠٨.

فينقّب جلكريست في الحديث ويحلل ويتساءل: ففي الحديث ما يشير لوجود مصاحف غير مصحف زيد بن ثابت، كذلك إلى أن هذه المصاحف كانت معروفة ومقبولة لدى المسلمين ربما أكثر من مصحف زيد. كانت بعض النصوص مجرد مقاطع من القرآن في حين كانت نصوص أخرى موجودة على شكل مصاحف قرآنية كاملة. تنص هذه الرواية بوضوح على أن السبب الذي دفع عثمان إلى اتخاذ قراره هو رغبته في فرض إجماع حول نص قرآني واحد. لم يكن قرار إحراق المصاحف الأخرى كونها غير جديرة بالثقة بل كان الدافع هو الرغبة في تجنب الشقاق بين المسلمين حول القرآن.

إذن ما الذي دفع عثمان إلى تعميم مصحف زيد في جميع الأمصار وإحراق باقي المصاحف؟ هل السبب هو كون هذه المصاحف كانت تتضمن أخطاء بخلاف مصحف زيد الذي كان نصاً كاملاً لا غبار عليه؟ ليس في الروايات القديمة ما يوحي بهذا، فعلماء المسلمين متفقون على أن الغرض من إحراق أخرى موجودة على شكل مصاحف قرآنية كاملة والاحتفاظ بمصحف زيد كان الغرض منه تجنب الإختلاف في قراءة القرآن، لكن ما الدافع لاختيار مصحف زيد ليكون هو المصحف الرسمي على حساب المصاحف الأخرى التي كانت تكتسي يوماً بعد يوم مكانة كبيرة في الأمصار؟ على خلاف المصاحف الأخرى التي كانت تكتسب شهرة كبيرة وإقبالاً بالغاً في مختلف الأمصار كان مصحف زيد غير معروف لدى المسلمين في هذه المناطق ولهذا السبب لم يكن ليعد مصحفاً منافساً[1].

فيصل من خلال ما تقدم إلى نتيجة ، من الواضح أنها مُعدّة مسبقاً ؛ لأنها لا تمتّ إلى الروايات بصلة ولا إلى استدلال عقلي رصين، إنما هي رجمٌ بالغيب،

1 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 43 – 45.

وهي: «لقد كانت الغاية الحقيقية من فرض مصحف زيد هو القضاء على السلطة السياسية التي كان يتمتع بها بعض قراء القرآن في الأمصار التي كان عثمان يفتقد فيها شيئاً من مصداقيته بسبب السياسة التي كان ينهجها حيث أنّه كان يعين كعمال أقربائه من بني أمية أعداء محمد على حساب الصحابة الذين ظلوا أوفياء لمحمد طيلة حياتهم. يمكننا أن نستنتج مما سبق أن مصحف زيد لم يتم اختياره لأنه كان يتميز على المصاحف الأخرى من حيث الكمال ولكن لأنه كان يخدم الأهداف السياسية التي كان يبتغيها عثمان من توحيد نص القرآن»[1].

هنا صوّر الحال وكأنها صفقة ولعبة سياسية بحتة، وأداتها القرآن الكريم، وهذه الدعوى كالزبد الذي يذهب جُفاء بعد برهة؛ لأنها بلا دليل، ومن اللائق ترديد نفس عبارته التي يصوبها دائماً تجاه علماء المسلمين: (لا يوجد في الروايات ما يشير إلى ذلك، أو: ليس في الروايات القديمة ما يوحي بهذا) ولا أحد يدري من أين جاءت هذه السلطة السياسية التي ينسبها لقراء القرآن؟ في الوقت ذاته ، لا أحد ينكر المكانة الرفيعة والوجاهة المعروفة لهم، لكن لم تصل إلى حدّ ما أسماه بالسلطة السياسية.

مدعياً بأنه «لو كان محمد نفسه هو الذي رخَّص وأشرف على عملية جمع القرآن لصح نعت المصحف بالرسمي. لكن في الحال التي تهمنا جاء المصحف كنتيجة لمبادرة من الخليفة أبي بكر، حيث حاول بإخلاص أن يجمع نصاً أقرب ما يكون للكمال على قدر مستطاعه تاركاً لنفسه حرية اختيار ما وجب إدخاله وما وجب إسقاطه»[2].

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 45 – 46.

2 - Ibid , p 46.

وهنا لا يخفى على المتتبع، محاولة جلكريست بكل ما أوتي من قوة، من خلال هذه التسمية (المصحف الرسمي) وإن ما يسميه مصحف زيد أو مصحف أبي بكر لم يُعطِ له الإطار الرسمي، يريد أن يؤدي بنا القول إلى أن القرآن بقي تسعة عشر عاماً لحين خلافة عثمان بن عفان، لم يُجمع جمعاً تاماً صحيحاً، وبقي في تبدل وتغير، وإمكانية أن يدخل فيه ما ليس منه، ويسقط ما يسقط منه.

أمّا مسألة إشراف النبي صلى الله عليه وآله على جمع القرآن، فخير ما يُستدل به على إشرافه صلى الله عليه وآله بنفسه على ذلك ما جاء في المستدرك «عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم نؤلف القرآن من الرقاع، [وقال الحاكم (٣٢١ ـ ٤٠٥هـ) عن الحديث] هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وفيه البيان الواضح: أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد جمع بعضه بحضرة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم»[1].

ولا دليل على ادعاء الزركشي أو [الحاكم النيسابوري] القائل: بأن بعض القرآن جُمع بحضرة النبي صلى الله عليه وآله فلِمَ لا يكون كل القرآن جُمع في حضرة النبي صلى الله عليه وآله ودلالة التأليف، تعني الجمع والتدوين، وضم شيء إلى شيء، ليصح أن يطلق عليه إسم التأليف[2].

«وهذه الرواية كما هو واضح من نصّها تدلّ على عمليّتين كانتا تحصلان في ما يتعلَّق بالقرآن، هما: الكتابة على رقاعٍ متفرَّقة، ثمَّ جمع تلك الرِّقاع.

وعلى ضوء هذه الرواية وما شابهها يصعب تصديق أنّ الدَّافع نحو تدوين القرآن هو الخوف عليه من الضيَاع بعد أن استحرّ القتل بالقرّاء في معركة

---

١ ـ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين بتعليق الذهبي، ج٢، ص٢٤٩.
٢ ـ ظ: الصغير، الدكتور محمد حسين علي: تَارِيخ القُرآنِ، ص٧٢.

اليمامة»[1].

بالتالي يُعد كلام جلكريست هذا، مصادرة على المطلوب، إذ أنّه أسّس مقدمة خاطئة على نحو الموجبة الكلية الشرطية، وراح يستثمر منها النتائج وحتماً ستكون خاطئة، وقد تكون المقدمة: كل من يفرض مصحفه على المسلمين يكون هو المصحف الرسمي. أو كل من يحرق المصاحف ويبقي مصحفاً واحد، يكون هو ذاك المصحف الرسمي. أما عدا هذين التصرفين سوف لا تكون هناك رسمية وشرعية لأي مصحف. وهكذا بهذا السبيل، سبيل الوهم والخلط بين الأوراق تكون المصادرة.

وعلى هذا الكلام، لو أن عبدالله بن مسعود فَرَضَ مصحفه؛ لكان هو المصحف الرسمي، ومثله أُبي بن كعب، ومثله أصحاب المصاحف الأخرى؛ ولو أن أبا بكر الخليفة الأول أحرق المصاحف وأبقى مصحفاً واحداً لتجلّت رسمية القرآن الذي جمعه، ووضحت أكثر مما كانت عليه آنئذ، لذا نتج عنده على وفق هذه المقدمة «إنَّ كون هذا المصحف أُخْفِي مباشرة بعد جمعه وبقي قابعاً في الظل لمدة معينة ولم يتم إشهاره لدليل كافٍ على أنه لم يكن ليعتبر نصاً رسمياً»[2].

وهذه مصادرة أيضاً، من قال إنه (أخفي وبقي قابعاً في الظل) الروايات بقيت ساكتة، لم تصرح بأنه المصحف الإمام، وبنفس الوقت، لم تقل إنه (أخفي بمعنى الخفاء، وما تحمله هذه الكلمة من معنى) وهل معنى بقائه عند الخليفة الأول ثم انتقاله رسمياً إلى الثاني، إنه كان مخفياً، وهنا سؤال يُطرح: عندما كانت هناك

---

١ ـ معارف، د مجيد، مسألة جمع القرآن رؤية استشراقية وحقائق موضوعية، بحث منشور ـ مجلة المنهاج، العدد: ٥٥ خريف ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص٢٨٤.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 45.

مشكلة تواجه الخليفة الاول والثاني أو قضية مهمة تخص الناس، أو مثلاً في القضاء، ولا يمكن حلها إلا من خلال القرآن.

السؤال: إلى أيّ مصحف كانا يرجعان ويحتكمان؟ وطوال فترة حكميهما ألم يحتاجوا إلى استخراج الأحكام الشرعية للناس، من أي مصحف كان استنباط الحكم الشرعي؟ جواب الروايات والأحاديث، لا ينطق بشيء، لكن القرينة الحالية وطبيعة الأشياء تحكي: أنهم سيرجعون حتماً إلى هذا المصحف ـ مصحف زيد ـ الذي عبّر عنه جلكريست (قابعاً).

وهذا الحكم المستخرج من ذات المصحف، وقول القرآن الفصل، الذي يفصل الليل عن بلج الضحى، والذي حُلت به المشكلة والدعوة القضائية، والاحكام الشرعية، هذه كلها كانت لعامة الناس والمسلمين وليس استعمالاً شخصياً للخليفتين فحسب، وعندما كانت تُستخرج، على الأقل أمام كبار الصحابة، مع ملاحظة طول المدة تسعة عشر عاماً، والحاجة المستمرة للقرآن في كل صغيرة وكبيرة، إذ هو دستور الدولة آنذاك، فبالتالي تلك الأحكام القرآنية التي استفاد منها عموم المسلمين، وبالتأكيد كان المسلمون يعرفون أنها استخرجت من ذلك المصحف، فأي رسمية تكون أكثر من هذه الرسمية؟

وهناك مسألة أخرى يجب أن تُحسب، وهي: نوعية الأشخاص لا كثرتهم وكميتهم، فإن مجرد إعتراف الخليفة الأول والثاني أبي بكر وعمر، بل جُمع مصحف زيد على أيديهما، وأبو بكر، لا أقل هو الخليفة الأول وصحابي معروف وثاني اثنين إذ هما في الغار، وعلى رأس هرم السلطة، ويمثل شريحة واسعة من المسلمين آنذاك، وإذا أضفنا إليه اعتراف الخليفة الثاني عمر بنفس التمثيل للمسلمين وتسنّمه دفة الحكم، وبإضافة اعتراف الخليفة الثالث عندما أرسل وجاء

بالمصحف من عند أم المؤمنين حفصة لينسخ منه المصحف الإمام. اعتراف ثلاثة خلفاء تعاقبوا، يمثلون رأس السطلة والشرعية آنذاك، ألا يكفي ذلك لإضفاء الرسمية ونعته بالمصحف الرسمي؟

رابعاً ـ قرار إحراق المصاحف وتداعياته:

يعدُّ جلكريست قرار الإحراق حينها، هو القرار المنطقي والأمثل؛ لوجود اختلافات في النصوص القرآنية المكتوبة، لا كما يعتقد المسلمون بالاختلاف اللفظي فقط، فيَعدُّ «ما قام به عثمان كان فعلاً جذرياً وهذا هو أقل ما يمكن قوله في هذا الصدد حيث إنه لم ينج من قرار الإحراق أي مصحف من تلك التي كانت متداولة آنذاك. لا مفر إذن من الإعتراف بأن هذا الخليفة لم يكن يملك بديلاً غير هذا نظراً لكون الفروق كانت شاسعةً بخصوص طريقة قراءة القرآن ...»[1]، وقال في موضع آخر: «لا يمكن للإنسان أن يعتقد أن النص العثماني الذي ظل في الخفاء لمدة معينة أصبح النص المثالي في عشية وضحاها وأنه كلما ظهر اختلاف بينه وباقي المصاحف وجب نعت هذه الأخيرة بالخطأ. إن الإختباء تحت هذا القناع من أجل إخراج مصحف عثمان من إشكالية الإختلافات القرائية لا يمكن قبوله إذا اعتُبِرت المسألة بقدر كافٍ من الموضوعية ... يَعي العلماء المسلمون المعاصرون، الذين يزعمون بكل جرأة أن نص القرآن الذي بين أيدينا يتميز بكمال مطلق، يعون كل الوعي أن وجود قراءات مختلفة للنصوص الأولى للقرآن لا محالة ستجعل مزاعمهم مجرد هراء لذلك نجدهم يقولون إن الإختلافات لم تكن في النصوص نفسها وإنما في طريقة التلفظ بها فقط»[2] ويرفض رفضاً جازماً، آراء

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 46.

2 - Ibid , p 46 - 48.

المسلمين القاضية: بأن ما أراد الخليفة عثمان فعله، هو فقط توحيد المسلمين على قراءة معينة لنص القرآن مع التأكيد على أن هذه القراءة يجب بالضرورة أن تبقى مطابقة للهجة قريش التي نزل بها القرآن. وما كان يشغل بال الخليفة هو اختلاف أهل الشام مع أهل العراق في طريقة تلاوة القرآن، بذلك يزعم المسلمون هنا، هو إن كانت هنالك اختلافات بين القراءات فإن مرجعها هو فقط طريقة تلفظ أو ترتيل النص القرآني. هذا النوع من الإستدلال يستند كلياً إلى مقدمات فاسدة لأن التلاوة والتلفظ والترتيل ليست لها علاقة سوى بالنص المنطوق ولا يمكن للإختلافات بخصوصها أن تظهر في النصوص المكتوبة لكن عثمان أمر بإتلاف نصوص مكتوبة فلماذا إذن قام عثمان بحرقها؟ هناك جواب منطقي واحد لهذا السؤال ألا وهو: إن الإختلافات كانت في النصوص ذاتها وليس فقط في طريقة نطقها[1].

بعدها صار جلكريست ينعى تلك المصاحف المحروقة، في نبرةٍ وكلامٍ له حلاوة وعليه طلاوة، ويتألم لأجلها مدافعاً عنها باستماتة وشجون، ويؤلب مشاعر المسلمين على الخليفة الذي حرق أعز شيء لديهم، قائلاً: «يجب على المسلمين أن يفكروا ويتمعنوا بجدية فيما قام به عثمان بن عفان. لقد كان القرآن يعد وما زال يعد كلام الله المنزل على رسوله محمد أما المصاحف فقد كتبت من طرف صحابة محمد المقربون.

ما القيمة التي كانت ستعطى للمصاحف التي أحرقت بأمر من عثمان لو بقيت حتى يومنا هذا؟ حاول الصحابة الذين كانوا يعتبرون بشهادة الأحاديث الصحيحة، من ذوي الدراية العالية بالقرآن (عبد الله بن مسعود، أبي بن كعب..) أن

1 – see: Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 48.

يكتبوا المصاحف هذه بأيديهم وبذلوا في ذلك كل جهدهم لكي تكون أقرب ما يمكن إلى الكمال. هذه هي المصاحف التي أمر عثمان إحراقها، مصاحف جمعها صحابة أجلّاء لا غبار عليهم. فإذا لم تكن فيما بينها اختلافات عميقة فلماذا قرر عثمان إحراق ما كان عزيزاً على كل المسلمين يعدونه كلام الله المنزل على رسوله؟ ... ماذا سيعتقد المسلمون لو قام أحد في عصرنا هذا بإحراق مصاحف عزيزة على قلوبهم؟ إنه لمن المشوق معرفة ما سيكون... لو قام أحد في عصرنا الحاضر بإحراق أجزاء من القرآن تحت نفس الذريعة... أو لو قرر أحدهم تصوير شريط حول ما قام به عثمان.

قرار إحراق مصاحف قرآنية كالذي اتخذه عثمان لا يمكن تفسيره بهذا الإستخفاف لذلك وجب على الباحثين المسلمين أن يُقَيِّموا بجدية هذه المسألة»[1]. وفي موضع آخر يقول: «قد يكون المشروع العثماني قد نجح فعلاً في توحيد المسلمين على نص قرآني واحد، لكنه في نفس الوقت كان السبب في ضياع كنز من المصاحف كانت شائعة ومقبولة لدى فئة عريضة من المسلمين وكانت لها نفس مصداقية مصحف زيد بن ثابت»[2].

بهذه الدموع الساخرة جاهد جلكريست جهاداً؛ كي يستميل مشاعر وعواطف المسلمين، لا لشيء؛ إلا ليأخذهم إلى نتيجة واحدة ليصدقوا ويؤمنوا بها وهي: إن هذا المصحف الذي أبقاه عثمان لا يمثل نسخة طبق الأصل لما جاء به محمد؛ لأن هناك مصاحف أخرى كانت تنافسه المصداقية والموثوقية. الترتيب الذي جاء عليه النص القرآني لم يكن أمراً إلهياً؛ لأن زيداً كان هو المسؤول عنه إذ

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 48 – 50.

2 - Ibid , p 58.

تُرِكت له حرية القيام بذلك وكذلك عملية الجمع، أمر بها عثمان وليس محمد وكان هذا مرتين تم على إثر المحاولة الثانية حرق كل المصاحف التي كانت تختلف مع مصحف زيد بالرغم من كونها جُمِعت من طرف صحابة لا مجال للشك في مصداقيتهم ودرايتهم بمجال القرآن[1].

المبحث الثاني
تعدّد المصاحف

المطلب الأول: إشكالية اختلاف المصاحف:

أولاً ـ تحرير محل الإشكال:

في ما تقدم عوّل جلكريست كثيراً على اختلاف المصاحف واختلاف القراءات، وعلى أساسها بدأ يصوّر لنا أنّ هذا المصحف أصدق من ذاك، ومصحف فلان أتم من مصحف فلان وهكذا، وهذا يُنْبِئ عن وجود مقدمة خاطئة مفادها: كلما اختلف مصحفان، يجب أن يكون أحدهما أصدق وأتم من الثاني، أو كل اختلاف في المصاحف يوجب اختلاف في المصداقية. وهذه المقدمة هي نتيجة لمقدمة سبقتها مفادها ـ وهي مفَسِّرة للقول السابق ـ: إن كل ما موجود في هذه المصاحف، من أول حرف فيها إلى آخرها هو قرآنٌ موحى من الله سبحانه على نبيه، ولمختلف جميع مصاحف الصحابة مهما بلغت عن آخرها. بالتالي على وفق هذا الكلام حتماً سيكون هناك تناسب طردي بين اختلاف المصاحف وبين

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 55.

تفاوت مصداقية تلك المصاحف وتماميتها فينتج عن هذه المقدمات: إن «المصحف الذي هو معروف حالياً عند جميع المسلمين ليس مصحف محمد بل هو مصحف زيد بن ثابت الذي فُرض بقوة على حساب المصاحف الأخرى التي لم تكن تنقصه مشروعية وموثوقية. هذه المصاحف تمت تنحيتها بإحراقها»[1]

ثانياً ـ بيان وحل الإشكالية:

ويتم نقاش كل ما تقدم من خلال نقطتين:

١ ـ في الحقيقة هذه مصادرة على المطلوب، فقد قيل فيما قيل (ثبّت العرش ثم انقش) أي يجب أولاً إثبات أن الزيادات والاضافات والتوضيحات والتفسيرات وأسباب النزول المدرجة والموجودة في تلك المصاحف، هي قرآن مُنزل، موحى من الله سبحانه على نبيه، بالتالي إذا كانت قرآناً، يجب توافر شرط تواترها عن الرسول الكريم، ثم بعد ذلك يأتي ثانياً النقاش، فيمن هو الأصدق والأتم والموثوق ومن هو غير ذلك. وهذا الشرط ـ شرط التواتر ـ لم يحصل.

٢ ـ ولبيان إشكالية الاختلاف والإضافات التي لحقت بها، يجب توضيح بعض المصطلحات:

ـ الإقراء:

معنى الإقراء على عهد الرسول صلى الله عليه وآله إلى سنوات من بعده تعليم تلاوة اللفظ مع تعليم معناه والمقرئ من يعلّم تلاوة لفظ القرآن مع تعليم معنى اللفظ... وأصبح بعد انتشار تعلّم القرآن يُستعمل الإقراء في أحد المعنيين، وهو تعليم معنى

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 77.

الآيات التي تحتاج إلى تفسير[١]، ومن تلك الموارد ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عبّاس أنّه قال: «كنت أُقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بِمِنى وهو عند عمر بن الخطّاب في آخر حجّة حجّها ...»[٢] ولم يكن كبراء المهاجرين أمثال عبدالرحمن بن عوف أطفال كتاتيب ليقرئهم ابن عبّاس تلاوة ألفاظ القرآن، وإنّما كان يعلّمهم تفسير القرآن[٣].

وعلى هذا فينبغي الالتفات إلى أنّه حينما تذكر الروايات أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقرأ الآية كذا، فالمراد قراءة ألفاظها مع تفسير معانيها التي كان النبيّ صلى الله عليه وآله يتلقّاها من الوحي[٤].

وقد يكون حصل هذا بالفعل مع الرواية التي تشبث بها جلكريست وغيرها من الروايات لإثبات فقدان نصوص قرآنية بحسب المدعى[٥] «عن أبي موسى الأشعري أنه قال: كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها، غير أني قد حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا ما لاتفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم، فتسألون عنها يوم القيامة»[٦] ويلاحظ كلمة (نشبهها) في الرواية، أي إنها تشبه السورة وليست بسورة قرآنية منزلة عن

---

١ ـ ظ: العسكري، السيد مرتضى، القرآن وروايات المدرستين، ج١، ص٢٩٠.

٢ ـ صحيح البخاري، ج٦، ص٢٥٠٣، رقم الحديث، ٦٤٤٢، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.

٣ ـ ظ: العسكري، السيد مرتضى، القرآن وروايات المدرستين، ج١، ص٢٩١.

٤ ـ الحيدري، سيد كمال، صيانة القرآن من التحريف، ص٦٢.

5 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 81.

٦ ـ البيهقي، دلائل النبوة، ج٧، ١٥٦.

الرسول الكريم، فقد يكون ليس المراد منها السورة القرآنية، بل إننا في مقام تعليم السورة كنّا نقرؤها هكذا؛ لأنّ التعليم والتفسير لهما أثر مباشر في فهم الآية.

وكذلك رواية ما تسمى آية الرجم قال عنها أبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ) «وإسناد الحديث صحيح إلا أنه ليس حكمه حكم القرآن الذي نقله الجماعة عن الجماعة ولكنه سنة ثابتة وقد يقول الإنسان كنت أقرأ كذا لغير القرآن والدليل على هذا أنه قال ولولا أني أكره أن يقال زاد عمر في القرآن لزدتها»[1].

ـ التأويل:

قال السيّد الخوئي: «التأويل في اللغة مصدر مزيد فيه، وأصله (الأوْل) بمعنى الرجوع، ومنه قولهم: (أوَّلَ الحُكمَ إلى أهله) أي ردّه إليهم.

وقد يستعمل التأويل ويُراد منه العاقبة ومـا يؤول إليه الأمـر، وعلى ذلك جـرت الآيات الكريمة ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ (يوسف٦)، ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٨٢)، وغير ذلك من موارد استعمال هذا اللفظ في القرآن الكريم. وعلى ذلك فالمراد بتأويل القرآن ما يرجع إليه الكلام وما هو عاقبته، سواء أكان ذلك ظاهراً يفهمه العارف باللغة العربية، أم كان خفيّاً لايعرفه إلا الراسخون في العلم»[2].

ـ التنزيل:

هو الآخر مصدر مزيد فيه، وأصله النزول، وقد يُستعمل ويُراد به ما نزل،

---

١ ـ النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، الناسخ والمنسوخ، تح، د. محمد عبدالسلام محمد، ص٦١.

٢ ـ السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٢٤.

ومن هذا القبيل إطلاقه على القرآن في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الواقعة: ٧٧-٨٠)، على ماذُكر ليس كلّ ما نزل من الله وحياً يلزم أن يكون من القرآن[١]. على هذا فإنّ ما ورد في بعض الروايات من التعبير (هكذا تنزيلها) في بعض الآيات، المراد منه أنّه نزل من عند الله على النبيّ صلى الله عليه وآله سواء كان آية أو بياناً لآية؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ (القيامة: ١٨-١٩)، ـ فبيان القرآن على أحد الاحتمالات شرحه وتفسيره، وهو على الله تعالى.

كما أنّه يستفاد من إطلاق قوله تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ أنّه نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله تفسير الآيات وتبيينها، كما نزل عليه القرآن[٢].

فقد ورد «كان جبرئيل ينزل على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بالسنةّ كما ينزل عليه بالقرآن»[٣].

الذي يُستفاد من الروايات في هذا المقام أن مصاحف الصحابة ومصحف علي عليه السلام كانت مشتملة على زيادات تنزيلاً أو تأويلاً. ولا دلالة في شيء من هذه الروايات على أن تلك الزيادات هي من القرآن[٤].

بناءً على ذلك نستطيع القول أنّ جميع ما قاله النبيّ صلى الله عليه وآله من تفسير القرآن وتبيينه تنزيل أو تأويل، هو من الله سبحانه؛ لأنّه قد يُطلق على بيان النبيّ صلى الله عليه وآله الذي أخذه من الله في شرح الآيات، التأويل أيضاً؛ لأنّ تأويل القرآن ما يرجع

---

١ ـ ظ: م . ن: ص٢٢٤-٢٢٥.
٢ ـ الحيدري، سيد كمال، صيانة القرآن من التحريف، ص٦٢.
٣ ـ سنن الدارمي، . باب: السنةّ قاضية على كتاب الله: ج ١ ص ٤٧٤.
٤ ـ ظ: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٢٥.

ويؤول إليه الكلام، سواءً ما كان يرجع إليه الكلام شرحاً للمراد من الوحي غير القرآني أم غيره[1].

وللمزيد من التوضيح في هذا الشأن من الزيادات والاضافات التي بالمصاحف فمنها:

١ ـ بعنوان التفسير، وهو إن «تلك الإضافات والزوائد لا تكون جزءاً للقرآن، وإطلاق (التنزيل) عليها لا يدلّ على كونها من القرآن لعدم اختصاص هذا الوصف بالقرآن وكان المعمول نزول بعض الأمور بعنوان التوضيح والتفسير للقرآن وكان بعض الكتّاب يكتبه مع القرآن من دون علامة، لكونهم آمنين من الالتباس، ولأجله حكي أنّ ابن مسعود قرأ وأثبت في مصحفه: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربّكم في موسم الحجّ»[2] أو ربما كانوا «يدخلون التفسير في القراءة إيضاحاً وبياناً لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قرآناً فهم آمنون من الالتباس وربما كان بعضهم يكتبه معه»[3] وذُكر هذا المعنى في كتاب مقدمتان في علوم القرآن[*] : ما ورد عن زرّ بن حبيش، عن أُبيّ بن كعب، أنه قال له: (كم تقرأ سورة الأحزاب، قلت: ثلاثاً وسبعين آية... ولقد كان

---

١ ـ ظ: الحيدري، سيد كمال، صيانة القرآن من التحريف، ص٦٦-٦٧.

٢ ـ اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير، ص٣١٥.

٣ ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج١، ص٤٤.

* ـ من الجدير بالذكر : «إن هاتين المقدمتين، إحداهما عن ابن عطية الاندلسي، والاخرى عن مقدمة كتاب (المباني لنظم المعاني) الذي لم يُعرف مؤلفه في البداية، حتى تصحيح وتحقيق كتاب (زين الفتى) فحينئذ تبين أن مؤلفهما واحد وهو: الحافظ أحمد بن محمد بن أحمد العاصمي، المولود سنة ٣٧٨هـ إذ يقول في مواضع مختلفة من كتابه (زين الفتى): (وقد بينت وجوه الاحتجاج التي في هذا الفصل في كتاب المباني لنظم المعاني) ينظر: زين الفتى، تح: محمد باقر المحمودي ج١، ص٨٥، ٩٦ و ١٠٢ وج٢، ص٨.» المحمدي، الدكتور فتح الله، كتاب سلامة القرآن من التحريف، ص٢٠١.

فيها آية الرجم) فإن هذا الحديث ليس من الصحة بحيث تجب به الحجة، فضلاً عن الزيادة في القرآن به؛ لأنّ أهل النقل ضعفوا سنده، ثم إن صح احتمل أن يكون معناه: أن تفسيرها كان يوازي سورة البقرة وأن في تفسيرها ذكر الرجم الذي وردت به السُّنة في قوله تعالى ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ (الأحزاب: ٣٣) [١].

٢ ـ منها: ما يُحمل على أنه سنّة ومن حديث النبي صلى الله عليه وآله: [٢]، ومن ذلك، حول ما تسمى آية (لو كان لابن آدم...): إنّ هذا معروف في حديث النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلم على أنّه من كلام الرسول لا يحكيه عن ربّ العالمين في القرآن...ويؤيّده بأنه يُروى كحديث، لا كآية.فرُوي عن العبّاس بن سهل، قال: سمعت ابن الزُّبيرعلى المنبر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: لو أنّ ابن آدم أُعطي واديان... [٣].

وقد جاء ذلك على شكل الحديث النبوي في أغلب المصادر وليس على هيئة آية قرآنية[٤]. وقد يقول الإنسان (كنت أقرأ كذا) لغير القرآن، فليس كلما تُطلق كلمة (أقرأ أو قرأنا) ينصرف معناها إلى القرآن[٥]. «وإن ثبت أنه أطلق

---

١ ـ ظ: مقدمتان في علوم القرآن، ص٨٣، تح: المستشرق آرثر جفري.

٢ ـ المحمدي، د فتح الله، سلامة القرآن من التحريف، ص٢٠٢.

٣ ـ ظ: مقدمتان في علوم القرآن، ص٨٥.

٤ ـ ظ: ماجاء في صحيح مسلم، ج٣، ص٩٩، رقم الحديث ٢٤٦٢، «عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: لوكان لابن آدم واديان...» وينظر: أبو الشيخ الأصبهاني، كتاب أمثال الحديث، أ ي ما حفظ عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فصار مثلاً ومنها هذا الحديث: لوكان لابن آدم واديان... (ص١١٧).

٥ ـ المحمدي، د فتح الله، سلامة القرآن من التحريف، ص٢٠٢.

عليه اسم القرآن، فإن ذلك على معنى اشتقاق الاسم مما يقرأ، ليس أنه أدعى أنه مما يتلى في الصلوات»[1].

ومثال بشأن ماكان يوُحى إليه وليس بقرآن يُروى «أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وهو بالجعرانة وعليه جبة وعليه أثر الخلوق أو قال صفرة فقال كيف تأمرني أن أصنع في عمرتي؟ فأنزل الله على النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فستر بثوب ووددت أني قد رأيت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وقد أنزل عليه الوحي فقال عمر تعال أيسّرك أن تنظر إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وقد أنزل عليه الوحي؟ قلت نعم فرفع طرف الثوب فنظرت إليه ... فلما سري عنه قال: أين السائل عن العمرة؟ اخلع عنك الجبة واغسل أثر الخلوق عنك وأنق الصفرة واصنع في عمرتك كما تصنع في حجك»[2].

فكان أُبي وباقي الصحابة يذكر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ويجعله وحياً أنزل عليه من غير أن يجعله قرآناً يتلى[3].

٣ ـ ومنها ما يُحمل على الحديث القدسي، فيجوز أن يكون أنزله سبحانه وحياً إليه كما كان تنزل عليه أشياء من امور الدين ولا يكون ذلك قرآناً[4] فجاء «عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: قال الله تبارك وتعالى: كذّبني بن آدم ولم يكن ينبغي له أن يكذبني وشتمني بن آدم ولم يكن له أن يشتمني أما تكذيبه إياى فقوله إني أعيده كما بدأته وليس آخر الخلق بأعز علي

---

١ ـ مقدمتان في علوم القرآن، ص٨٧.

٢ ـ صحيح البخاري، ج٢، ص٦٣٤، رقم الحديث ١٦٩٧ باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج.

٣ ـ ظ: مقدمتان في علوم القرآن، ص٨٧.

٤ ـ ظ: المحمدي، د فتح الله، سلامة القرآن من التحريف، ص٢٠٣.

من أوله وأما شتمه إياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الله أحد الله الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد»[1]، فالواضح هنا مضمون الحديث وكلماته قريب من سورة التوحيد، ومن هذا يشتبه على السامع من الصحابة مثلاً ويظنها من ضمن سورة التوحيد.

المطلب الثاني: توحيد المصاحف:

أولاً ـ مصحفي ابن مسعود وأُبي بن كعب:

هناك مسألة أخرى يحاول فيها جلكريست إظهار أنّ مصحف ابن مسعود أو أُبي بن كعب، هو المصحف الأتم والأصح والأكمل في مقابل مصحف زيد؛ ليخدش بذلك الصورة المشرقة للقرآن الكريم، من خلال عرضه للروايات المادحة لابن مسعود وأُبي بن كعب في مجال القرآن، فيعد أبي بن كعب من بين أهم العارفين بمجال القرآن بعد عبد الله بن مسعود، وكان يلقب بـ (سيد القراء). هناك أحاديث مهمة تشهد على غزارة علمه بالقرآن[2]. وفي حديث طويل «عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم... وأقرأ أمتي أبي بن كعب ...»[3].

ولا يمكن لأية دراسة لموضوع تناقل النص القرآني في بدايته أن تكتمل إلا بإلقاء الضوء على مساهمة عبد الله بن مسعود. ويقول مستغرباً: بينما نجد العلماء

---

١ ـ السنن الكبرى للنسائي، ج١، ص٦٦٦. وينظر: صحيح البخاري، ج٤، ص١٦٢٩، رقم الحديث ٤٢١٢.

2 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 72.

٣ ـ المعجم الصغير للطبراني، ج١، ص٣٣٥.

المسلمين يحاولون التقليل من أهمية مصحف بن مسعود[1] «عن مسروق ذكر عبد الله بن عمرو بن مسعود فقال : لا أزال أحبه سمعت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب»[2].

فيعلق جلكريست: «نفس الرواية موجودة في كتب الحديث الأخرى وتشير إلى أن محمداً (بدأ به) وهذه إشارة إلى أنه كان يعتبره المرجع الأول في مجال القرآن ... بما أن محمداً أمر كل من يريد تعلم القرآن أن يأخذه عنه بالدرجة الأولى فمن المنطقي أن تكون للمصحف الذي جمعه موثوقية»[3] وهنا يلاحظ على هذا الاستنتاج، أولاً: إن ذكر الشيء في البداية لا يعني دائماً أفضليته وأوحديته، فقد ذكر القرآن الكريم شعائر الله كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة ١٥٨)، فبدأ القرآن بـ(الصفا) ولم يقل أحدٌ بتفضيل هذه الشعيرة على أختها، وثانياً: إذا كان كل من تقدم ذكره عن الآخر في هذا الحديث، يكون هو الأفضل والمرجع في القرآن، لازمه أن يكون (سالم ومعاذ) أفضل من أُبي لأنه متأخر عنهما؛ بينما في الواقع نجد أحاديث في حق أُبي بن كعب ما لم يُذكر ذلك عن (سالم ومعاذ). وثالثاً: إذا كان عبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب بهذه الدرجة المتقاربة في تلقي القرآن عن النبي ﷺ وتلقينه للأمة بشهادة حديث النبي (خذوا القرآن من أربعة ...)؛ فبماذا يُفسر إذن الإختلاف في ما بين المصحفين؟ وبأيهما يستطيع أن يأخذ المسلمون عنه القرآن، هذا وإن الاختلافات جذرية ومعتد بها

---

1 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 60 – 63.

٢ ـ صحيح البخاري، ج٤، ص١٩١٢، رقم الحديث ٤٧١٣، باب مناقب أُبي بن كعب.

3 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 60 – 61.

بين المصحفين، فكان مصحف ابن مسعود لم يثبت سورتي المعوذتين وسورة الفاتحة[1] .

بينما نجد أن المعوذتين مما تظاهرت الأخبار في أنهما من القرآن وأن يكون متواتراً عن الرسول ﷺ على المعنى وإن لم يكن اللفظ متواتراً[2] «عن عقبة بن عامر: أنه سأل النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم عن المعوذتين قال عقبة فأمّنا بهما رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم في صلاة الفجر»[3] قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث: صحيح[4] .

ودلالة الحديث واضحة أراد أن يبين له النبي ﷺ أنهما من القرآن؛ لأن الصلاة الواجبة كما هو معروف، تجب فيها قراءة سورة بعد الفاتحة، وكذلك «عن عقبة بن عامر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أنزل أو أنزلت عليّ آيات لم ير مثلهن قط المعوذتين»[5] فالمراد من الآيات هنا آيات القرآن الكريم.

أمّا سورة الفاتحة، فالكلام في إثبات أنها من القرآن كالكلام عن إثبات الضياء للشمس، وأشهر ما قيل فيها «عن عبادة بن الصامت أنّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[6] وأيضاً «عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم : لا صلاة لمن لم يقترئ بأم

---

١ ـ ظ: صحيح البخاري، ج٤، ص١٩٠٤، رقم الحديث ٤٦٩٣، باب سورة الناس.

٢ ـ الباقلاني، القاضي أبو بكر، الإنتصار للقرآن، ج١، ٣٠٩.

٣ ـ مسند أحمد، ج٢، ص١٥٨، باب القراءة في الصبح بالمعوذتين.

٤ ـ ن . م : نفس الصفحة.

٥ ـ صحيح مسلم،ج١، ص٥٥٨، باب فضل قراءة المعوذتين.

٦ ـ صحيح البخاري، ج١، ص٢٦٣، رقم الحديث، ٧٢٣، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات.

القرآن»[1].

إذن فإن ما نُسب إلى ابن مسعود، رواية يجوز معها الشك والسهو والنسيان، إن لم نقل الكذب؛ لأنها معارضة بقراءة ابن مسعود لها في الصلاة، ولا صلاة إلا بفاتحة الكتاب. وإن صحت الرواية، فقد يكون غلب على ظن ابن مسعود أن الفاتحة لا يمكن أن تنسى لوجوب تعلمها على المسلمين كافة، وإن ما كتب من القرآن كان لمخافة النسيان والضياع[2].

ويُذكر أن عاصماً قد أخذ قراءة المعوذتين، عن زرّ بن حبيش، عن ابن مسعود، وهذا دليل على ثبوتهما في مصحفه، وبهذا قال ابن حزم (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ) في كتاب القدح المعلى تتميم المحلى: هذا كذب على ابن مسعود وموضوع وإنما صح عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عنه وفيها المعوذتان والفاتحة[3]. وأن المصحف الإمام المتداول بالأمس واليوم عند المسلمين قد اشتمل على الفاتحة والمعوذتين، وكذلك مصحف أُبي بن كعب ومصحف الإمام علي عليه السلام فلا يُعتد بسقوطهما من مصحف ابن مسعود؛ لأن مصحف ابن مسعود وأمثاله ليست إلا مصاحف فردية، كمن يكتب لنفسه سورة، ويغفل سورة، فإن سقط من مصحفه شيء فلا ينسحب ذلك على القرآن[4]. وعن «سفيان بن عيينة عن عبدة وعاصم عن زر قال: قلت لأبي: إن أخاك يحكهما من المصحف ! فلم ينكر. قيل لسفيان:

---

١ ـ صحيح مسلم،ج١، ص٥٥٤، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة.

٢ ـ ظ: الصغير، د محمد حسين، تاريخ القرآن، ص١٥٤.

٣ ـ ظ: السيوطي، الاتقان، ج١، ص ٨١، النوع الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والعشرون معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج.

٤ ـ ظ: الصغير، د محمد حسين، تاريخ القرآن، ص١٥٤.

ابن مسعود؟ قال: نعم وليسا في مصحف بن مسعود كان يرى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يعوذ بهما الحسن والحسين ولم يسمعه يقرؤهما في شيء من صلاته فظن أنهما عوذتان وأصر على ظنه وتحقق الباقون كونهما من القرآن فأودعوهما إياه»[1] وذلك يدل: على أنها شبهة قد وقع فيها ابن مسعود، ولعله عاد فاتضح له الحق؛ فقبله، فقرأهما عاصم عليه بعد ذلك. ويمكن أن يكون قد عاش مرحلتين: مرحلة كان ينكرهما فيها.. ومرحلة أخرى: كان يعترف فيهما بهما، بعد ثبوتهما لديه[2].

ثانياً ـ (لجنة توحيد المصاحف):

حاول جلكريست جاهداً، أن يختزل عملية جمع القرآن كلها في شخص زيد بن ثابت، ويصوّر لنا أن عملية الجمع هذه تمت بمعزل عن جميع الصحابة الأجلاء، حتى عن أُبي بن كعب ـ وأُبي هو الأهم عند جلكريست ـ وأن زيداً لوحده كان يغرد خارج السرب، وإن كانوا شاركوه في عملية الجمع والتدوين. إلا أنّ زيداً هو الشخص الوحيد المتنفذ في العملية وبقية الأفراد في الهامش و« توحيد القرآن لم يتم إلا بعد ٢٠ سنة من وفاة محمد وبقرار أحادي الجانب أصدره عثمان بن عفان. المصحف الذي هو معروف حالياً عند جميع المسلمين ليس مصحف محمد بل هو مصحف زيد بن ثابت الذي فُرض بقوة على حساب المصاحف الأخرى التي لم تكن تنقصه مشروعية وموثوقية. هذه المصاحف تمت تنحيتها بإحراقها»[3].

---

١ ـ مسند أحمد، ج٥، ص١٣٠، رقم الحديث، ٢١٢٢٧، باب حديث زر بن حبيش عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه.

٢ ـ ظ: العاملي، السيد جعفر مرتضى، حقائق هامة حول القرآن الكريم، ص٤٩٣-٤٩٥.

3 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 77.

والأمر مغاير لهذا تماماً إذ جاء في المصاحف «فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن الزبير أن انسخوا الصحف في المصاحف، وقال للرهط القرشيين الثلاثة: ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف»[1] وكذلك أيضاً «لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف، جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أبي بن كعب، وزيد بن ثابت قال فبعثوا إلى الربعة التي في بيت عمر، فجيء بها قال: وكان عثمان يتعاهدهم» [2] وكان في اللجنة ممن كتب المصاحف «عبد الله بن فطيمة أحد كتاب المصاحف»[3] وكثير بن أفلح «أنه كان يكتب لهم فربما اختلفوا في الشيء فأخروه...»[4] ومنهم مالك بن أبي عامر، جد مالك بن أنس «قال مالك: كان جدي مالك بن أبي عامر ممن قرأ في زمان عثمان، وكان يكتبه المصاحف»[5] وورد عن مالك بن أبي عامر« قال: كنتُ فيمن أملى عليهم، فربَّما اختلفوا في الآية، فيذكرون الرجل قد تلقَّاها من رَسُول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم...»[6] وأشار الحافظ ابن حجر عن مشاركة ابن عباس وأنس في الكتابة وقال: «ووقع من تسمية بقية من كتب أو أملى عند أبي داود مفرقاً جماعة ... ومنهم عبد الله ابن عباس وأنس بن مالك، وقع ذلك في

---

١ ـ صحيح البخاري، ج٤، ص١٩٠٨، رقم الحديث، ٤٧٠٢، باب جمع القرآن. وسنن الترمذي، ج٥، ص٢٨٤، رقم الحديث، ٣١٠٤، باب، سورة التوبة.

٢ ـ ابن ابي داود، المصاحف، ص٢٥. والسيوطي، جامع الأحاديث، ٢٩ /٢٠٤ قرص المكتبة الشاملة.

٣ ـ ابن ابي داود، المصاحف، ص٣٣.

٤ ـ م . ن: ص٢٥.

٥ ـ م . ن، ص٢٦.

٦ ـ م . ن: ص٢١.

رواية إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع عن ابن شهاب فِي أَصْل حَدِيث الْبَاب»[1].

وما تم تحصيله من الروايات المتفرقة في تسمية بعض هؤلاء الاثني عشر رجلاً، وهم:

١ ـ زَيْد بْن ثَابِتٍ.

٢ ـ عَبْد اللهِ بْن الزُّبَيْرِ.

٣ ـ سَعِيد بْن الْعَاص.

٤ ـ عَبْد الرَّحْمَنِ بْن الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ.

٥ ـ أُبي بن كعب.

٦ ـ أنس بن مالك.

٧ ـ عبد الله بن عباس.

٨ ـ مالك بن أبي عامر، جد مالك بن أنس.

٩ ـ كثير بن أفلح، كما في حديث ابن سيرين المتقدم.

١٠ ـ عبد الله بن فطيمة، كما جاء في كتاب المصاحف.

١١ ـ «وفي رواية مصعب بن سعد»[2].

هكذا إذن لم يكن زيد بمفرده وبدون رقابة أو بدون مساعدة وإشراف الصحابة، والملاحظ في الأحاديث ما يشير إلى أن الصحابة البقية كان دورهم فاعلاً ورئيساً، لا كما هو المدعى بأن «زيداً كان هو المسؤول عنه حيث تُرِكت له

---

١ ـ العسقلاني، فتح الباري، ج٩، ص١٩. وينظر: القسطلاني، شهاب الدين، إرشاد الساري، ج٧، ص٤٤٩.

٢ ـ القسطلاني، شهاب الدين، إرشاد الساري، ج٧، ص٤٤٩.

حرية القيام بذلك»[1]. واعتبار المسلمين كونهم يعرفون «أن هذا النص ما هو إلا نتاج عملية قام بها رجل معين (زيد بن ثابت) نراهم يحاولون استعمال أسلوب المراوغة كلما تعلق الأمر بمسألة وجود مصاحف غير المصحف العثماني كانت تختلف معه في نقاط غير قليلة»[2].

وهنا رواية تشير إلى غير ذلك وتؤكد دور أُبي بن كعب الأساسي وكان هو من يرأسهم، فكان هو يملي عليهم والآخرون يكتبون «... حدثنا عبد الله بن أبي جعفر الرازي، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، إنهم جمعوا القرآن من مصحف أبي، فكان رجال يكتبون يملي عليهم أبي بن كعب، فلما انتهوا إلى الآية التي في سورة براءة: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ أثبتوا أن هذه الآية آخر ما أنزل الله تعالى من القرآن، فقال أبي بن كعب: إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قد أقرأني بعد هذا آيتين: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ إلى آخر السورة قال: فهذا آخر ما نزل من القرآن...»[3](*).

إذن أُبي بن كعب سيد القراء كان معهم، بل من الواضح قد يرأسهم وكانت

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 55.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 64.

٣ ـ ابن ابي داود، المصاحف، ص٣٠، باب خبر قوله عز وجل لقد جاءكم رسول.

* ـ وهذا يضاف رقم إلى عدد التناقضات لروايات جمع القرآن، بخصوص الآية من سورة التوبة فمرة التمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت، ومرة عند أبي خزيمة، وأخرى أبو خزيمة هو الذي جاء بالآيتين بمبادرة منه، وثالثة، فقدت آية من الأحزاب وليس من التوبة فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت أيضاً، وهنا هذه مرة رابعة وجدت الآية عند أُبي بن كعب. مع تحفظ الباحث على =

له اليد الطولى بدلالة اعتراضه على آية آخر ما نزل من القرآن، وهنا ممكن أن يقال: لو أن ما تسمى بسورتي الحفد والخلع ـ المثبتة بمصحف أُبي ـ كانتا تمثل سوراً من القرآن المنزل على النبي ومعتدٌ بها؛ لما توانى أُبي في أن يدرجها، ويعرضها ويحتج عليهم بها، ولا توجد في الروايات ما يشير إلى أنه حاول وضعها في المصحف الإمام وهذا أدلّ دليل على أن مصحفه والمصاحف الاخرى كانت مصاحف شخصية، ممكن أن يكتب فيها الدعاء والقنوت الذي يعلمه إليهم النبي، أو التفسيرات التي يسمعونها من النبي كما قال القاضي أبو بكر الباقلاني (٣٣٨ ـ ٤٠٣ هـ): بأن مثل هذه القراءات صارت مفسرة للقرآن، وقد كانوا يروون مثل هذا عن بعض التابعين يعني بذلك استجازة كتابة التفسير مع الآية، مثل ما يُروى في مصحف عائشة وأيضاً مصحف أُبي في إضافة عبارة (وصلاة العصر) إلى عبارة (وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ) في قوله تعالى ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ وكما قرأ وأثبت ابنُ عباس وابن مسعود عبارة (في مواسم الحج) بعد قوله تعالى﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (في مواسم الحج)[1].

ولقد روي بهذا الصدد عن الرسول الأعظم ﷺ «عن المقدام بن معد يكرب الكندي قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه...»[2].

= مثل هذه الروايات والنقاش الذي فيها، لكن الاحتجاج بها من باب ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم، فإن جلكريست وغيره من المستشرقين قد استندوا إليها واعتقدوا بأنها معتبرة فضلاً عن أنها صحيحة.

١ ـ ظ: الباقلاني، القاضي أبوبكر، الانتصار للقرآن، ج٢، ص٤٣٢.

٢ ـ مسند أحمد، ج٤، ص١٣٠، رقم الحديث، ١٧٢١٣، باب، حديث المقدام بن معد يكرب الكندي.

وإلا لماذا لم يحاول أُبي بن كعب أن يكتب ما تسمى بسورتي الحفد والخلع؟

وتوجد رواية أخرى مشهورة تشير إلى اعتراض آخر لأحد الصحابة الكبار وممن لديهم مصحف، وهو عبد الله بن عباس عندما قال: «لعثمان بن عفان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المائين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا قال بن جعفر بينهما سطراً بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال ما حملكم على ذلك قال عثمان: إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد وكان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده يقول ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ...»[1].

وما قيل مع أُبي، يقال هنا مع ابن عباس: فلو كانت الاختلافات الموجودة في مصحفه قرآناً سمعه من النبي بصفة القرآن لا بشيء آخر؛ لاعترض واحتج بها عليهم كما اعترض على سورة الأنفال.

لكن لجلكريست رأي آخر في مسألة عدم اعتراض الصحابة ولا سيما ذوي المصاحف، وتأويل يتناسب وأهدافه ونتائجه المسبقة، فقال ما نصه عندما كان في معرض حديثه عن ابن مسعود: «لكن لماذا كان سيعارض مصحف زيد في ذلك الوقت؟ كان مصحفه آنذاك منتشراً بين أهل الكوفة في الوقت ذاته الذي كان فيه مصحف زيد قابعاً في الخفاء دون أن يكون لأحد أية نية لجعله مصحف الأمة الإسلامية. لم يشعر بن مسعود أن مصحفه يتهدده الخطر إلا حين خرج مصحف زيد إلى الواجهة وأُعلِنَ مصحفاً موحداً»[2].

---

١ ـ مسند أحمد، ج١، ص٥٧، رقم الحديث، ٣٩٩، باب، مسند عثمان بن عفان، وسنن الترمذي، ج٥، ص٢٧٢، رقم الحديث، ٣٠٨٦، باب سورة التوبة.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 62.

أما أُبي بن كعب فجاء فيه «عن ابن عباس قال: قال عمر: أُبي أقرؤنا وإنا لندع من لحن أُبي، وأُبي يقول أخذته من في رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فلا أتركه لشيء قال الله تعالى: (مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ)»[1] فيعقّب جلكريست بسبب الفهم الخاطئ لمضمون الرواية: «لا ندري لماذا كان محمد يبلّغ أجزاءاً معينة لأُبي بن كعب دون غيره لكن الحديثين المذكورين يبينان أن مكانته كانت عالية في مجال القرآن»[2] فعلى ذلك عدَّ كلمة (من في رسول الله) هي تبليغ خاص للقرآن إلى أبي من دون غيره، وفي الحقيقة هي تعني: سمعت منه مباشرة مع إمكان أن يسمع معه آخرون[3] ويدل عليه «عن عبيد الله أخبرني نافع عن ابن عمر قال تلقفت التلبية من في رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم...»[4]، ففي هذا الحديث تكررت كلمة (من في رسول الله) ولا تعني إنها تبليغ مختص بهذا الصحابي من دون غيره لأن التلبية أخذها المسلمون جميعاً من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عندما حج بالمسلمين وقال: «خذوا عنّي مناسككم لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا وارموا بمثل حصى الخذف»[5].

على العموم فهذا مصحف أُبي يتقاطع مع مصحف ابن مسعود في أشياء منها: إثباته الفاتحة والمعوذتين «عن أبي بكر الحضرمي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام إن ابن مسعود كان يمحو المعوذتين من المصحف، فقال: كان أبي يقول: إنما فعل

---

١ ـ صحيح البخاري، ج٤، ص١٩١٣، رقم الحديث ٤٧١٩، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 73.

٣ ـ ظ: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة ـ جامعة دمشق، محقق كتاب صحيح البخاري، هامش، ج٤ ص ١٩١٢، من كتاب صحيح البخاري.

٤ ـ صحيح مسلم، ج٢، ص٨٤١، باب التلبية وصفتها ووقتها.

٥ ـ السنن الكبرى للنسائي، ج٢، ص٤٢٥.

ذلك ابن مسعود برأيه وهما من القرآن»[1] وأضاف مصحف أُبي ما تسمى بسورتي الحفد والخلع «وفي مصحف أبيّ بن كعب فاتحة الكتاب والمعوذتين واللهم إنا نستعينك واللهم إياك نعبد وتركهن ابن مسعود»[2] ومن خلال ما نقله جلكريست عن السيوطي، فأخذ يحتمل ويأوّل تأويلات تنسجم وتطلعاته في الحط من قيمة القرآن الكريم، فيقول: «إنه لمن المثير للانتباه أن تعد هاتين السورتين من زوايا مختلفة في نفس مثابة سورة الفاتحة التي يشبهانها إلى حد كبير وذلك بشهادة كل من ابن مسعود وأبي بن كعب.

الغريب في الأمر أن السور الثلاث لم تكن موجودة في مصحف بن مسعود وبالمقابل كانت كلها موجودة في مصحف أبي. يُحتمل أن يكون محمد قد كان يستعمل كلاها من دون تمييز في الأدعية والابتهالات لهذا السبب لم يستطع الصحابة الحسم في مسألة وجوب إدخالها ضمن المصحف (كتاب الله) أم لا، ولاسيما وأنها من حيث الشكل والمحتوى أقرب إلى التضرعات والأدعية التي ينطق بها المؤمنون والمتعبدون في صلواتهم التي تختلف عن القرآن في أسلوبه حيث يُفترض أن الله هو المتكلم»[3] بهذا أراد القول أن الصحابة اشتبه عليهم بسبب الأسلوب بين ما يُدّعى من آيات وبين سورة الفاتحة؛ لأن القرآن كلام الله وما موجود في المقام كأنه كلام بشر موجّه إلى الله والمفروض يكون الله في القرآن هو المتكلم.

لكن هذا التفسير غير تام ولا يمكن قبوله، والأفضل لمثير الشبهة أن يتمسك بالروايات الناطقة بما أُدعي من الآيات، لا التمسك بمضمونها وأسلوبها

---

١ ـ القمي، علي بن ابراهيم، تفسير القمي، ج٢، ص١٥١.

٢ ـ السيوطي، الإتقان، ج١، ص٦٧ النوع التاسع عشر.

3 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p71 – 75.

المشابه لأسلوب سورة الفاتحة؛ وذلك لأن كثيراً من آيات الله سبحانه بهذا الأسلوب (أسلوب الدعاء والقنوت) ولم يحصل معها ما حصل في ما تقدم، كما في قوله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

وقد أورد السيوطي روايات في هاتين السورتين المدعاة بأنْ علّمهما النبي صلى الله عليه وآله إلى الإمام علي عليه السلام وإن أُبي بن كعب كان يقنت بهما في الصلاة وجملة من الصحابة ترددهما في الصلاة قراءةً أو قنوتاً، ومن بينهم عمر بن الخطاب كان على علم بهما[1].

ويرد على هذه الروايات ما يلي:

١. لو أن علياً وعمر، كانا قد علما بأن هاتين سورتان من القرآن، فما يمنعهما من إلحاقهما بالمصحف، وهما من القوة بحيث لا يستطيع أحد معارضتها مجتمعين إطلاقاً.

٢. لو كان الإمام علي عليه السلام يعلم هاتين السورتين، فلِمَ لمْ يشر بهما إلى أحد ذريته وشيعته لحفظهما من الضياع، وذلك في عهد خلافته، ولا رواية واحدة تدل على ذلك.

٣. إن السياق الجملي للسورتين المزعومتين، لا يتناسب ومناخ القرآن البلاغي، ولا أسلوبه الإعجازي، ولا لغته المتميزة فلغة القرآن (سبوح لها منها

---

١ ـ ظ: السيوطي، الاتقان، ج١، ص٦٧.

عليها شواهد) ولغة هاتين السورتين الموهومتين لغة دعاء مجرد، فترى تباين أسلوبيهما واختلافهما من جهة المستوى البلاغي بما يقتضيه من عظم الاسلوب وروعة المضامين وعدمهما[1].

ثالثاً ـ خلاصة تحليلية ونتيجة:

حاول جلكريست أن يلج من بوابة اختلاف المصاحف وأن يظهر بأن: هنالك حالات عدة يوافق فيها مصحف أُبي مصحف ابن مسعود، في الوقت الذي يختلف كلاهما مع مصحف زيد، ومصحف ابن عباس يوافق مصحف أبي موسى الأشعري، وكلاهما يتقاطعان مع مصحف زيد، وهكذا؛[2] وذلك للنيل والتشكيك بمصحف زيد (المصحف الإمام) مخلّفاً وراءه الاختلافات الجذرية بين مصحف ابن مسعود وأُبي بن كعب، وهكذا الشأن بين باقي المصاحف فيما بينها، ناسياً ـ بمعنى تاركاً عن عمد ـ أو متناسياً نقاط ائتلافها مع مصحف زيد، وقد تتفق هذه المصاحف معه أو قد تختلف.

فيريد أن يصور لنا إنه كلما نقص شيء من مصاحف الصحابة، وجب أن لا يكون هذا الشيء في القرآن وإلا فسيعدّ زيادة على القرآن؛ لأن الصحابي الفلاني لم يكن في مصحفه ذلك المقطع، وأيضاً كل ما زاد في تلك المصاحف، وجب درجه في القرآن وإلا سيكون ذلك نقص في القرآن، فعلى ميزان جلكريست، كل شاردة وواردة في الروايات لجميع المصاحف العديدة المتناثرة بكل أطيافها وكثرتها المتكاثرة، يجب أن تكون حاضرة في القرآن، وإلا سيُحسب نقصاً أو زيادة.

---

١ ـ ظ: الصغير، محمد حسين، تاريخ القرآن، ص١٥٥. وينظر: الحكيم، محمد تقي، الاصول العامة للفقه المقارن، ص١١٥.

2 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 73.

وليس هذا بصحيح ولا يمكن أن يكون في البحث القرآني، فالمدار يجب أن يكون أولاً وآخراً، هو التواتر وليس أخبار الآحاد التي ينفرد بها الصحابة وغير مرفوعة إلى الرسول الكريم ﷺ؛ لأن «القرآن لا طريق لإثباته إلا التواتر»[1] وقال السيوطي: إذ ذهب كثير من الأصوليين إلى أن التواتر شرط في ثبوت ما هو من القرآن بحسب أصله؛ لأنه لو لم يُشترط لجاز ثبوت كثير مما ليس بقرآن فإذا لم يتواتر بعض القرآن جاز إثبات ذلك الذي لم يثبت في الموضع بنقل الآحاد[2].

فكَانَ طَرِيقُ إِثْبَاتِ الْقُرْآنِ نَقْلَ الْكَافَّةِ من دُونَ نَقْلِ الآحَادِ، وإن علماء المسلمين أجمعوا على اشتراط التواتر لثبوت قرآنية أي نصٍّ، وبدون التواتر لاتثبت قرآنيته؛[3] وعلل القاضي أبو بكرالباقلاني (٣٣٨ ـ ٤٠٣ هـ) قال:«لأن خبر الواحد لا يفيد إلا الظن فلو جعلناه طريقاً إلى إثبات القرآن لخرج القرآن عن كونه حجة يقينية»[4]، فمَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ فِي أَخْبَارِ الآحَادِ غَيْرُ مَقْبُولٍ لأن من شأن الخبرين المتعارضين أن يتساويا، فإمّا أن يكون أحدهما خبر واحد والآخر تواتر، ونقل الكافة بأن هذا هو القرآن الذي بين أيدينا، كله تواتر[5].

وجملة القول في ذلك إن جميع هذه الروايات أخبار آحاد لا سبيل إلى صحتها والعلم بثبوتها، ولا يخيل لنا أن ننسب إلى أحدٍ من الصحابة ومن دونهم إثبات قرآن زائد على ما في أيدينا أو نقصاناً منه بمثلها، ولا نضيفُ إليهم مِن ذلكَ

---

١ ـ السيد الخوئي، البيان، ص٢٥٦.

٢ ـ ظ: السيوطي، الاتقان، ص٧٩-٨٠. وينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص١٢٥. وينظر: بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، مقدمة التحرير والتنوير، ج١، ص٨٩.

٣ ـ ظ: الجصاص، أحكام القرآن للجصاص، ج١، ص١٠.

٤ ـ نقلاً عن: ابن عاشور، تحرير التنوير، ج١، ص١٣٩.

٥ ـ ظ: الباقلاني، القاضي أبو بكر، الإنتصار للقرآن، ج١، ص٤٠٥.

أمراً غيرَ معلومٍ ولا متيقن، إن هذهِ أخبارُ آحادٍ غيرُ مقطوع عليها ولا موثوق بصحتها، ولا يجوز أن نُثبت قرآناً بطريقٍ لا يوجبُ العلمَ ولا يَقطعُ العذر، فإذا كانت هذه الأخبارُ أخبار آحاد لم تبلغ حدّ التواتر. ولم يدلّ عقل ولا سمع ولا شهادة من سائر الأمة على صحتها، ولا أدّعي سماعُها من الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم وحضور إلقائها على جماعة يستحيل في العادة عليهم الإمساكُ عن إنكار كذبِ من يدّعي عليهم، ويضاف إلى مشاهدتهم وسماعهم، ولا غير ذلك من وجوهِ الأدلة؛ لم يجب القولُ بصحتها[1].

وإنه لايجوز أن يضاف إلى عبد الله أو أُبي بن كعب أو زيد أو عثمان أو علي، جحد آية أو حرف من كتاب الله عز وجل أو تغييره بأخبار الآحاد وما لم يبلغ منها حد التواتر والانتشار[2].

وكذلك الفخر الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ) استدل بالدليل العقلي قائلاً: والأغلب على الظن أن نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل كاذب باطل؛ لأنّا إن قلنا إن النقل المتواتر كان حاصلاً في عصر الصحابة بكون سورة الفاتحة من القرآن فحينئذٍ كان ابن مسعود عالماً بذلك فإنكاره يوجب الكفر أو نقصان العقل، وإن قلنا إن النقل المتواتر في هذا المعنى ما كان حاصلاً في ذلك الزمان فهذا يقتضي أن يقال إن نقل القرآن ليس بمتواتر في الأصل وذلك يخرج القرآن عن كونه حجة يقينية، فيكون على الغالب نقلاً كاذباً باطلاً[3].

ويجاب عن هذا : بأن تواتر قرآنية المعوذتين والفاتحة في عصر ابن مسعودٍ

---

١ ـ ظ: الباقلاني، القاضي أبو بكر، الإنتصار للقرآن، ج١، ص٤٢٩ ـ ٤٣٤.

٢ ـ م.ن: ج١، ص٦٢.

٣ ـ ظ: تفسير الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ج١، ص١٩٠.

لا شكَّ فيه، ولا يلزم من ذلك تكفير ابن مسعودٍ (رضي الله عنه) إذ إن التواتر ـ وإن كان يفيد العلم الضروري ـ فإنه نفسه ليس علمًا ضروريًّا ـ أي أنه قد يخفى على بعض الناس، فليس من الضروري أن يعلم كلُّ واحدٍ من أهل العصر بتواتر الشيء، فإن خفي عليه هذا التواتر كان معذورًا، فلا يُكَفَّر[1].

قال ابن حجر(٧٧٣هـ ـ ٨٥٢هـ): وأجيب باحتمال أنه كان متواترًا في عصر ابن مسعودٍ، لكن لم يتواتر عند ابن مسعود[2].

فإن قيل إن هناك من أنكر سور كاملة من القرآن أو أضاف سور له مثل ابن مسعود وأُبي بن كعب، وأن استنكاره كان طعنًا في تواتر القرآن وصحة جمعه في زمن عثمان فيجاب عنه: «أنه على فرض استمرار عبد الله بن مسعودٍ على إنكار قرآنية المعوذتين، ومَحوهما ـ من المصاحف، يُجاب بأنه ـ رضي الله عنه ـ انفرد بهذا الإنكار، ولم يتابعه عليه أحدٌ من الصحابة ولا غيرهم، وانفراده على فرض استمراره عليه لا يطعن في تواتر القرآن، فإنه ليس من شرط التواتر ألاَّ يُخالف فيه مخالفٌ، وإلا لأمكن هدم كل تواتر، وإبطال كل علم قام عليه بمجرد أن يُخالف فيه مخالفٌ.

فلو أنه ثبت أن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنكر المعوذتين، بل أنكر القرآن كله، واستمر على ذلك، فإن إنكاره لا يقدح في تواتر القرآن»[3]. وإن طعن ابن مسعود في التواتر لا يقدح فيه، فإن التواتر حجة قاطعة بصحة ما روي

---

١ ـ أبو زيد، محمد شرعي، جمع القرآن في مراحله التاريخية من العصر النبوي إلى العصر الحديث، رسالة ماجستير، كلية الشريعة بجامعة الكويت، ١٤١٩ هـ ص١٨٧.

٢ ـ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٨، ص٧٤٣.

٣ ـ أبو زيد، محمد شرعي، جمع القرآن في مراحله التاريخية من العصر النبوي إلى العصر الحديث، رسالة ماجستير، كلية الشريعة بجامعة الكويت، ١٤١٩ هـ ص١٨٦.

متواترًا، وإذا كان الجماعة الذين اتفقوا على صحة جمع القرآن في زمن عثمان قد بلغوا حدَّ التواتر وأكثر، فإن إنكار الواحد أو الاثنين لا يقدح في ذلك التواتر، فإن من شهد حجةٌ على من لم يشهد.

أما قول ابن مسعود: وَلَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه [وآله] وسلم أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَداً أَعْلَمُ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ. ليس قطعًا على أنه ليس فيهم من هو أعلم منه بكتاب الله، وإنما هو اعتقاد ابن مسعود، وهو غير معصوم في هذا الاعتقاد[1].

فتعدّ هذه من أخبار التحريف ، ومع تضارب مضامينها وتهافتها في أنفسها لا تزيد على كونها أخبار آحاد، وهي لا تنهض للوقوف أمام التواتر الموجب للقطع بأن هذا القرآن الذي بأيدينا هو القرآن الذي نزل على النبي ﷺ من دون أن يزاد أو ينقص فيه[2].

***

١ ـ أبو زيد، محمد شرعي، جمع القرآن في مراحله التاريخية من العصر النبوي إلى العصر الحديث، رسالة ماجستير، كلية الشريعة بجامعة الكويت، ١٤١٩هـ، ص١٧٨

٢ ـ ظ: الحكيم، محمدتقي، الاصول العامة للفقه المقارن، ص١١٤.

الفصل الخامس

حقائق جمع القرآن تجاه شبهات جلكريست

المبحث الأول

حقيقة مصطلح جمع القرآن ومصطلحات أخرى

من الأهمية بمكان دراسة ومعرفة المصطلحات المتاخمة لجمع القرآن، فباختلاط معانيها حصل اللبس ولم تفهم معنى الروايات التي رويت في شأن الجمع والقراءة والمصاحف وأمثالها، وأدى ذلك بجلكريست وغيره للقول بعدم ثبوت النص القرآني الذي أُوحي إلى الرسول الكريم ﷺ. ومن ذلك جعْله للتوحيد العثماني للمصاحف جمعاً مستقلاً بذاته بقوله: «وكذلك عملية الجمع التي أمر بها عثمان وليس محمد وكان هذا مرتين تم على إثر المحاولة الثانية حرق كل المصاحف»[1].

١ ـ الجمع:

وهو أهم مصطلح يجب بيانه؛ لما له من معانٍ عدة وماله من تركة ثقيلة ـ بمعناه الشائع، جمع الشتات وما هو متفرق ـ ألقت بظلالها على البحوث

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 55.

والدراسات القرآنية. فما معنى كلمة (الجمع) الواقع في الروايات زمن النبي ﷺ؟ وما معنى «الجمع» الواقع بعد عهده ﷺ ؟ وهل هو الحفظ في الصدور؟ أو هو الكتابة والتدوين؟

فهناك روايات ذكرت عدداً كبيراً من الصحابة جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ، قد حاول اكثر علماء اخواننا أن يفسروا جمعهم للقرآن بحفظهم له من دون كتابته ويحصروه بذلك، ولكن جمع القرآن تعبير يطلق على من حفظه فيكون معناه جمعه في صدره، كما يطلق على من كتبه ودوّنه فيكون معناه جمعه في مصحف أو كتاب وعندما يرد تعبير جمع القرآن ويوجد معه قرينة تدل على نوع الجمع المقصود فهي المتبعة، وان لم توجد قرينة فينبغي أن يحمل الجمع على المعنى الأقرب والأكثر شيوعاً وهو جمع القرآن بكتابته، وإن أبيت فيبقى معناه مجملاً يحتمل المعنيين، لأن ترجيح أحدهما على الآخر ترجيح بلا مرجح![1].

ويظهر أنّ الإشكال والاشتباه إنّما نشأ من الخلط، وعدم تبيّن مفهوم كلمة (الجمع) الواقعة في الروايات، وتخيّل كون المراد من هذه الكلمة هو الذي يكون محلّ البحث في المقام، ومورداً للنقض والإبرام[2].

وإنّ لفظ (الجمع) الذي يُستعمل في باب جمع القرآن يكون له أربعة معانٍ، وقد وقع بينها الخلط، ومن ذلك ما فهمه جلكريست من مصطلح (الجمع) إنه جمع الشتات من المتفرقات بحسب الاصطلاح اللغوي للجمع، بقوله: «لاحظنا آنفاً بأن المواد التي كان القرآن يكتب عليها كانت تحفظ في بيت محمد في المدينة، ولكن هناك بيانات صريحة في نفس الجمع للروايات المدونة المبكرة للنص القرآني والتي

---

١ ـ ظ: الكوراني، تدوين القرآن، ص٢٤٨-٢٤٩.

٢ ـ ظ: اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير، ٣٠٤.

تجعل من الواضح أن القرآن لم يتم جمعه في موضع واحد خلال حياة محمد سواء كان في بيته أو في أي مكان آخر»[1].

ولأجله تحقّق الإلتباس الذي أدّى إلى الإختلاف في الرؤى وهذه المعاني هي:

أ. الجمع، بمعنى التأليف والتركيب وجعل كلّ آية في السورة التي هي جزء لها وفي موضعها من تلك السورة، وكونها آية ثانية لها مثلاً أو ثالثة أو رابعة وهكذا. والجمع بهذا المعنى هو محلّ البحث والكلام، وقد عرفت أنّ الجامع بهذا المعنى لا يكون إلا النبيّ بما أنّه نبيّ، وبعبارة أخُرى لا طريق له إلاّ الوحي، ولايصلح إسناده إلى غير النبيّ صلى الله عليه وآله بوجه.

ب. الجمع، بمعنى تحصيل القرآن بأجمعه من الأشياء المتفرّقة المكتوب عليها، ومرجعه إلى كون الجامع واجداً لجميع القرآن من أوّله إلى آخره، وهذا هو الجمع المتحقّق في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله والمنسوب إلى غيره من الأشخاص المعدودين، وربما يراد من الجمع بهذا المعنى جمع القرآن بجميع شؤونه من التأويل والتفسير وشأن النزول وغيره، وهو المراد من الجمع الذي تدلّ الروايات الكثر على اختصاصه بمولانا أمير المؤمنين عليه السلام [2].

وفيه أنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ، وأن ابن سيرين قال: تطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه وحكي انّه قال: بلغني انّه كتبه على تنزيله ولو أُصيب ذلك الكتاب لوجد فيه علم كثير[3].

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 130.

٢ ـ ظ: اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير، ٣٠٧-٣٠٨.

٣ ـ ظ: السيوطي، الاتقان، ج١،ص٥٩، وينظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج١، ٢٥٤.

ج. الجمع بمعنى جمع المتفرّقات وكتابتها في شيء واحد كالقرطاس والمصحف، بناءً على مغايرته للقرطاس، وهذا هو الجمع المنسوب إلى أبي بكر[1]. «عن ابن شهاب، عن سالم، وخارجة، أن أبا بكر الصديق كان جمع القرآن في قراطيس وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر في ذلك»[2].

د. الجمع، بمعنى جمع المسلمين على قراءة واحدة من القراءات المختلفة التي نشأت من اختلاف ألسنة القبائل والأماكن، وهذا هو المراد من الجمع المنسوب إلى عثمان. وعدم الخلط بين هذه المعاني يرشد الباحث ويهديه إلى الحقّ ويبعّده عن الإنحراف المؤدّي إلى التحريف[3].

«أمّا الجمع الذي هو محلّ البحث في المقام هو الجمع بمعنى التأليف والتركيب وجعل كلّ آية في السورة التي هي جزء لها، وفي موضعها من تلك السورة، والجمع بهذا المعنى لا يكون إلاّ وظيفة النبيّ ـ بما هو نبيّ ـ ولم يتحقّق إلاّ منه، ولا معنى لصدوره من غيره، حتّى في عصره وزمن حياته، ومنه يظهر أنّ الروايات الدالّة على تحقّق الجمع من أشخاص معيّنين في زمن النبيّ لا يكون المراد بها هذا المعنى، فإنّ مثل أُبيّ بن كعب لا يقدر على ذلك، وإن كان في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله ضرورة أنّه من شؤون القرآن وما به تقوم حقيقته، ولا طريق له إلاّ الوحي»[4]. ولقد جاء في المصاحف بشأن سورة الانفال عن عثمان بن عفان: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد فكان إذا أنزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب له فيقول ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وإذا

---

١ ـ ظ: اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير، ٣٠٧-٣٠٨.
٢ ـ المصاحف لابن أبي داود، ص٩، باب جمع أبي بكر.
٣ ـ ظ: اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير، ٣٠٧-٣٠٨.
٤ ـ اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير، ص٣٠٤.

أنزلت عليه الآيات قال ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وإذا أنزلت عليه الآية قال ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت سورة الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة»[1].

وأمّا الجمع الوارد في الروايات في باب جمع القرآن، فهو «أعمّ من الروايات الدالّة على عدم تحقّقه في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله، والروايات الدالّة على تحقّقه في زمنه من ناحية الأشخاص فالمراد به هو جمع المتفرّقات والمتشتّتات من جهة الأشياء المكتوبة عليها، والمنقوشة فيها، غاية الأمر أنّ الجمع في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله كان بمعنى القدرة على تحصيل القرآن بأجمعه، وحصوله له كذلك. وبعبارة أخرى كان عنده جميع القرآن في الأشياء المتفرّقة، والجمع بعد حياته بمعنى جمعه في اللوحين والقرطاس والمصحف.

فقد ظهر أنّ الجمع ـ بمعناه الذي هو محلّ الكلام ـ بعيد عن مفاد جميع الروايات بمراحل، وانّ المتّصف به لا يكون غير النبيّ صلى الله عليه وآله بوجه، فالروايات وكذا التواريخ الدالّة على تحقّق الجمع من أشخاص في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله أجنبيّ عن المقام بالمقدار الذي تكون الروايات التي هي مورد لاستدلال القائل بالتحريف كذلك، وعدم الالتفات إلى ذلك صار موجباً للخلط والاشتباه والانحراف عن مسير الحقيقة كما عرفت»[2].

أمّا ارتباط الجمع بأبي بكر: فهو أنّه قد جمع تلك المتفرّقات التي كان شأنها مبيّناً من جميع الجهات، وكانت خالية من نقاط الإبهام والإجمال بتمام المعنى في

---

١ ـ ابن ابي داود، المصاحف:، ج٢، ص٣١. ومسند أحمد، ج١، ص٦٩، الحديث، ٤٩٩، مسند عثمان بن عفان.

٢ ـ اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير، ص ٣٠٤-٣٠٥.

قرطاس أو مصحف الذي هو بمعنى القرطاس، أو قطع الجلد المدبوغ، وقد وقع التصريح في بعض الروايات بأنّ أبا بكر هو أوّل من جمع القرآن بين اللّوحين،[1] وقد قال الحارث المحاسبي[*] (١٧٠ ـ ٢٤٣هـ) في كتاب فهم السنن: «كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنّه صلى الله عليه [وآله] وسلم كان يأمر بكتابته، ولكنّه كان مفرّقاً في الرقاع والأكتاف والعسيب وإنّما أمر الصدِّيق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فيها القرآن منتشراً فجمعها جامع وربطها بخيط حتّى لا يضيع منها شيء»[2] وذكر السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) في إتقانه : «قال ابن التيّن وغيره الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب جملته لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقّفهم عليه النبي صلى الله عليه وآله»[3].

٢ ـ الكتاب:

جاء في لسان العرب «الكِتابُ: اسم لما كُتب مَجْمُوعاً»[4] والكتاب في اللسان العربي تعني جمع أشياء بعضها مع بعض لإخراج معنى مفيد، أو لإخراج موضوع ذي معنى متكامل وعكس (كتب) من الناحية الصوتية (بتك) وجاء فعل

---

١ ـ ظ: اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير: ص٣٠٤-٣٠٥.

* ـ هو الحارث بن أسد المحاسبي، ويكنّى أبا عبدالله، من أكابر الصوفية، كان عالماً بالأُصول والمعاملات، وهو استاذ أكثر البغداديّين في عصره، توفي ببغداد سنة ٢٤٣هـ. الاعلام، للزركلي، خيرالدين، ج٢، ص١٥٣.

٢ ـ الاتقان، للسيوطي، ج١، ص٦٠. والبرهان، للزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله. مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، ج١، ص١٧٤.

٣ ـ السيوطي، الاتقان، ج١، ص٦١.

٤ ـ لسان العرب، لابن منظور، ج١، ص٦٩٨، مادة كتب.

(بتك) في قوله تعالى ﴿ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ (النساء: ١١٩)، فالكتاب في المعنى عكس البتك[١].

وقد ورد لفظ الكتاب في القرآن الكريم في عدة معانٍ، و« من الخطأ الفاحش أن نظن عندما ترد كلمة كتاب في المصحف أنها تعني كل المصحف؛ لأن الآيات الموجودة بين دفتي المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس تحتوي على عدة كتب (مواضيع) وكل كتاب من هذه الكتب يحتوي على عدة كتب: فمثلاً كتاب العبادات يحتوي على كتاب الصلاة وكتاب الصوم...»[٢] واحياناً يطلق الكتاب في القرآن على التوراة والإنجيل والقرآن.

والشاهد المهم هنا: «عندما تأتي كلمة كتاب معرّفة بأل التعريف (الكتاب) فأصبح معرفاً عندما قال ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ قالها معرفة ولم يقل: كتاب لاريب فيه، لأنه لو قالها لوجب تعريف هذا الكتاب. فمجموعة المواضيع التي أُوحيت إلى محمد ﷺ هي مجموعة الكتب التي سميت (الكتاب)، ويؤيد ذلك أن سورة الفاتحة تسمى فاتحة الكتاب»[٣] فقد استعمل لفظ الكتاب في القرآن بهذا المعنى في أكثر من مائة موضع[٤]، منها قوله تعالى:

- ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (النساء: ١٠٥).
- ﴿ إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (الأعراف: ١٩٦).
- ﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (يونس: ١).

---

١ ـ ظ: شحرور، محمد، الكتاب والقرآن، ص٥٣.
٢ ـ م . ن: الصفحة نفسها.
٣ ـ م . ن: ص٥٤.
٤ ـ ظ: الصغير، د محمد حسين، تاريخ القرآن، ص٧٧.

فالذي يتبادر إلى الذهن مباشرة من إطلاق لفظ الكتاب هنا هو القرآن الكريم و«إنّ لفظ (الكتاب) ظاهر في المكتوب الذي كان مجموعاً مؤلّفاً، ولو نوقش في هذا الظهور بملاحظة أصل اللغة فلا مجال للمناقشة بالنظر إلى العرف العام الذي ألقى عليهم مثل هذه التعبيرات ضرورة أنّ ظهوره في المجموع المؤلّف ممّا لا ينبغي الارتياب فيه بهذا النظر»[1]؛ لأنه لا يصح إطلاق الكتاب عليه وهو في الصدور، بل ولا على ما كتب في اللخاف، والعسب، والأكتاف، إلا على نحو المجاز والعناية، والمجاز لا يحمل اللفظ عليه من غير قرينة، ولا يطلق على المكتوب إذا كان مجزءاً غير مجتمع، فضلاً عمّا إذا لم يكتب، وكان محفوظاً في الصدور فقط[2].

ونفسه المستشرق جلكريست أقرّ بهذا المعنى وفهم من لفظ (الكتاب) بأنه (القرآن) عندما جاء ذلك في معرض رواية ما تسمى بآية الرجم، إذ قال ما مضمونه: يمكن أن نجد بوضوح تام أن عمر كان مقتنعاً بأن هذا النص (آية الرجم) في الأصل كان جزءاً من النص القرآني. فالكلمات الرئيسية في الرواية، هي (وأنزلنا عليه الكتاب فكان مما أنزلناه آية الرجم)، وتعني حرفياً أن الله قد أنزل عليه الكتاب أي (القرآن)[3].

ويؤيّد هذا المعنى ما جاء على لسان النبيّ ﷺ في مثل حديث الثقلين المعروف بين الفريقين (إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي) فالكتاب الذي يخلفه رسول الله ﷺ في أمته هو الكتاب المجموع والمرتب، لا الآيات المتفرقة، إذ لا يطلق عليها الكتاب[4]. ولو علم أنّ كتاب الله غير مجموع كاملاً، وسيذهبُ

---

١ ـ اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير، ٢٩٧.

٢ ـ ظ: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٥٢.

3 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 91 – 92.

٤ ـ ظ: الشيرازي، محمد الحسيني، متى جمع القرآن، ص١٢.

ويصيرُ من التغيير والفساد إلى حال لا تقومُ به الحجة لم يكن للأمر بالرجوع إليه والتمسُّك به وجه، ولكان يجبُ أن يخبرهُم بأن الكتاب سيذهب، فلا يبقي معهم مَا يرجعُون إليه ويهتدون به[1]، وكذلك روايات عرض الأحاديث على كتاب الله، ما روي «أنّ النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته، وما خالفه فلم أقله»[2] وما جاء عن أبي جعفر الثاني الامام الجواد عليه السلام «في مناظرته مع يحيي بن أكثم أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع: قد كثرت علي الكذابة وستكثر فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنتي فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به»[3] وإذا لوحظ إطلاق لفظ الكتاب هنا وخصوصاً مع ملاحظة وهو ما يميز هذا الحديث، إنه جاء في حجة الوداع في آخر أيام النبي، وجاء جوّ الرواية في معرض مناظرة واحتجاج وهل الكتاب الذي يعرض عليه الحديث، والذي يحتج به، إلا الكتاب المكتوب والمجموع الكامل، لا الكتاب المتناثر هنا وهناك، والذي نقص من وحيه أو الذي أُضيف عليه.

٣ ـ المصحف:

فقد أُستعمل هذا اللفظ في كثير من روايات جمع القرآن، ولتوهم أن كلما يذكر هذا اللفظ فهو يعني القرآن بأجمعه، فلم يُفرقْ بين المصطلحين كما فعل

---

١ ـ ظ: الباقلاني، القاضي أبو بكر، الإنتصار للقرآن، ج٢، ص٤٤٥.

٢ ـ البيهقي، معرفة السنن والآثار للبيهقي، ج١، ص١١١. وابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج٢، ١١٨٩.

٣ ـ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٢، ص٢٢٥.

مستشرقنا جلكريست بقوله: «نفس النصوص تنفي الفرضية الحديثة القائلة بأن المصحف الحالي هو نسخة طبق الأصل للقرآن الأول لم يحذف منها شيء ولم يمسسها أي تغيير»[1].

وليس الأمر على إطلاقه، ففي اللغة جاء أن «الصحيفة التي يكتب فيها، والجمع صحائف وصُحُف وصُحْف، والمُصْحف والمِصْحف: الجامع للصحف بين الدفتين»[2] وبناءً على ما ذُكر «فإن المصحف: اسم للكتاب المجلد؛ وذلك لأنه إذا كانت الصحيفة هي ما يكتب فيها، وجمعها الصُحُف، والمُصْحف: هوالجامع للصحف بين الدفتين، والدفتان: هما جلدتا الكتاب. فالمصحف في كلامهم بمعنى الكتاب المجلد في كلامنا. وبناءً عليه، إن المصحف: اسم لكل كتاب مجلد قرآناً كان أم غير قرآن»[3] وقد مرّ هذا الاستعمال بهذا المعنى اللغوي في الروايات منها قول زيد: (فتتبعت القرآن فكانت الصحف عند أبي بكر) ومنها قول عثمان: (أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف...)، ومن الواضح أن الصحف والمصاحف ذُكرا في القولين المذكورين آنفاً بنفس المعنى اللغوي: (الكتاب المجلد)، وأكثر تصريحاً ما قُرئ سابقاً في روايات أخرى:

أ ـ (أقسم علي أن لا يرتدي الرداء إلا لجمعة، حتى يجمع القرآن في مصحف).

ب ـ ورواية (إنهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر).

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 30.

٢ ـ راجع مادة (صحف) في الصحاح للجواهري (ت: ٣٩٣ هـ). والمحكم لابن سيده، ج٣، ص١٥٩. والمفردات للراغب (ت: ٥٠٢ هـ). ولسان العرب لابن منظور (ت: ٧١١ هـ). والقاموس المحيط للفيروز آبادي (ت: ٨١٦ أو ٨١٧ هـ).

٣ ـ العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج١، ص٢٦٤-٢٦٥.

ج ـ (أن عمر بن الخطاب أمر بالقرآن فجمع، وكان أول من جمعه في المصحف). وهذه الروايات تدل على أن في عصر روايتها كان المصحف في كلامهم أعم من القرآن، فقد جاء فيها تعبيرها:

أ ـ (حتى يجمع القرآن في مصحف).

ب ـ (جمعوا القرآن في مصحف).

ج ـ (أمر بالقرآن، وكان أول من جمعه في المصحف). ولو كان لديهم هو القرآن لكان تفسير الروايات كالآتي:

أ ـ (حتى يجمع القرآن في القرآن).

ب ـ (جمعوا القرآن في القرآن).

ج ـ (وكان أول من جمع القرآن في القرآن)[1].

وهكذا جاء معنى المصحف في روايات أهل البيت عليهم السلام بنفس المعنى اللغوي أيضاً فجاء في الكافي في (باب قراءة القرآن في المصحف) «عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرأ القرآن في المصحف متع ببصره وخفف عن والديه وإن كانا كافرين»[2]. وعنه أيضاً عليه السلام «قال: قراءة القرآن في المصحف تخفف العذاب عن الوالدين ولو كانا كافرين»[3].

واستُغلت مسألة اختلاف المصاحف أيّما استغلال للتشكيك في النص القرآني، فقال قائلهم (جلكريست) حول اختلاف مصاحف الصحابة: «لم يكن مصحفاً رسمياً كما رأينا بل لم يكن سوى نص قام شخص واحد بجمعه ألا وهو

---

١ ـ ظ: العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين: ج١، ص٦٥-٦٦.

٢ ـ الكليني، محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي، ج٢، ص٣٣٩-٣٤٠. باب قراءة القرآن في المصحف.

٣ ـ م . ن: الصفحة نفسها.

زيد بن ثابت بنفس الطريقة التي جمع بها عبد الله بن مسعود والصحابة الآخرون مصاحفهم. لم يكن هذا أبداً النص الذي أَذِن به محمد شخصياً، بل لم يكن إلا نصاً مماثلاً له وواحد من بين عدة نصوص مختلفة كانت منتشرة آنذاك»[1].

لكن فيما تقدم يثبت أن المصحف كان يستعمل في كلام الصحابة والتابعين والرواة من مدرسة الفريقين ويراد به الكتاب المجلد وأعم من القرآن، فإن لكثير من الصحابة مصاحف كتب كلٌ منهم في مصحفه القرآن وما سمعه من الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في تفسير بعض الآيات، إذن كان معنى مصاحف الصحابة في عصر الصحابة: القرآن المكتوب مع حديث الرسول في تفسير بعض آياته أو أسباب نزوله كما هو الحال في تفاسير القرآن بالمأثور مثل الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور للسيوطي في مدرسة الخلفاء والبرهان في تفسير القرآن لدى أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام [2].

وبقيت مسألة تدل على المطلب، وهي (تجريد القرآن عن الحديث النبوي)، فقد وردت أخبار متضافرة بخصوص بعض الصحابة والخلفاء: الأول والثاني والثالث مفادها: أن يُمحى كل ما في القرآن من حديث الرسول وبياناته وتفسيراته وغيرها؛ كي لا يختلط ذلك بالقرآن ويلتبس الأمر «عن أبي الزعراء عن بن مسعود قال: جردوا القرآن ولا تلبسوا به ما ليس منه»[3] وما نُقل عن الخليفة الثاني «جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أُمضوا

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 47.

٢ ـ ظ: العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين،ج١، ٢٦٥-٢٦٦.

٣ ـ بن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار المعروف بمصنف ابن أبي شيبة، ج٢، ص٢٣٩. والمعجم الكبير للطبراني، ج٩، ص٣٥٣، رقم الحديث ٩٧٥٣، باب عبد الله بن مسعود. و شعب الإيمان للبيهقي، ج٢، ص٥٤٧.

وأنا شريككم»[1] وكذلك ما روي «أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال إنكم تحدّثون عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشدّ اختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه»[2]، وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ «فهذا المرسل يدلك أن مراد أبي بكر التثبت في الأخبار والتحري»[3].

وبناءً على هذه الأخبار ودلالتها الوضاءة، من أنه كان لدى الصحابة إلى ذلك العصر مصاحف كُتب فيها مع آي القرآن حديث الرسول ﷺ في بيان آي القرآن الذي كان يتلقاه أيضاً عن طريق الوحي، إذن فالمصحف قبل إحراق المصاحف كان إسماً للقرآن الذي كُتب معه تلك البيانات[4].

فلا تبقى بعد ذلك باقية لدعوى أن اختلاف المصاحف والتي تعلّق بأهدابها المستشرقون أمثال جون جلكريست، لها تأثير سلبي على النص القرآني الموحى من قبل الله سبحانه.

المبحث الثاني
حقيقة ارتباط النسخ بجمع القرآن

تمّ الحديث عن النسخ في الفصل السابق،[5] ؛ لكن لأهمية الموضوع وما له

---

١ ـ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين بتعليق الذهبي، ج١، ص ١٨٣. ومعرفة السنن والآثار للبيهقي، ج١، ص٤٦، و مشكل الآثار للطحاوي، ج١٥، ص٣١٦.

٢ ـ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص٩.

٣ ـ م .ن: الصفحة نفسها.

٤ ـ ظ: العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين،ج١، ٢٩٧.

٥ ـ يراجع الفصل الثالث ص١١٦ وما بعدها. والفصل الرابع ص١٣٨-١٣٩من هذا الكتاب.

من تداعيات خطيرة على مستوى البحث القرآني وتتمة لما سبق سينبسط الكلام هنا بتفصيل أكثر، لأن موضوع النسخ أخذ مأخذاً واسعاً من المستشرقين ومنهم، ضيف كتابنا الحالي جون جلكريست، فحاولوا سحب النسخ إلى عملية جمع القرآن وجعله ركناً أساسياً فيها، واعتباره من الأسباب الرئيسة المهمة لعدم الجمع؛ تماشياً مع ما وجدوه في مصادرنا الإسلامية، فكان من الأجدر بيان حقيقة الفهم الصحيح للنسخ في القرآن.

إذ قال جلكريست بكل اعتزاز؛ لأنه متحصن بمعطياته الإسلامية الحديثية: «حين كان لا يزال [النبي] على قيد الحياة كانت هناك دائماً إمكانية نزول أجزاء جديدة من القرآن ولهذا لم يكن من الممكن جمع النص في كتاب واحد... بشهادة القرآن نفسه كان من الوارد نسخ بعض الآيات خلال فترة النزول (بالإضافة إلى ما تم نسخه من قبل) وهذا ما يحول دون جمع النص في كتاب واحد ما دامت إمكانية نسخه قائمة»[1]. ويقول منتقداً: «تفترض هذه النظرية أن كل جزء من القرآن لم يتم ضَمُّه للمصحف وقت جمعه أو ألغي لسبب آخر وجب أن يكون الله قد نسخه. لهذا فلا شيء من القرآن قد فُقِد لأن ما وصلنا هو كل ما أراده الله أن يصلنا من القرآن»[2].

أولاً ـ تحرير محل النزاع:

يعتمد القائلون بهذا الرأي، وهو الرفع والازالة تماشياً مع المعنى اللغوي لهذه الكلمة، والمشهور بنسخ التلاوة دون الحكم ونسخ التلاوة والحكم أي رفع الآية كلياً، اعتمدوا على الآيتين الكريمتين:

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 20.

2 - Ibid , p 86.

الأولى: الآية ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾(البقرة: ١٠٦)، ففسروا كلمة(آية) هنا بالجزء من السورة، ويكون المعنى على هذا: ما ننسخ من آية من آيات القرآن أو نمحها من الاذهان، نأت بآيات خير منها أو مثلها. وبذا قال جلكريست «يجب أخذ النص القائل بالنسخ بمعناه الذي فُهِم على أساسه اصلاً وليس كما يريده العلماء المعاصرون خدمة لأهوائهم الذاتية»[١].

الثانية: الآية ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ... ﴾ (النحل: ١٠١)، وفسروا أيضاً لفظ (آية) فيها بالجزء من السورة، ويكون المعنى على هذا: إذا بدلنا آية من آيات سور القرآن مكان آية أخرى[٢]. «هذه الآية تدل بوضوح على استبدال وحذف بعض النصوص من القرآن نفسه فهي لا تقول إن الله استبدل كتاباً معيناً (التوراة أو الإنجيل) بكتاب آخر بل استبدل آية بأخرى»[٣].

ولفك رموز هذا النزاع يتسلسل البحث بالآتي: دراسة موارد استعمال مادّة (آية): فإنّها في الإصطلاح الإسلامي استعملت في عدة معاني، ولمّا كانت مادّة (آية) مشتركة بين عدة معانٍ إصطلاحية ولغوية، واستعمل في جميعها في الكتاب والسنّة؛ لابدّ أن يأتي في الكلام قرينة دالّة على المعنى المقصود من الآية، كما هو شأن غيرها من الألفاظ الّتي لها معان متعددة ـ اللفظ المشترك ـ[٤].

«ولا شك في جواز استعمال اللفظ المشترك في أحد معانيه بمعونة القرينة المعيِّنة، وعلى تقدير عدم القرينة يكون اللفظ مجملاً لا دلالة له على أحد معانيه.

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 85.

٢ ـ ظ: العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين،ج٢، ص ٢٩١.

3 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 85.

٤ ـ ظ: العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين،ج٢، ص ٢٨٨.

كما لا شبهة في جواز استعماله في مجموع معانيه بما هو مجموع المعاني غاية الأمر يكون هذا الاستعمال مجازاً يحتاج إلى القرينة، لأنه استعمال للفظ في غير ما وضع له»[1].

ولضرب مثالٍ على المعنى المشترك في المصطلح الإسلامي بـ(الصلاة): إنّ الصلاة كانت في اللّغة بمعنى الدُّعاء، ثم وُضعت لعدّة معان، منها: الصلاة اليومية وصلاة العيدين والجمعة والكسوف والخسوف وغيرها، فلابدّ في استعمالها من وجود قرينة تعيِّن المعنى المقصود من اللفظ، فيقال ـ مثلا ـ: إذا انخسف القمر وجب عليك أن تصلّي ركعتين، فيُفهم المراد بها صلاة الكسوف، وكذلك الشأن مع (الآية)، فإنّها لمّا كانت مشتركة في المصطلح الإسلامي بين عدّة معان لاتستعمل في الكلام دونما قرينة تدلّ على المعنى المقصود منها[2].

معنى (الآية) اللّغوي: العلامة الظاهرة على شيء محسوس أو الامارة الدالّة على أمر معقول[3]. مثال الأول (العلامة الظاهرة على شيء محسوس) في حكاية قول زكريا ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ (مريم: ١٠)، أي قال اجعل لي علامة واضحة، ومثال المعنى الثاني (الامارة الدالّة على أمر معقول) قوله تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٥)، أي كم من أمارة تدل على قدرة الله وحكمته، أو غيرها من صفاته يمرون عليها وهم عنها معرضون. ومعانيها الاصطلاحية المشتركة:

---

١ ـ المظفر، محمد رضا، اصول الفقه، ج١، ٢٥.

٢ ـ ظ: العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين،ج٢، ص ٢٨٨-٢٨٩.

٣ ـ ظ: المفردات للاصفهاني، ص٣٤.

أ ـ معجزات الأنبياء: ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ (الأعراف: ٧٣)، فنفهم من ذكر الناقة أنّ المقصود من الآية، المعجزة للأنبياء عليهم السلام[١].

ب ـ «الأشياء البارزة الملفتة للأنظار كالأبنية الشاهقة»[٢] كما في قوله تعالى ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾ (الشعراء: ١٢٨).

ج ـ بمعنى الحكم، قال الراغب في مفرداته «ولكل جملة من القرآن دالة على حكم، آية سورة كانت أو فصولاً، أو فصلاً من سورة»[٣].

أي كلّ حكمٍ من شريعة الله جاء في فصل أو فصول من القرآن أو الكتب السماوية الأُخرى. ففي قوله تعالى ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ الاحزاب ٣٤ ـ فبقرينة لفظي (مَا يُتْلَىٰ) و (وَٱلْحِكْمَةِ) نفهم أنّ المراد من الآيات أحكام من الشرع الإسلامي جاءت في فصول من القرآن الكريم، وحِكَم إلهيّة، وذلك بقرينة معنى: تلا الكتاب تلاوة: قرأه بتدبّر في معانيه، والتدبّر في المعنى يصدق على تفهّم معاني الاحكام. وكذلك (الحِكْمَة) يكون في ما جاء بمعاني الآيات[٤].

د ـ بمعنى جزء من السورة مشخص بالعدد: وهنا يجب الاشارة إن لفظة آية، جاءت بلفظ المفرد (آية) أربعاً وثمانين مرّة، وجاءت بلفظ المثنى (آيتين) مرّة واحدة، وجاءت بلفظ الجمع (آيات) ثمانياً وأربعين ومائة مرّة. وإنّ هذا المعنى (جزء من السورة مشخص بالعدد) للفظ آية لم يَرد في القرآن الكريم، إلا بغير

---

١ ـ ظ: العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج٢، ص٢٨٧-٢٨٨.
٢ ـ الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الامثل، ج١، ٣٣٠.
٣ ـ الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص٤١-٤٢.
٤ ـ ظ: العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج٢، ص٢٨٧-٢٨٩.

لفظ الجمع، وقد قُصد من (الآية) هنا ألفاظ الجملة القرآنية دون معناها. كما في قوله تعالى ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ يوسف ١ ـ وقوله تعالى ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ (الرعد: ١)، فنفهم من السياق (الٓرۚ) والاشارة بـ(تِلۡكَ) إليها، قرينة دالة على أنّ المقصود من الآيات، مجموعات تتكون من حروف كالألف واللاّم والرّاء. إذن فإنّ معنى الآيات هنا مجموعات لفظيّة اعتبر فيها تجمع الألفاظ دون المعنى، وهي المجموعات الّتي تشخّص بالأعداد، ومن مجموعها تتكوّن السورة[1].

«وبناءً على القول بعدم وجود المشترك اللّفظي في القرآن، فلا بدّ أيضاً من القول بلزوم وجود قرينة تدلّ على الفرد المقصود من مصاديق المعنى الكلّي عند استعمال اللفظ الموضوع للمعنى الكلّي وإرادة فرد خاص من مصاديقه. وبناء على ما قرّرناه لا بدّ إذن من وجود قرينة في الموارد المذكورة في البحث على كلاّ التقديرين. إذن فإنّ الآية في الكتب السماوية، إمّا أن تكون اسماً لمعانٍ جاءت فيها وهي الاحكام أو اسماً لمجموعة كلمات مُيِّزت بالأعداد في القرآن الكريم»[2].

ثانياً ـ مناقشة الاستدلال بآية ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ ﴾ :

فقد فسروا (آية) بمعنى الجزء من السورة وكذا قال جلكريست: «كلمة آية تعني هنا وفي حالات أخرى، النص القرآني نفسه كما هو مذكور في الآية ٧ من سورة آل عمران ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ ﴾ ... كذلك سورة هود الآية ١ ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ

---

١ ـ ظ: العسكري، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج١،ص٢٨٢-٢٨٣. و: ج٢، ص٢٨٧-٢٨٩.
٢ ـ م .ن: ص٢٨٩.

حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾... كلمة (آية) وردت كثيراً في القرآن وتعني عادة (علامة) من الله (يعني معجزاته الخارقة أو النُّذر إلى البشرية) لكن من الواضح أنه ليست هذه هي الآيات التي يقال إنها نُسِخت. الأية المذكورة لا تتحدث إلا عن آيات الكتاب ولايمكن أن تكون إشارات إلى المعجزات التي كان الله يظهرها من أجل إنذار عباده لأنها أحداث تاريخية محضة وقعت»[1].

يبدو أن جلكريست لا يختلف مع القول بأن كلمة (آية) من المشتركات اللفظية التي تحتاج إلى قرينة لتحديد المعنى المراد منها، لكنه صادر المطلوب في عدة أحيان ومنها هذه المرة، فقد حصر كلمة (آية) في معنيين فقط لا ثالث لهما: الأول بمعنى النص القرآني وجزء من السورة، والآخر: بمعنى المعجزة والعلامة الدالة لإنذار الناس؛ لكي يبقى في إطار ذينك المعنيين، فيقع الإختيار بدون شك وعناء على المعنى الأول دون الآخر.

وهذا الحصر ليس تام، فقد ثبت قبل قليل إنها مشترك بين خمسة معانٍ، بينها إثنان لغوية وثلاثة في المصطلح القرآني الإسلامي، واستُعملت بجميع معانيها بكثرة في القرآن الكريم. وعلى هذا الغرار أدرج الراغب الأصفهاني تلك المعاني تحت قسمين عندما قال في الأول: يقال لكل جملة من القرآن دالة على حكم آية، سورة كانت، أو فصولاً أو فصلاً من سورة. وفي الثاني: وقد يقال لكل كلام منه منفصل بفصل لفظي آية. وعلى هذا اعتبار آيات السور التى تعد بها السورة[2].

ويكون المعنى على قولهم (إن الآية تعني اللفظ الجزء من السورة): ما ننسخ من آية من سور القرآن، أو ننسها حكماً وتلاوةً، نأت بخير منها.

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 83.

٢ ـ ظ: الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص٤١-٤٢.

ويقال في مناقشتها:

١ ـ ذُكر أنّ مادّة (الآية) مشتركة بين معناها اللّغوي وعدّة معان إصطلاحية واللفظ المشترك بين عدّة معان لايستعمل في الكلام دونما وجود قرينة تشخّص المعنى المقصود من بين تلك المعان[١].

فإن احتياج اللفظ المشترك إلى القرينة إنما هو لتعيين المراد، لكونه موضوعاً لمسميات متعددة، فحيث يطلق يدل على تلك المسميات. فلا يمكن حصول جميعها في الذهن، ولا البعض دون البعض؛ لاستواء نسبة البعض إليها[٢] «لأنّه مع عدم نصب هذه القرينة لا يفهم المعنى من اللفظ كما هو واضح»[٣].

٢ ـ السؤال هنا ما هي القرينة الصارفة إلى المعنى المعين في آية ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ ؟ «جاءت القرينة على المعنى المقصود من الآية في الكلام كالآتي: إنّ هذه الآية جاءت ضمن مجموعة آيات يعاتب الله فيها اليهود إن لم يؤمنوا بهذا القرآن وبشريعة خاتم الأنبياء ﷺ ولا بالإنجيل وشريعة عيسى ابن مريم عليه السلام»[٤] فقد قال الله تعالى فيها: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ... إلى قوله تعالى: وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ... كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ

---

١ ـ ظ: العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج٢، ص٢٩٣.

٢ ـ ظ: العاملي، جمال الدين الحسن نجل الشهيد الثاني زين العاملي، معالم الدين وملاذ المجتهدين، ص١٢٥.

٣ ـ القدسي، أحمد، انوار الاصول، تقريراً لأبحاث الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ص٩٧.

٤ ـ العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج٢، ص٢٩٣.

عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ... وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ... إلى قوله تعالى: وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ... إلى قوله تعالى: مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ * مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ ... وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ... ﴾ (البقرة: الآيات ٨٧-١٢٠)، وعلى هذا، «فإنّ معنى (مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ): ما ننسخ من حكمٍ ـ مثل حكم القبلة والعيد في يوم السبت ـ من كتاب موسى عليه السلام التوراة، أو كتاب عيسى عليه السلام الإنجيل، نأت بخير منها، حكم استقبال الكعبة في القرآن الكريم والعيد في يوم الجمعة، في الكتاب وسنّة الرسول صلى الله عليه وآله»[1] وعليه جاء في تفسير الفخر الرازي ينقل جواب أبي مسلم بن بحر الأصبهاني (٢٤٥-٣٢٢ هـ): «المراد من الآيات المنسوخة هي الشرائع التي في الكتب القديمة من التوراة والإنجيل، كالسبت والصلاة إلى المشرق والمغرب مما وضعه الله تعالى عنا وتعبدنا بغيره، فإن اليهود والنصارى كانوا يقولون: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، فأبطل الله عليهم ذلك بهذه الآية»[2] ومن الناس من أجاب على هذا الاعتراض بأن الآيات إذا أطلقت فالمراد بها آيات القرآن لأنه هو المعهود عندنا، ولقائل أن يقول: لا نسلّم أن لفظ الآية مختص بالقرآن، بل هو عام في جميع الدلائل[3].

---

١ ـ العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين: ج٢، ص٢٩٤.

٢ ـ تفسيرالرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ج٣، ص٦٣٩.

٣ ـ ظ: م . ن: الصفحة نفسها.

وهذا الكلام ليس معناه أن يقال بعدم وجود النسخ في القرآن فعلاً، وبنفس الوقت يمكن إثبات النسخ من طريق آخر أو بآية أخرى، بغير آية (مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ). وجاء في الميزان ما يؤكد القول المتقدم «إن كون الشيء آية يختلف باختلاف الأشياء والحيثيات والجهات، فالبعض من القرآن آية لله سبحانه باعتبار عجز البشر عن إتيان مثله، والأحكام والتكاليف الإلهية آيات له تعالى باعتبار حصول التقوى والقرب بها منه تعالى، والموجودات العينية آيات له تعالى باعتبار كشفها بوجودها عن وجود صانعها وبخصوصيات وجودها عن خصوصيات صفاته وأسمائه سبحانه، وأنبياء الله وأولياؤه تعالى آيات له تعالى باعتبار دعوتهم إليه بالقول والفعل وهكذا ... ومن جهة أخرى الآية ربما كانت في أنها آية ذات جهة واحدة وربما كانت ذات جهات كثيرة، ونسخها وإزالتها كما يتصور بجهته الواحدة كإهلاكها كذلك يتصور ببعض جهاتها دون بعض إذا كانت ذات جهات كثيرة، كالآية من القرآن تنسخ من حيث حكمها الشرعي وتبقى من حيث بلاغتها وإعجازها ونحو ذلك. وهذا الذي استظهرناه من عموم معنى النسخ هو الذي يفيده عموم التعليل المستفاد من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ »[1].

وورد في تفسير العياشي «عن يعقوب بن سعيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ قال: خلقهم للعبادة، قال: قلت وقوله: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ فقال: نزلت هذه بعد تلك»[2].

---

١ ـ الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١، ص٢٤٧، تفسير سورة البقرة، آية ١٠٦-١٠٧.

٢ ـ تفسير العياشي، ج١، ص١٦٥.

وعقّب العلامة الطباطبائي على الرواية قائلاً: «وفيها دلالة على أخذه عليه السلام النسخ في الآية أعم من النسخ الواقع في التشريع ... وبعبارة واضحة: الآية الأولى تثبت للخلقة غاية وهي العبادة ...، فالآية الثانية تثبت للخلقة غاية، وهو الرحمة المقارنة للعبادة والاهتداء ولا يكون إلا في البعض دون الكل والآية الأولى كانت تثبت العبادة غاية للجميع فهذه العبادة جعلت غاية الجميع من جهة كون البعض مخلوقاً لأجل البعض الآخر وهذا البعض أيضاً لآخر حتى ينتهي إلى أهل العبادة وهم العابدون المخلوقون للعبادة فصح أن العبادة غاية للكل، نظير بناء الحديقة وغرس الشجرة لثمرتها أو لمنافعها المالية»[1].

وفي شأن نزول الآية قال الشيخ الشيرازي: «الآية الأُولى تشير أيضاً إلى بُعد آخر من أبعاد حملة التشكيك اليهودية ضد المسلمين. كان هؤلاء القوم يخاطبون المسلمين أحياناً قائلين لهم إن الدين دين اليهود وأن القبلة قبلة اليهود، ولذلك فإن نبيّكم يصلي تجاه قبلتنا (بيت المقدس)، وحينما نزلت الآية ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ (البقرة: ١٤٤)، وتغيّرت بذلك جهة القبلة، من بيت المقدس إلى مكة، غيّر اليهود طريقة تشكيكهم، وقالوا: لو كانت القبلة الأُولى هي الصحيحة، فلم هذا التغيير؟ وإذا كانت القبلة الثانية هي الصحيحة، فكلّ أعمالكم السابقة ـ إذن ـ باطلة. القرآن الكريم في هذه الآية يردّ على هذه المزاعم وينير قلوب المؤمنين ويقول: (مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ) وليس مثل هذا التغيير على الله بعسير (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)؟!

---

١ ـ الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١، ص٢٥١، تفسير سورة البقرة، آية ١٠٦-١٠٧.

الآية التالية تؤكد مفهوم قدرة الله سبحانه وتعالى وحاكميته في السماوات والأرض وفي الأحكام، فهو البصير بمصالح عباده: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾»[1].

أمّا قوله تعالى: (نُنسِهَا) قال المستشرق جلكريست «أصلها من فعل نسي الذي يعني أينما وجد في القرآن فقدان الشيء من ذاكرة الإنسان»[2]. وإن جلكريست يعتبرها بنفس المعنى الذي تعطيه كلمة (ننسخ) لذا يقول: كان الفهم العام لدى العلماء المسلمين من الأجيال الأولى هو أن أي جزء من القرآن ينسخه الله برمته كان يطلب من الناس أن ينسوه بالكامل (مَانَنْسَخ... أَوْنُنْسِهَا) أي ننسخها أو ننسها والكلمتان تعدان كياناً واحداً؛ لذا عندما كانت آية الرجم مخزونة في ذاكرة صحابي متميز مثل عمر، كان يفترض عند سحب النص من القرآن حقاً، أن تبقى كسنة، فان التعاليم والفروض المبينة في القرآن بقيت مع ذلك ملزمة كجزء من السنة النبوية[3].

فيقال هنا في كلمة (نُنسِهَا) إمّا أن يكون من مادّة (أنساها ينسيها) أو من (أنسأها ينسئُها). والإنساء إفعال من النسيان وهو بمعنى الإذهاب عن العلم والذكر وهو كلام مطلق أو عام غير مختص برسول الله ﷺ بل غير شامل له أصلاً[4] لقوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ * إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ فإذا «كان من مادّة (أنساها) يتضح معناها بعد التنبّه على أنّ الله سبحانه أرسل عشرات الأُلوف من

---

١ ـ الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الامثل، ج١، ص٣٢٧.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 30.

3 - see, Ibid, p 93.

٤ ـ ظ: الطبابائي، تفسير الميزان، ج١، ص٢٥٠-٢٥١، تفسير سورة البقرة، آية ١٠٦-١٠٧.

الانبياء في أُممٍ أُبيدت وانقرضت ممّن لم ترد أسماؤهم في القرآن، ولم يذكر الله أخبارهم فيه، وإنّما ذكر الله في القرآن أسماء بعض أنبياء بني إسرائيل والعرب الّذين عاشوا في المنطقة ـ الجزيرة العربية ـ وما حولها. وذكر بعض قصصهم وترك قصص سائر الانبياء أمثال هبة الله شيث بن آدم عليه السلام وعزير الّذي قال اليهود: إنّه ابن الله. ترك الله سبحانه قصص بعضهم. وعلى هذا يكون معنى (أَوْ نُنسِهَا) ما ننس ممّا في كتب السابقين، نأت بخير منها وأكمل، مثل ما في القرآن وشريعة خاتم الانبياء»[1].

وإذا كان من مادّة (ينسئها) وأنسأه ينسئه، أي: «من نسيء نسيئاً إذا أخر تأخيراً فيكون المعنى على هذا: ما ننسخ من آية [والآية هنا لا تعني الجزء من السورة] بإزالتها أو نؤخرها بتأخير إظهارها نأت بخير منها أو مثلها»[2] وعلى هذا يكون المعنى: والحكم نؤخّر تبليغه بما فيه خير للناس في ذلك الزمان مثل تأخير تبليغ نسخ حكم استقبال بيت المقدس إلى هجرة الرسول صلى الله عليه وآله إلى المدينة. وهذا المعنى هو المراد من (نُنسِهَا) وليس المعنى الاوّل[3].

ثالثاً ـ مناقشة الاستدلال بآية ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ... ﴾ وقال جلكريست فيها: إنّ القرآن في هذه الآية يشير إلى آيات الكتاب نفسه وليس الكتب السماوية السابقة. وهذا بالذات السبب (أي ادعاء أن الله قد استبدل بعضاً من آياته القرآنية السابقة) الذي دفع خصوم محمد لاتهامه بالتزوير لأنهم اعتقدوا أن مسألة النسخ هذه لم تكن سوى ذريعة لتبرير نسيان محمد لنصوص

---

١ ـ العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج٢، ص٢٩٤.
٢ ـ الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١، ص٢٥١، تفسير سورة البقرة، آية ١٠٦-١٠٧.
٣ ـ ظ: العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج٢، ص٢٩٤.

سابقة أو لاستبدالها[1].

في مناقشة الاستدلال بهذه الآية يمكن القول: بأن الآية هنا مما هو من قبيل المعاني أو الأعيان الخارجية كما في قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الشعراء:١٩٧)[2]؛ لأنها نزلت ضمن مجموعة آيات يتحدّث فيها الله ـ جلّ اسمه ـ عن القرآن وأدب قراءته، وتشكيك المشركين من أهل مكة، وإدحاض افترائهم، حيث يقول ـ عزّ اسمه ـ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ * إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ * وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * ﴾ «إشارة إلى النسخ(*) وحكمته وجواب عما اتهموه صلى الله عليه [وآله] وسلم به من الافتراء على الله، والظاهر من سياق الآيات أن القائلين هم المشركون و إن كانت اليهود هم المتصلبين في نفي النسخ»[3] ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ (النحل: ٩٨-١٠٥)،

---

1 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 85.

٢ ـ ظ: الطبابائي، تفسير الميزان، ج١٠، ص٧، تفسير سورة يونس، آية١.

* ـ النسخ هنا ليس بمعنى الازالة والرفع والحذف؛ لأن العلامة الطباطبائي بيّن ذلك في موضع آخر قائلاً: «وكيف كان فالنسخ لا يوجب زوال نفس الآية من الوجود و بطلان تحققها بل الحكم» الطباطبائي، الميزان، ج١، ص٢٤٦، تفسير سورة البقرة، آية ١٠٦-١٠٧.

٣ ـ الطبابائي، تفسير الميزان، ج١٢، ص٣٤٥، تفسير سورة النحل، آية ٩٩ ـ ١٠١.

فمن خلال السياق يكون المعنى (وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً) أي: بعض أحكام القرآن المذكورة في فصلٍ أو فصولٍ منه، (مَّكَانَ ءَايَةٍ) أي: مكان بعض أحكام التوراة أو الإنجيل المذكورة في فصلٍ أو فصولٍ من أحدهما، والله أعلم بما ينزِّل، وحكمته، (قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ) في ما أتيتَ به من الكتاب المجيد[1] ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ * وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ ﴾ إذن فالآية أجنبية عن نسخ التلاوة[2].

ويؤكّد ما ذُكر أربعة أُمور:

١ ـ بدء المجموعة بذكر القرآن.

٢ ـ إيراد الضمير المذكور في (نَزَّلَهُۥ)، فإنّه لو كان القصد من (نَزَّلَهُۥ): الآية من السورة لكان ينبغي أن يقول ـ عزّ اسمه ـ (نزّلها)، أي نزّل الآية من السورة، ولما أعاد الله ـ سبحانه ـ الضمير إلى المذكّر، ظهر أنّ المقصود من الآية هو القرآن أو حكم في القرآن، ولهذا أعاد الضمير إلى معنى (الآية) وهو القرآن أو الحكم المذكّر.

٣ ـ حكايته قولهم بأنّه (يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ) وكان قصد المشركين من تعليم البشر تعليم البشر إيّاه القرآن أو بعض أحكام القرآن ـ معاذ الله ـ ولم يقصدوا تعليمه آية واحدة من القرآن.

---

١ ـ ظ: العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج٢، ص٢٩٦.

٢ ـ ظ: الطبابائي، تفسير الميزان، ج١٢، ص١٣١، تفسير سورة الحجر، آية ١-٩.

٤ ـ أمره الرسول باتباع ملة إبراهيم وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ (النّحل: ١٢٤) وهم بنو إسرائيل، ثمّ ختم الآيات بقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ (النّحل: ١١٨)»[١].

وهناك آيات أحكام من سورة النحل آية ١١٣ ـ ١١٨ «تُذكر فيها محرمات الأكل ومحللاته ونهي عن التحليل والتحريم ابتداعاً بغير إذن الله وذكر بعض ما شرع لليهود من الأحكام التي نسخت بعد، وفي ذلك عطف على ما تقدم من حديث النسخ في قوله: (وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ) وإشارة إلى أن ما أنزل على النبي صلى الله عليه وآله إنما هو دين إبراهيم عليه السلام المبني على الاعتدال والتوحيد مرفوعاً عنه ما في دين اليهود من التشديد عليهم قبال ظلمهم»[٢].

وقوله تعالى: (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أي أكثر هؤلاء المشركين الذين يتهمونك بقولهم (إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۚ) لا يعلمون حقيقة هذا التبديل والحكمة المؤدية إليه بأن الأحكام الإلهية تابعة لمصالح العباد ومن المصالح ما يتغير بتغير الأوضاع والأحوال والأزمنة فمن الواجب أن يتغير الحكم بتغير مصلحته فينسخ الحكم الذي ارتفعت مصلحته الموجبة له بحكم آخر حدثت مصلحته[٣].

«وأخيراً لم نجد في ما ذكروا من التفاسير رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه فسّر لفظ (آية) في الموردين هنا بالآية الّتي هي جزء من السورة كما قالوا به، وإنّما نقلوا ذلك من المفسِّرين»[٤].

---

١ ـ العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج٢، ص٢٩٦.
٢ ـ الطبابائي، تفسير الميزان، ج١٢، ص٣٦١، تفسير سورة النحل، آية ١٢.
٣ ـ ظ: م. ن : ج١٢، ص٣٤٦، تفسير سورة النحل، آية ١٠١.
٤ ـ العسكري، سيد مرتضى، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج٢، ص٢٩٧.

وهكذا فإن الآيتين في المقام، بعيدتان عن الفهم الذي فهمه جلكريست والذي استلّه بطريقة وبأخرى من الموروث الإسلامي إشارة منه إلى نسخ التلاوة والحكم، ونسخ التلاوة دون الحكم كما قال: «هذه الآية [آية ما ننسخ، أو آية وإذا بدلنا] تدل على إمكانية نسخ (أي حذف وإلغاء) بعض المقاطع القرآنية في حين تنزل مقاطع جديدة تعتبر ناسخة معوضة لها»[1].

بينما المستشرق وات فهم فهماً مغايراً بعد أن ضرب مثالاً لنسخ الحكم دون التلاوة قال: «وعلى أية حال، فقد ظلت الآيات المنسوخة والآيات الناسخة معاً في النص القرآني»[2] لكنه كما تقدم بيانه سابقاً بأنه يمكن إثبات وقوع النسخ (نسخ الحكم دون التلاوة كآية النجوى الغير مستلزم للتحريف) لكن بطريق آخر غير هذين الموردين.

المبحث الثالث

حقيقة روايات جمع القرآن

المحور الأول ـ نتائج المستشرق جون جلكريست:

استند المستشرق جون جلكريست كما مرّ على روايات محدودة في هذا الباب وألف واستنتج نتائج وجعلها كالمسلّمات، وبُنيت نتائجه على أساس ما لديه من المعطيات، ومن حقه أن يجعلها كذلك فقد استلهمها من كتبٍ صحاحٍ بعد القرآن، عند شريحة واسعة من المسلمين، وهي تعتبر الأساس الثاني في الشريعة

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 83.

٢ ـ وات، مونتجمري، الإسلام والمسيحية، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ،ص٥٦.

لديهم؛ لذا قال جلكريست: فهذا ما سيتضح من الدلائل المأخوذة من التراث الإسلامي القديم، وهذا هو ما تظهره النصوص المأخوذة من التراث الإسلامي الأصيل[١].

و«من خلال المعلومات التي نتوفر عليها حول جمع القرآن بعد وفاة محمد نستنتج أن القرآن لم يتم أبداً وضعه في مصحف واحد في عهد محمد»[٢] فكانت النتائج كثيرة من بينها:

١ ـ عبارة عن التشكيك في النص القرآني ونقصانه وعدم كماله حق الكمال؛ بما أن القرآن لم يجمع إلا بعد وفاة النبي وكان متناثراً في ذاكرات الصحابة، هناك احتمال ضياع أجزاء من النص لأن هذا الأخير لم يكن مجموعاً في كتاب واحد بل كان متناثراً بشكل واسع.

٢ ـ لم يكن القرآن الذي تم جمعه صورة طبق الأصل لما جاء به محمد لم يضف إليه لا حرف ولا كلمة ولا نقطة ولم يفتقد منه أي شيء[٣].

٣ ـ وما يقال عن الكمال المطلق للقرآن وخلوه من الزيادة والتحريف والإختلاف لا يمكن أن يثبت ويصمد أمام البراهين الثاقبة فما هو إلا نِتاج للمشاعر والمتمنيات لا يمس بصلة إلى الإثبات العقلي![٤].

ويمكن إيجاز مصدر هذه الشبهات بالآتي:

١ ـ إن القرآن جمع على مراحل ولم يتم جمعه في كتاب واحد خلال حياة

---

1 - see, Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 28 – 30.

2 - Ibid , p 19- 20.

3 - see, Ibid , p 27.

4 - see, Ibid , p 55.

محمد، وإن الجمع كان بأمر من أبي بكر بعد أن قتل سبعون رجلاً من القراء في بئر معونة، وأربعمائة نفر في حرب اليمامة فخيف ضياع القرآن وذهابه من الناس.

٢ ـ كان القرآن مفرقاً بين العسب، والرقاع، واللخاف، وصدور الناس. وذاكرة أهل البوادي، فتصدى عمر وزيد بن ثابت لجمع القرآن. وكان ذلك أثقل من الجبال؛ لأنه أمر لم يقم به النبي.

٣ ـ وكان بشرط أن يشهد شاهدان على أنه من القرآن، والعادة تقضي بفوات شئ منه على المتصدي لذلك، إذا كان غير معصوم، كما هو مشاهد فيمن يتصدى لجمع شعر شاعر واحد أو أكثر، إذا كان هذا الشعر متفرقاً، وهذا الحكم قطعي بمقتضي العادة، فإن من المحتمل عدم إمكان إقامة شاهدين على بعض

ما سمع من النبي صلى الله عليه وآله فلا يبقى وثوق بعدم النقيصة[1].

٤ ـ ضاعت أشياء من القرآن بحجة كونها من منسوخ التلاوة والحكم.

٥ ـ حصل الخلاف مدة خلافة عثمان حتى اقتتلوا . فجمع نسخة وأحرق النسخ الباقية

٦ ـ كانت سورة براءة قدر سورة البقرة، ولكنهم أسقطوها.

٧ ـ اختلاف المصاحف، فمصحف ابن مسعود ١١٢ سورة ومصحف أُبيٍّ ١١٦ سورة.

٨ ـ سقوط سورتى الحفد والخلع.

٩ ـ حذف ابن مسعود الفاتحة من مصحفه، وكذلك حذف المعوذتين؛ لأنهما ليستا من القرآن.

---

١ ـ ظ: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٣٩.

١٠ ـ حذفهم آية الرجم وحذف الآيات الخاصة بالطمع فى الأموال، وحذف الآيات الخاصة بأن دين الإسلام أحسن من دين النصرانية واليهودية، وحذف قصة أصحاب بئر معونة، وحذف سورة تشبه سورة المسبحات.

١١ ـ إسقاط الحجاج بن يوسف من القرآن ما كان نزل فى بنى أمية وفى بنى العباس، وتغيير ما يلزم تغييره.

١٢ ـ أن عمر بن الخطاب كان أول من جمع القرآن بعد النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم بعد أن سأل عن آية فلم يجب إليها، ونهض بالمهمة زيد بن ثابت.

١٣ ـ أن أبا بكر مات، وعمر قد قتل، ولم يجمع القرآن بعد، إلى زمن عثمان أي أن المسلمين في حالة فوضى من شرائع دينهم، وكتاب ربهم.

وإن هذه الشبهات مبتنية على صحة واعتبار الروايات الواردة في كيفية جمع القرآن[1].

وقد تغافل أو تناسى معتنقي هذه الشبهات فى كثير من الأحيان ما فى هذه الروايات من تناقض وتعارض وتضارب، كما غضوا الطرف عن الطعون الموجهة لسند ومتن هذه الروايات من علماء الحديث والجرح والتعديل وعلم الكلام؛ لأنهم كانوا يحاولون بشتى الطرق إثبات وقوع التحريف فى القرآن بأساليب ملتوية وحجج واهية ودلائل فاسدة وشواهد مغلوطة ومشوهة. «والمثير للدهشة

١ ـ ظ: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٣٩. وقد قام المرجع الديني الراحل السيد أبوالقاسم الخوئي(١٨٩٩-١٩٩٢م) بدراسة وتحليل هذه الروايات ونقدها، واستخلاص النتائج بشكل علمي متين منها في كتابه البيان في تفسير القرآن. وجاءت الروايات في كل من صحيح البخاري، وصحيح مسلم، ومسند أحمد، وكنز العمال، والاتقان للسيوطي، وكان أهم هذه الروايات من خلال تعقيبه عليها غثها وسمينها إثنتان وعشرون رواية.

والاستغراب ويضع كثيراً من علامات الاستفهام والتساؤل، إصرار كثيرٌ من علماء السلف والخلف على صحة هذه الروايات؛ لأنها واردة بكتب الصحاح، رغم إجماع العلماء على أن ما جاء بكتب الصحاح لا يعني إلا صحة السند، وصحة السند لا تعني صحة المتن أو صحة الحديث»[1] فكان لا بد من وضع حدٍ لسيل هذه الشبهات التي انبجست من تلك الصحاح، ووضعها في الميزان حتى يميز الخبيث من الطيب منها.

المحور الثاني: نقد الروايات:

ويمكن تلخيص نقدها من عدة جهات:

الجهة الأولى ـ عدم اتصالها بالرسول صلى الله عليه وآله:

الشيء الذي يجب أن يكون محط نظر هو: لا يوجد في جميع روايات الجمع ما هو مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله[2]. وإنها أخبار آحاد غير متواترة[3]. لا تفيدنا علماً مخدوشة من جهات عدة[4]. والعجب من هؤلاء المحتجين بروايات منسوبة إلى الصحابة أو إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام يستلزم منها تحريف كتاب الله سبحانه وإبطال حجيته، وببطلان حجة القرآن تذهب النبوة سدى والمعارف الدينية لغاً لا أثر لها، وماذا يغني قولنا: إن رجلاً في تاريخ كذا ادعى النبوة وأتى بالقرآن معجزة، أما هو فقد مات وأما قرآنه فقد حرف، ولم يبق بأيدينا مما يؤيد أمره، إلا أن المؤمنين به أجمعوا على صدقه في دعواه وأن القرآن الذي جاء به كان

---

١ ـ عبد الحميد، هشام كمال، الحقيقة والاوهام في قضية جمع القرآن، ص٨.

٢ ـ ظ: الصغير، د محمد حسين، تاريخ القرآن، ص٦٦.

٣ ـ ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٢، ص١٢٢، تفسير سورة الحجر، آية ١-٩.

٤ ـ ظ: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٤٧.

معجزاً دالا على نبوته، والإجماع حجة لأن النبي المذكور اعتبر حجيته أو لأنه يكشف مثلا عن قول أئمة أهل بيته[1]. فصار من الواضح والبديهية في الدائرة الإسلامية، إلى أن كل رواية لم تصل إلى النبي ﷺ، لا تدخل ضمن منظومة التشريع أو الانتماء إلى قواعده ومعاييره وتبقى في دائرة الاجتهاد ليس إلا، فعملية جمع القرآن أصلاً، ليست هي أحاديثاً عن النبي ﷺ، وإذا كانت تلك الروايات يلزم منها التحريف فـ«بالجملة احتمال الدس ـ وهو قريب جداً مؤيد بالشواهد والقرائن ـ يدفع حجية هذه الروايات ويفسد اعتبارها فلا يبقى معه لها لا حجية شرعية ولا حجية عقلائية حتى ما كان منها صحيح الأسناد فإن صحة السند وعدالة رجال الطريق إنما يدفع تعمدهم الكذب دون دس غيرهم في أصولهم وجوامعهم ما لم يروه»[2].

وهناك روايات جاءت فيها ذكر سور مزعومة كاملة بما تسمى (الحفد والخلع) التي استشهد بها جلكريست «ففي الوقت الذي لم يكن مصحف بن مسعود يحتوي على المعوذتين أضاف مصحف أبي سورتي الحفد والخلع»[3] وقد نقل الرواية عن السيوطي[4].

وهذه التي تسمى سوراً «لا يشبه نظمها النظم القرآني بوجه فهو ظاهر لمن راجعها فإنه يعثر فيها بشيء كثير من ذلك ... رام واضعها أن يقلد النظم القرآني فخرج الكلام عن الأسلوب العربي المألوف ولم يبلغ النظم الإلهي المعجز فعاد يستبشعه الطبع وينكره الذوق ... وأن أكثر المعتنين بهذه السور والآيات المختلقة

---

١ ـ ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٢، ص١١٢-١١٣، تفسير سورة الحجر، آية ١-٩.

٢ ـ ن . م: ج١٢، ص١١٢-١١٣، تفسير سورة الحجر، آية ١-٩.

3 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 74.

٤ ـ السيوطي، الاتقان، ج١، ص٢٢٦.

المجعولة إنما دعاهم إلى ذلك التعبد الشديد بالروايات والإهمال في عرضها على الكتاب ولولا ذلك لكفتهم للحكم بأنها ليست بكلام إلهي، نظرة»[1].

الجهة الثانية ـ من جهة تناقضها واختلافها : فجاءت متناقضة في نفسها من جملتها:

١ ـ الاختلاف في زمن جمع القرآن متى كان؟ هناك روايات تنص أن الجمع كان في زمن عثمان، وصريح الروايات الاخرى وظاهر البعض الآخر أنه كان في زمان أبي بكر، وصريح روايات ثالثة أنه كان في زمان عمر[2].

٢ ـ الاختلاف فيمن تصدى لجمع القرآن: اختلفت الروايات فيمن أشار بالبدءِ فى هذا العمل، فرواية البخاري صرحت بأن عمر هو الذي أشار على أبي بكر بهذا العمل واستنكره أبو بكر فى البداية ثم وافق عليه بعد ذلك، وكان هذا بسبب قتل كثير من القراء يوم اليمامة، ورواية صرحت بأن زيد بن ثابت هو الذى أشار على عمر بذلك فاستنكر واستمهله حتى يشاور أبا بكر فمضيا إليه فاستمهلهم أبو بكر حتى يشاور المسلمين، ورواية أخرى أن أبا بكر كان صاحب هذا الاقتراح وطلب من زيد القيام بهذا العمل فرفض فاستعان عليه بعمر، وأخرى تقول أنه أبو بكر نفسه قام به، وإنما طلب من زيد أن ينظر فيما جمعه من الكتب. وأخرى قالت أن أبا بكر قد فوض إلى زيد ذلك[3].

---

١ ـ الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٢، ص١١٣ تفسير سورة الحجر، آية ١-٩.

٢ ـ ظ: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٤٧. وينظر: عبد الحميد، هشام كمال، الحقيقة والاوهام في قضية جمع القرآن، ص١٧.

٣ ـ ظ: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٤٧. وينظر: عبد الحميد، هشام كمال، الحقيقة والاوهام في قضية جمع القرآن، ص٢١.

وفي رواية مناقضة إن سبب جمعهم أن الخليفة عمر سأل عن آية فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فأمر بجمع القرآن.

٣ ـ الاختلاف في التدوين الكامل: ظاهر كثير من الروايات، بل صريحها أنّ التدوين كان كاملاً قبل زمن الخليفة عثمان، وصريح روايات اخرى، بقاء شيء من الآيات لم يدوّن إلى زمان عثمان، وظاهر كثير من روايات أخرى بل صريحها أيضاً أن عثمان لم ينقص مما كان مدوناً قبله، وصريح رواية ثانية أنه محا شيئاً مما دُوّن قبله، وأمر المسلمين بمحو ما محاه[١]. «فما هذا التضارب والتناقض بين هذه الروايات، وأي هذه الروايات نصدقها ونسلّم بصحتها، وما هي حقيقة ما حدث؟»[٢].

وقد اعترف جلكريست نفسه بهذا التضارب في الروايات، لكنه كنهجه ونهج بعض علماء المسلمين، المهم عنده صحة سندها وإن خالفت صريح القرآن، فقال جلكريست بعد أن يعرض تأويلات واعتراض عدّة من علماء المسلمين على رواية عبد الله بن مسعود بأنه أسقط الفاتحة والمعوّذتين من مصحفه، قال: «عكس هؤلاء وافق ابن حجر العسقلاني على كون هذه الروايات صحيحة من حيث الإسناد ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري ـ لكن رأى أن السبب الذي جعل ابن مسعود لا يكتبها هو كونه سمع محمد يقول إنه يجب فقط ترتيلها كأدعية للاحتماء من قوى الشر. في محاولته التوفيق بين الروايات المتضاربة حول هذا الموضوع اقترح أن يكون بن مسعود قد اعتبر بالفعل هذه المقاطع كجزء من الوحي لكن لم يجرؤ على إدخالها في المصحف المكتوب»[٣].

---

١ ـ ظ: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٤٧-٢٤٨.

٢ ـ عبد الحميد، هشام كمال، الحقيقة والاوهام في قضية جمع القرآن، ص٢١.

3 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 68-69.

٤ ـ الاختلاف في المصدر الذي جُمع منه القرآن: صريح بعض الروايات أن الذي اعتُمد عليه في جمعه هي الصحف التي جمعها أبو بكر، وصريح الروايات أن عثمان جمعه بشهادة شاهدين، وبإخبار من سمع الآية من رسول الله صلى الله عليه وآله [1].

في حين قَبِلَ زيد آخر آيتين من سورة التوبة من أبي خزيمة الأنصاري بمفرده دون أن يأتى له بشاهدين؛ لأنه ـ حسب الرواية ـ شهد له الرسول صلى الله عليه وآله بأن شهادته بشهادة رجلين؟ والسؤال المنطقي هنا هو: لماذا لم يرجعوا فى تدوين القرآن إلى الصحف التي دونت فى عصر النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم وبمعرفته عن طريق كتبته وحفظته الذين كان يملي عليهم ما ينزل عليه من القرآن، وكانوا كما قالت الروايات أكثر من أربعمائة؟[2] «وإذا سلمنا ذلك فلماذا أمر زيداً وعمر بجمعه من اللخاف، والعسب، وصدور الرجال، ولم يأخذه من عبد الله ومعاذ وأُبي، وقد كانوا عند الجمع أحياء، وقد أُمروا بأخذ القرآن منهم... على أن زيداً نفسه كان أحد الجامعين للقرآن على ما يظهر من هذه الرواية، فلا حاجة إلى التفحص والسؤال من غيره»[3].

٥ ـ الاختلاف في من كتب المصحف الإمام وأرسل منه نسخاً للبلاد: صريح رواية أنه كان عثمان، وصريح رواية أخرى أنه كان عمر. «وهذه الروايات المتضاربة المتعارضة دعت كثيراً من علماء السلف إلى محاولة الجمع بينها للتوفيق بينها جميعاً، وعدم رفض شيءٍ منها ولو كان على حساب العقل والمنطق، فصرحوا بأن عملية الجمع مرت بثلاث مراحل المرحلة الأولى تمت فى عصر أبي بكر،

---

١ ـ ظ: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٤٧-٢٤٨.
٢ ـ ظ: عبد الحميد، هشام كمال، الحقيقة والاوهام في قضية جمع القرآن، ص٢٢.
٣ ـ السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٥٢.

والثانية فى عهد عمر، والثالثة في عهد عثمان»[1].

٦ ـ الاختلاف في الآيتين من سورة التوبة والأحزاب: ذكر زيد بن ثابت فقد آيتين من سورة التوبة فوجدها زيد ثم ضاعت ثانية ووجدها زيد ولم تكن موجودة عند أحد من الناس الا عند آل خزيمة فقبل زيد شهادة خزيمة وحده، وفي رواية عن زيد انه وجدها عند ابن خزيمة وليس عند خزيمة، وفي رواية انه وجدها عند ابي خزيمة لا ابنه ولا حفيده فحكم خزيمة ذي الشهادتين لمجرد اسم خزيمة وفي بعضها ان الذي وجدها هو الخليفة عمر أو عثمان، وفي بعضها ان الذي وجدها وجاء بها هو صاحبها خزيمة، وإن فقدانهما وإلحاقهما في المصحف مرة كان في زمان أبي بكر ومرة في عهد عمر[2]، وصنف آخر من الروايات يصرح بأن ما فقد هو آية من سورة الأحزاب.

ما جعل جلكريست يستغل ذلك بقوله: «فمن المستبعد إذن أن يكون كثير من الحفاظ قد علموا جميع القرآن إلى آخر حرف منه لأنه كان متناثراً لدرجة أن بعض المقاطع لم يكن يعرفها إلا القليل من الصحابة»[3].

وهبْ أنه قُتل خمسمائة من ثلاثة آلاف قارئ في يوم اليمامة، فأين كان الألفان والخمسمائة قارئ الذين سلموا من تلك المعركة عن آية أو آيتين لم يجدوهما عند غير خزيمة بن ثابت، وكيف كانوا يحتاجون في كتابة الآية إلى من كان في البوادي وهل كان الرسول ﷺ قد بلغها ذلك الرجل وحده ولم يبلغ الآية غيره وكتمها عن الآخرين[4].

---

١ ـ السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٥.

٢ ـ الكوراني، تدوين القرآن، ص٣٢٣.

3 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 31.

٤ ـ ظ: العسكري، سيد مرتضى، روايات المدرستين، ج٢، ص٨٥.

الجهة الثالثة ـ معارضة روايات الجمع بروايات أخرى: فهي معارضة مع ما دل من الروايات على أن القرآن كان قد جمع، وكتب كاملاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله [1]. وهنا روايتان مهمتان تدلان على المطلب يمكن ذكرهما إضافة إلى ما ذكر سابقاً من روايات في طيات الكتاب: الأولى فى صحيح البخارى تشير إلى وجود نسخة من مصحف مجموع ومرتب ومجلد بين دفتين (جلدتين) والغريب إن هذه الرواية لم ترد في الكتب التي تحدثت عن جمع القرآن، ونصها: «حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع قال: دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس رضى الله عنهما، فقال له شداد بن معقل: أترك النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم من شيء؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدفتين . قال: ودخلنا على محمد بن الحنفية فسألناه فقال : ما ترك إلا ما بين الدفتين»[2]، والبخاري رواها في باب أسماه: (باب من قال لم يترك النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إلا ما بين الدفتين). وحاول ابن حجر العسقلاني فى فتح الباري نفي وجود هذا المصحف حتى لا يهدم وينفى سائر الروايات الأخرى التى صرحت بالجمع فى زمن أبي بكر وعمر وعثمان، وهو كلام لا يعقل، وما هي إلا محاولة للإلتفاف على النص وتبرير الروايات المتناقضة،[3] فقال العسقلاني: «ما بين الدفتين: أي ما في المصحف، وليس المراد أنّه ترك القرآن مجموعاً بين الدفتين؛ لأن ذلك يخالف ماتقدم من جمع أبي بكر ثم عثمان ...»[4] الرواية الثانية: في شأن نزول آخر ما نزل من القرآن الآية

---

١ ـ يراجع روايات جُمّاع القرآن، ذكرت بمصادرها في الفصل الاول من هذا الكتاب ص٤٠-٤٢.

٢ ـ صحيح البخاري، ج٤، ص١٩١٧، باب من قال لم يترك النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إلا ما بين الدفتين.

٣ ـ ظ: عبد الحميد، هشام كمال، الحقيقة والاوهام في قضية جمع القرآن، ص٢١١.

٤ ـ العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ج ٨، ٩٨٣.

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٨١)، فكانت هذه الآية على بعض الروايات هي آخر ما نزل على الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، ذكر المناوي(ت ١٠٣١هـ) «عن ابن عباس: أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال: ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة . وعاش رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بعدها أحداً وعشرين يوماً. أخرجه الثَّعْلَبِيّ من طَرِيق السّديّ الصَّغِير، عَن الْكَلْبِيّ، عَن أبي صَالح، عَن ابْن عَبَّاس وأخرجه الْبَغَوِيّ عَن ابْن عَبَّاس»[1] وقيل عاش بعدها: أحداً وثمانين . وقيل : سبعة أيام. وقيل: ثلاث ساعات[2].

وهنا ما يلفت النظر ويجلب الانتباه وهو قول جبرائيل للنبي صلى الله عليه وآله عند نزوله بالآية الأخيرة (ضعها في رأس المائتين والثمانين من سورة البقرة)، فإنه صريح في أن الله تعالى أمر نبيه بجمع القرآن، وبترتيبه ترتيباً دقيقاً حتى في مثل ترقيم الآيات، وقد فعل ذلك كما أمره الله تعالى، ولم يكن ليترك القرآن متفرقاً حتى يُجمع من بعده. وهل يمكن للرسول صلى الله عليه وآله أن لا يقوم بجمع القرآن وترتيبه، وأن يتركه مبعثراً في أيدي المسلمين ، ويوكل جمعه إليهم ، مع أن الوحي أخبره ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[3]، وهذا بالإمكان أن يكون جواب لإشكال أورده جلكريست عندما جعل من أسباب عدم جمع القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وآله، عدم

---

١ ـ المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين، الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، ج١، ص٣٢٨. وينظر: تفسير القرطبي،ج٣، ص٣٧٥. قال وذكر ذلك أبو بكر الأنباري في (كتاب الرد) حول آخر ما نزل.

٢ ـ ظ: الكشاف للزمخشري، في تفسير الآية، ج١، ص٣٢٣. وينظر: تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر، المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص١٦٣

٣ ـ ظ: الشيرازي، محمد الحسيني، متى جمع القرآن، ص١٢.

اكتمال نزوله، إذ قال: «لا يوجد في القرآن ما يدل على تمامه أو على استحالة نزول آيات جديدة»[1] .

وقال في موضع آخر: «هناك مكان واحد فقط في القرآن مستخدمة فيه كلمة ﴿جَمْعَهُۥ﴾ (يجمع أو يؤلف) بما يخص نص الكتاب نفسه، وذلك في الآية ١٧من سورة القيامة، إذ يقول الله ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ ... ومع ذلك، فهي تجعل الله يتكلم عن جمع القرآن قبل نزوله من السماء على محمد لذلك فإنه أيضاً لا يمكن تقديمها كدليل على جمع النص بعد نزولها»[2].

وللجواب يقال: حتى وإن كانت هناك آية صريحة مفادها: أن القرآن مجموع كامل في مصحف موحد، أو أن الله سيكفل جمع القرآن؛ سوف لا تُقبل مثل هذه الآية إن وجدت بنفس النقض الموجود في الاشكال المتقدم وسيُطرح نفس الكلام وسيقول المُشكِل: إن الله يتكلم عن جمع القرآن قبل تمام جمع القرآن، وإن هذه الآية كانت قبل عملية الجمع المشهورة، وهكذا دواليك.

لكن، أليس الله العالم بالأشياء قبل حدوثها، ويعلم ما كان وما يكون إلى أبد الآبدين، فليس من الصعب أن يعلم ما سيؤول إليه القرآن، على العموم ففي الآية يتعهد الخالق فى قرآنه لنبيه بإتمام عملية جمع وترتيب القرآن بمعرفته وعنايته ووحيه وأوامره إن الله لا يخلف الميعاد، فالآية تؤكد أن عملية جمع وترتيب القرآن ستتم بمعرفة وعناية الخالق سبحانه وتعالى وحده، من خلال ما سيوحيه لنبيه محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم فى هذا الأمر.

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 20.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 128.

ثم سيلي عملية الجمع والترتيب عملية الشرح والبيان ليوضحها ويبينها النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم للمؤمنين والأمة[1]، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾. هذا مضافاً إلى أن القرآن الكريم من المعروف قد اكتمل نزوله قبل وفاته صلى الله عليه وآله بتعدد الروايات في تحديد آخر ما نزل فوفق الرواية القائلة: «إن آخر ما نزل من القرآن عليه ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣)، وهي الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة»[2]، وجاء في مسند أحمد «عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ هَلْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْمَائِدَةِ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَتْ فَإِنَّهَا آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَلَالٍ فَاسْتَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»[3]، وهذا إذا عرفنا إنها نزلت قبل شهور واكتمل القرآن بها وفق ما جاء «عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال على بن أبي طالب صلوات الله عليه نزلت المائدة قبل أن يقبض النبي صلى الله عليه وآله بشهرين أو ثلاثة»[4]، فصراحة الآية إن الله أكمل تمام الدين، وهل يُعقل بأن يقرّ الله فى قرآنه بكمال وتمام هذا الدين، والقرآن الذى هو دستور الأمة لم يكتمل جمعه وترتيبه وحفظه وصيانته من الضياع فى مصحف تام؟ أليس القرآن وما يرتبط به من جملة الدين؟ بل هو أساس الدين الإسلامي[5].

---

١ ـ ظ: عبد الحميد، هشام كمال، الحقيقة والاوهام في قضية جمع القرآن، ص٢٠٧-٢٠٨.

٢ ـ تاريخ اليعقوبي، ١ /١٢٠ قرص المكتبة الشاملة.

٣ ـ مسند أحمد، ج٤٢، ص٣٥٣، رقم الحديث، ٢٥٥٤٧. والسنن الكبرى للبيهقي، ج٧، ص١٧٢. والسنن الكبرى للنسائي، ج٦، ص٣٣٣. والمستدرك على الصحيحين بتعليق الذهبي، فقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ج ٢، ص٣٤٠. باب تفسير سورة المائدة.

٤ ـ تفسير العياشي، ج١، ص٢٩٠، وبحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٧٣.

٥ ـ ظ: عبد الحميد، هشام كمال، الحقيقة والاوهام في قضية جمع القرآن، ص١٦.

الجهة الرابعة ـ تعارض أحاديث الجمع مع القرآن الكريم:

تجرأ جلكريست بالقول إن القرآن الكريم لم يأت عبر دائرة الأوامر الإلهية، فهماً منه للروايات الإسلامية، إذ لو كان كذلك لما بقي عشرين سنة لم يُجمع وإليك نصه: «لم يكن هذا المصحف إلا واحداً من بين عدد من المصاحف جُمعت بشكل مستقل خلال العشرين سنة التي تلت وفاة محمد، مصحف جمعه شخص معين ألا وهو زيد بن ثابت وأصبح النص الوحيد المقبول ليس بأمر إلهي ولكن بأمر دنيوي محض ألا وهو قرار استبدادي صدر عن عثمان بن عفان»[1].

ويمكن القول هنا إن هذه الروايات (روايات الجمع) معارضة بالكتاب، فإن كثيراً من آيات الكتاب الكريمة دالة على أن سور القرآن كانت متميزة في الخارج بعضها عن بعض، وإن النبي ﷺ قد تحدى الكفار والمشركين على الإتيان بمثل القرآن، وبعشر سور مثله مفتريات، وبسورة من مثله، ومعنى هذا: أن سور القرآن، بل القرآن بأجمعه كان في متناول أيديهم[2]. «فإنّ هذا التعبير لا يلائم مع تفرّق الآيات وتشتّتها، وعدم تحقّق التأليف والتركيب بينها، ضرورة أنّ السورة عبارة عن مجموعة آيات متعدّدة مركّبة منضمّة متناسبة من حيث الغرض المقصود منها، فالتعبير بها لا يناسب إلاّ مع التميّز والاختصاص»[3].

وقد أُطلق لفظ الكتاب على القرآن في كثير من آياته الكريمة منها قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ (البقرة: ١٢١)، إنهم المؤمنون الذين آتاهم الله القرآن وفيها حثٌّ وترغيب في تلاوة هذا الكتاب واتباعه[4]. وقوله

---

1 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 76 – 77.

٢ ـ ظ: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٥٢.

٣ ـ اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير، ص٢٩٦.

٤ ـ ظ: تفسير الرازي، ج ٤، ص ٣١

تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ (العنكبوت: ٥١) «أي يكفيهم آية هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك وهو يتلى عليهم فيسمعونه ويعرفون مكانته»[١] ، ومنها قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (آل عمران: ٣)، وفي هذه الآية إشارة إلى ثلاثة كتب، القرآن والتوراة والإنجيل. ومنها قوله تعالى: ﴿ حمٓ * وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الزخرف: ٤)، «فإنه ظاهر في أن هناك كتاباً مبيناً عرض عليه جعله مقروءاً عربياً، و إنما ألبس لباس القراءة والعربية ليعقله الناس وإلا فإنه ـ وهو في أم الكتاب ـ عند الله، عليٌّ لاتصعد إليه العقول»[٢].

ولعاقل أن يسأل ويناشد عقله: «كيف كان يتم تدوين سورة مثل البقرة البالغ عدد آياتها ٢٨٦ آية على جريدة نخل أو حتى مجموعة من جرايد النخيل، أو حتى على مجموعة من عظام الحيوانات، إن مدى استهتار هذه الروايات بعقولنا وصل فى زيفها إلى استخدام أدوات للكتابة والتدوين لم تستخدم فى تاريخ الجنس البشري. فلم نجد فى أية حقبة من حقب التاريخ استخدام جريد النخل أو عظام الحيوانات كأدوات للكتابة والتدوين، ولو كان ما جاء بهذه الروايات صحيحاً لعثرنا على أية مدونة أو حتى بيت شعر أو أي أثر يعود للعصر النبوى أو ما قبله، أو عصر الخلفاء مكتوباً على عظام حيوانات أو جريد نخل، وهو ما يؤكد كذب هذه الروايات وبطلانها»[٣].

---

١ ـ الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٦، ص١٤٥، تفسير سورة العنكبوت، آية ٥١-٥٥.

٢ ـ م .ن: ج٢، ص١٨، تفسير سورة البقرة، آية١٨٣-١٨٥.

٣ ـ عبد الحميد، هشام كمال، الحقيقة والاوهام في قضية جمع القرآن، ص١٦.

الجهة الخامسة ـ مخالفة أحاديث الجمع لحكم العقل:

فإن هذه الروايات مخالفة لحكم العقل، فإن عظمة القرآن في نفسه، واهتمام النبي صلى الله عليه وآله بحفظه وقراءته، واهتمام المسلمين بما يهتم به النبي صلى الله عليه وآله وما يستوجبه ذلك من الثواب، كل ذلك ينافي جمع القرآن على النحو المذكور في تلك الروايات، فإن في القرآن جهات عديدة كل واحدة منها تكفي لأن يكون القرآن موضعاً لعناية المسلمين، وهذه الجهات منها: بلاغة القرآن، فقد كانت العرب تهتم بحفظ الكلام البليغ، فكيف بالقرآن الذي تحدى ببلاغته كل بليغ، ومنها: إظهار النبي صلى الله عليه وآله رغبته بحفظ القرآن، والاحتفاظ به وغيرها من الجهات الأخرى[1].

ومخالفتها للعقل، فلأنّ الدعوة الإسلاميّة كانت من أوّل شروعها مبتنيّة على أمرين، ومشتملة على جهتين: إحداهما: أصل النبوّة والسفارة والوساطة، ثانيهما: كونه خاتمة للنبوّات والسفارات، ومرجع الأخير إلى بقاء الدين القويم إلى يوم القيامة، واستمرار الشريعة المقدّسة ودوامها، بحيث لا نبيّ بعده، ومن الواضح: انّ الإتيان بالمعجزة المثبتة لهذه الدعوى لابدّ وأن يكون صالحاً لإثبات كلا الأمرين، وقابلاً للاستناد إليه في كلتا الدعويّين، فمعجزة القرآن تختصّ بخصوصيّة لا توجد في معجزات السفراء الماضين، ولأجله تختلف ـ سنخاً ونوعاً ـ مع تلك المعجزات غير الباقية، وإنّ هذا الوصف إنّما يختصّ به القرآن المجيد، ولا يوجد في معجزات النبيّ صلى الله عليه وآله فإنّه هو المعجزة الوحيدة الخالدة إلى يوم القيامة، فالقرآن من حين نزوله كان ملحوظاً بهذا الوصف[2]. وإذا كان القرآن هو كتاب الدعوة الالهية ومعجزتها والذي بواسطته كان النبي والمسلمون يدعون الناس إلى الإسلام، فكيف

---

١ ـ ظ: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٥٢.

٢ ـ ظ: اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير، ٢٩٧-٢٩٨.

لعاقل أن يصدق أن النبي لا يهتم بكتابة القرآن ونشر نسخه في مصاحف[1].

ومع وجود هذه الخصوصيّة (المعجزة الخالدة) وثبوت هذه العظمة كيف يمكن توهّم انّه لم يجمع في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يعتن بشأنه ـ من جهة الجمع ـ وهل يتوهّم من له عقل سليم، وطبع مستقيم أن يوكل النبيّ صلى الله عليه وآله أمر جمع القرآن إلى من بعده، سيّما مع علمه بأنّ الذي يتصدّى للجمع بعده هو الذي لا يكون متّصفاً بوصف العصمة؛ إذ لا محالة يكون جمعه ناقصاً من جهة التحريف ومن جهة عدم تحقّق التناسب الكامل بين الآيات، ومن الواضح مدخليّته في ترتّب الغرض المقصود منه، ضرورة أنّ ارتباط أجزاء الكتاب، ووقوع كلّ جزء في موضعه له كمال المدخليّة في ترتّب غرض الكتاب، فإنّ التناسب في مثله لو لم يراع لا يتحقّق الغرض أصلاً، فلا محيص عن الالتزام بتحقّق الجمع والتأليف في عصره[2].

لكن هذا الدليل العقلي، لا ينسجم وتوجهات المستشرقين سيّما أصحاب الدافع التبشيري (جون جلكريست) فهم لا يعترفون أساساً بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله كما إيمان المسلمين بنبوة عيسى وموسى عليهم السلام، وقد ثبتت نبوة الخاتم صلى الله عليه وآله في مظانه من كتب العقائد وعلم الكلام بالادلة النقلية والعقلية والفلسفية[3].

الجهة السادسة ـ مخالفة هذه الروايات لضرورة تواتر القرآن:

إن هذه الروايات مخالفة لما أجمع عليه المسلمون من أن القرآن لا طريق لاثباته إلا التواتر، فإنها تقول: «إن إثبات آيات القرآن حين الجمع كان منحصراً بشهادة شاهدين، أو بشهادة رجل واحد إذا كانت تعدل شهادتين، وعلى هذا

---

١ ـ ظ: الكوراني، تدوين القرآن، ٢٣٦.

٢ ـ ظ: اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير، ٢٩٧-٢٩٨.

٣ ـ يراجع: كتاب المرسل، الرسول، الرسالة، للسيد محمد باقر الصدر، ص٦٨.

فاللازم أن يثبت القرآن بالخبر الواحد أيضاً، وهل يمكن لمسلم أن يلتزم بذلك؟ ولست أدري كيف يجتمع القول بصحة هذه الروايات التي تدل على ثبوت القرآن بالبينة، مع القول بأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، أفلا يكون القطع بلزوم كون القرآن متواتراً سبباً للقطع بكذب هذه الروايات أجمع؟»[1] وإنّ هناك فرقاً بين نقل القرآن وما يتوجب فيه، وبين الخبر الحاكي لقول المعصوم عليه السلام المشتمل على حكم من الأحكام الشرعيّة[2].

ونظراً إلى أن القرآن لا بد أن يكون متواتراً ولا يجوز بروايات آحاد، فإن الروايات لم يفتها هذا الأمر، حيث لم يكن زيد ـ طبقاً لما جاء بالرواية ـ يقبل أي آية قرآنية حتى يأتى صاحبها بشاهدى عدل، فنصت الرواية على أن زيدًا أخذ بهذه الآيات من أبي خزيمة بمفرده دون شاهدين؛ لأن النبى صلى الله عليه وآله جعل شهادته بشهادة رجلين. وبهذا تم إنقاذ هذه الآيات من الضياع والفقدان بفضل أبى خزيمة الأنصاري، وهو فضل وهمي تحاول هذه الرواية أن تنسبه إليه، متناسية ومتغافلة أن مثل هذه الكلام سيوجه كثيراً من الطعن للقرآن وسلامته من التحريف والزيادة؛ لأنه لا يعقل أن يكون هناك آيات قرآنية لا يحفظها أحد من المسلمين وكبار الصحابة وحفظة القرآن كأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وزيد نفسه سوى أبى خزيمة الأنصاري!![3].

«وعلى الجملة لا بد من طرح هذه الروايات، لأنها تدل على ثبوت القرآن بغير التواتر، وقد ثبت بطلان ذلك بإجماع المسلمين»[4].

---

١ ـ السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ٢٥٦.
٢ ـ ظ: اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير، ص٣٠٢.
٣ ـ ظ: عبد الحميد، هشام كمال، الحقيقة والاوهام في قضية جمع القرآن، ص٤٩.
٤ ـ السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٥٦.

خلاصة :

وخلاصة ما تقدم: إن إسناد جمع القرآن إلى الخلفاء أمر موهوم، مخالف للكتاب، والسنة، والاجماع، والعقل، فلا يمكن للقائل بتحريف القرآن أن يستدل بهذا الجمع على دعواه، ولو سلّمنا أن جامع القرآن هو أبو بكر في أيام خلافته، فلا ينبغي الشك في أن كيفية الجمع المذكورة في الروايات المتقدمة مكذوبة، وأن جمع القرآن كان مستنداً إلى التواتر بين المسلمين، غاية الأمر أن الجامع ـ أياً كان الجامع ـ قد دون في المصحف ما كان موجوداً بأيدي المسلمين على نحو التواتر[1].

وأمّا ارتباطه بعثمان الذي اشتهر إضافة القرآن وانتسابه إليه، فليس لأمر يرجع إلى الجمع والتأليف بالمعنى الذي ذُكر من تميّز الآيات والسور وتبيّن بعض كلّ واحدة منهما عن البعض الآخر، بل الظاهر ـ كما دلّ عليه بعض الروايات ـ انّ ارتباطه بعثمان إنّما هو من جهة أنّه جمع المسلمين على قراءة واحدة، بعد تحقّق اختلاف القراءة بينهم، من جهة اختلاف القبائل والأمكنة في اللحن والتعبير[2].

نعم يقع الكلام في أنّ القراءة الواحدة التي جمع عثمان المسلمين عليها ماذا؟ وانّه اعتمد في ذلك على أيّ شيء؟

يمكن أن يقال: إنّ تلك القراءة هي القراءة الواحدة المتعارفة بين المسلمين، والتي تلقوها بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وقد ثبت أن تواتر القراءات واستناد جميعها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أمر موهوم فاسد، فعثمان منع عن القراءات الاخرى المبتنية على

---

١ ـ ظ: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن: ص٢٥٧.

٢ ـ . ظ: اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير، ص ٣١٥.

أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف، التي ثبت بطلانها وذلك لأن الاختلاف في القراءة كان يؤدي إلى الاختلاف بين المسلمين، وإنّ أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف ـ على فرض صحّتها وجواز الالتزام بها ـ لا ارتباط لها بباب القراءات السبعة بوجه[1].

المحور الثالث ـ عليٌ عليه السلام الخيار الأوحد في جمع القرآن:

يبقى هناك شيء مهم في هذه المسيرة الطويلة لجمع القرآن، أياً كان هذا الجمع سواء في عهد النبي صلى الله عليه وآله أو بعد رحيله، وسواء كان في زمن الخليفة أبي بكر أو عمر أو عثمان، فالشيء الأهم الذي يجب التعويل عليه والركيزة الأساسية في هذا المجال، ألا هو خيار الجمع من قِبَلِ الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو الكفة التي بها يتعادل الميزان، والرقم السهل في هذه المعادلة، وهو العصا التي تلقف ما يأفكون من تناقضات عملية الجمع.

ولبيان المطلب ممكن القول كمقدمة:

أولاً ـ إنّ الإمام علي عليه السلام داخل ضمن دائرة حديث الثقلين ـ كتاب الله وعترتي أهل بيتي ـ وهو الثابت عند الفريقين[2]. بل هو من أصدق مصاديق أهل البيت والعترة الطاهرة المزبورة في حديث الثقلين، وهذا الحديث بلا ريب ولا شك، يدل «على لزوم التمسّك بهما، وأنّه الطريق الوحيد للخروج عن الضلالة، والسبيل

---

١ ـ ظ: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص ٢٥٣ . وينظر: اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير، ص ٣١٥.

٢ ـ يراجع: صحيح مسلم،ج٤، ص١٨٧٣، والجدير بالذكر إن مسلم ذكر الحديث في باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويراجع: مسند أحمد، ج٣، ص١٧، رقم الحديث ١١١٤٧، باب مسند أبي سعيد الخدري. بالاضافة إلى تصانيف الشيعة فهذا الحديث من أبجدياتها.

المنحصر لعدم الابتلاء بها أبداً»[1]، فالرسول الأعظم ﷺ ترك بأيدينا مقياساً لتشخيص العصمة في أصحابها، والمقياس في العصمة، هو عدم الافتراق عن القرآن، فلنمسك بأيدينا هذا المقياس،[2] ولا إشكال في أنّ قول المعصوم ـ نبيّاً كان أو إماماً ـ وفعله وتقريره حجّة، امّا النبي فواضح، وامّا الإمام فلأنّه أحد الثقلين الذين أُمرنا بالتمسّك بهما، والاعتصام بحبلهما، فراراً عن الجهالة، واجتناباً عن الضلالة[3]، وتقرير المعصوم: هو سكوته عن وضع معين بنحو يكشف عن رضاه بذلك الوضع وانسجامه مع الشريعة. ويجب الاخذ بهذا النوع من البيان الشرعي[4]، «فلابد أن نفترض جعل مرجع تحدد لديه السنة بكل خصائصها، وبهذا تتضح أهمية حديث الثقلين وقيمة إرجاع الأمة إلى أهل البيت فيه لأخذ الأحكام عنهم»[5].

ثانياً ـ لو تنزّلنا عن كل هذا وعن دلالة حديث الثقلين على عصمة الإمام؛ إذ أن العصمة من مختصات الشيعة الامامية، وقد لا يروق هذا الاستدلال لجلكريست وبعض المستشرقين؛ لأن الشيعة بنظرهم أقلية في العالم الإسلامي، أو كما يقول نولدكه: «أن كل ما يرويه الشيعة عن ولي شيعتهم الأعلى، غير موضوعي ومنحاز بجملته»[6].

ولو تنزلنا عن مقامي العصمة والإمامة الداعيان بوجوب عدم سكوت

---

١ ـ اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير، ص١٨٩.
٢ ـ ظ: الحكيم، محمد تقي، الاصول العامة للفقه المقارن، ص١٨٠.
٣ ـ ظ: اللنكراني، الشيخ محمّد الفاضل، مدخل التفسير، ص٢٠١.
٤ ـ ظ: الصدر، السيد محمد باقر، المعالم الجديدة للأصول، ص٣٣.
٥ ـ ظ: الحكيم، محمد تقي، الاصول العامة للفقه المقارن، ص١٧٤.
٦ ـ نولدكه: تاريخ القرآن، ج٢ ص٢٤٤.

الإمام على تحريف القرآن وزيادته أو نقصانه، يبقى أن الإمام علي عليه السلام استلم الخلافة وزعامة الأمة في مدة من الزمن، وكان رابع الخلفاء، وكان عليٌ عليه السلام أعلم الناس بكتاب الله بعد نبيه صلى الله عليه وآله وقد أرجع الناس إليه في حديث الثقلين المتواتر وقال في الحديث المروي عند جميع المسلمين: علي مع الحق والحق مع علي[1]. وكان بإمكانه تعديل ما هو مُدّعى من جرّاء عملية الجمع.

فالنتيجة، بعد هذه المقدمة يمكن القول: لو استلزمت طريقة جمع القرآن ـ بأي طريقةٍ كانت جمعه وترتيبه، ومن أي شخص قام بهذه المهمة ـ لو استلزمت تحريف أو نقص وزيادة، أو تغيير أو تبديل؛ لما صح ولما جاز للإمام السكوت؛ لأن سكوته سيكون إمضاءً بالرضا على ذلك، وهذا منافٍ لمنصب الخلافة الرابع، خصوصاً وإنه عليه السلام كان يمثل المعارضة السلمية في لغة عصرنا على خلفية أحداث الخلافة والسقيفة.

ولو كان هناك شيء يمسّ القرآن لكان أحقّ بالذكر في مقام الاحتجاج، مع أنّه لم يقع ذلك بوجه، وذكر السيد الخوئي ـ في باب صيانة القرآن من التحريف ـ لو كان ذلك حاصل؛ لكان من الواجب على علي عليه السلام أن يرد القرآن إلى أصله، الذي كان يقرأ به في زمان النبي ولا سيما أنه عليه السلام قد أمر أثناء خلافته بإرجاع الأموال والقطائع التي اقتُطعت. وقال في خطبة له: والله لو وجدته قد تزوّج به النساء وملك به الإماء لرددته.

هذا أمر علي في الأموال، فكيف يكون أمره في القرآن لو كان محرَّفاً، فيكون إمضاؤه عليه السلام للقرآن الموجود في عصره، دليلاً على عدم وقوع التحريف فيه، فحريجة الإمام علي في الدين بل وفي الجزئيات التشريعية معلومة الحال،

---

١ ـ ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٢، ص١٠٨، تفسير سورة الحجر، آية١-٩.

فكيف تجاه أصل الدين، ونظام الإسلام، وهو القرآن[1]

فسكوته يدل على أحد خيارين لا ثالث لهما، إما صحة جمع الآخرين، أو أن القرآن مجموع أصلاً وهو مطمئن بذلك، فلم يُشرْ إليه أبداً.

وقد يقول قائل في مقام الإشكال: لو كان نتاج جمع القرآن ـ سواء في عهد النبي أو بعده ـ صحيحاً وسليماً؛ فلماذا جمع علي عليه السلام القرآن لوحده وقد خالف جمعه القرآن الذي جمعوه.

ممكن القول هنا: إن جمعه عليه السلام القرآن وحمله إليهم وعرضه على المسلمين لا يدل على مخالفة ما جمعه لما جمعوه في شيء من الحقائق الدينية الأصلية أو الفرعية إلا أن يكون في شيء من ترتيب السور أو الآيات من السور التي نزلت نجوماً بحيث لا يرجع إلى مخالفة شيء فيه. ولو كان كذلك لعارضهم بالاحتجاج ودافع فيه ولم يقنع بمجرد إعراضهم عمّا جمعه واستغنائهم عنه[2].

وبالإضافة إلى ذلك، إن الإمام علي عليه السلام احتجّ بالقرآن على أهل الجمل، ودعي إليه في التحكيم مع أهل صفين، فلو كان في القرآن ما ليس منه، أو أنه لم يشتمل على كل القرآن، لما صح له به الاحتجاج، ولا قبوله في التحكيم، وكذلك خطب الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، تشير إلى القرآن في كثير من التفصيلات، هداية واسترشاداً وتوجيهاً للناس، فلو كان هناك مما يُدعى شيء لأبان ذلك على الأقل وأنكره، ولاحتجّ فيه على من تقدمه، فلمّا لم يفعل ذلك، علمنا بسلامة القرآن[3]. وقد ورد في بحار الانوار ما يؤيد ذلك ـ لو صحت الرواية ـ «في باب

---

١ ـ ظ: الخوئي، البيان، ص٢١٨-٢١٩. وينظر: الصغير، د محمد حسين، تاريخ القرآن، ص١٥٢.

٢ ـ ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٢، ص١١٤. وينظر: لنفس المؤلف، القرآن في الإسلام، ص١٤٧-١٤٨.

٣ ـ ظ: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٨٩، ص٤٢.

احتجاج أميرالمؤمنين عليه السلام ... أنه قال طلحة لعلي عليه السلام: يا أبا الحسن شيء أُريد أن أسألك عنه، رأيتك خرجت بثوب مختوم، فقلت: أيها الناس إني لم أزل مشتغلاً برسول الله صلى الله عليه وآله بغسله وكفنه ودفنه ثم اشتغلت بكتاب الله حتى جمعته فهذا كتاب الله عندي مجموعاً لم يسقط عني حرف واحد ... وما يمنعك يرحمك الله أن تخرج كتاب الله إلى الناس؟ وقد عهدت عثمان حين أخذ ما ألف عمر، فجمع له الكتاب وحمل الناس على قراءة واحدة فمزق مصحف أُبي بن كعب وابن مسعود وأحرقهما بالنار. فقال له علي عليه السلام: يا طلحة إن كل آية أنزلها الله جل وعلا على محمد صلى الله عليه وآله عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي وتأويل كل آية أنزلها الله على محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال طلحة: لا أراك يا أبا الحسن أجبتني عمّا سألتك عنه من أمر القرآن ألا تظهره للناس، قال: يا طلحة عمداً كففت عن جوابك فأخبرني عن ما كتب عمر وعثمان أقرآنٌ كله أم فيه ما ليس بقرآن؟ قال طلحة: بل قرآن كله، قال: إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار، ودخلتم الجنة، فإن فيه حجتنا، وبيان حقنا، وفرض طاعتنا، قال طلحة: حسبي أما إذا كان قرآنا فحسبي»[1].

وكذلك يؤيده ما جاء في كنز العمال «عن زر بن حبيش[*] قال: قرأت القرآن من أوله إلى آخره على علي بن أبي طالب، فلما بلغت الحواميم قال: لقد

---

١ ـ ظ: الصغير، د محمد حسين، تاريخ القرآن، ص١٥٢.

* ـ زر بن حبيش : أبومريم مطرف الكوفى مخضرم أدرك الجاهلية روى عن عمر وعثمان وعلي وأبى ذر. قال ابن سعد وابن معين : كان ثقة كثير الحديث وكان عالماً بالقرآن وقال العجلي كان من أصحاب علي وعبدالله ثقة وقال أبو جعفر البغدادي قلت لاحمد فزر وعلقمة والأسود قال هؤلاء أصحاب ابن مسعود وهم الثبت فيه. توفي سنة٨٣ وعمره١٢٧. ينظر: العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب،ج٣، ص٢٧٧. وينظر: لنفس المؤلف، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٦٣٣.

بلغت عرائس القرآن، فلما بلغت رأس ثنتين وعشرين آية من حم عسق ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَٰتِ ٱلۡجَنَّاتِ﴾ الآية بكى حتى ارتفع نحيبه ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: يا زر أمّن على دعائي، ثم قال: اللهم إني أسألك إخبات المخبتين... يا زر إذا ختمت فادع بهذه فإنّ حبيبي رسول الله ﷺ أمرني أن أدعو بهن عند ختم القرآن»[1].

وأخيراً قد يقول قائل ـ وهو جلكريست ـ إن الجمع لم يكتمل حتى بعد توحيد المصحف الامام بقي التغيير والتبديل والإضافة، وإليك نصه: «لدينا أدلة قاطعة تظهر أنه حتى بعد أن أتمّ عثمان تنقيحه، كان نصه لا يزال غير مكتمل استناداً إلى حقيقة أن النص كان إلى حدٍّ كبير إعادة إنتاج كبيرة لتصنيف زيد بن ثابت الأصلي.

أثناء خلافة عبد الملك بن مروان في القرن الأول من عمر الإسلام قام والي العراق الحجاج بن يوسف بخطوات لتصحيح نص عثمان. قيل إنه أجرى أحد عشر تغييراً على نص القرآن... بحيث إن القرآن كما نعرفه اليوم ليس هو نص عثمان فحسب، بل أيضاً التنقيح الثانوي اللاحق له الذي أجراه والي العراق. إنه لجدير بالاهتمام أن نجد أن أحد التغييرات التي اشار إليها ابن أبي داود كانت أصلاً قراءة أُبيّ بن كعب»[2].

فقد جاء في كتاب المصاحف «حدثنا عبد الله حدثنا أبو حاتم السجستاني، حدثنا عباد بن صهيب، عن عوف بن أبي جميلة، أن الحجاج بن يوسف غيّر في مصحف عثمان أحد عشر حرفاً قال: كانت في البقرة (لم يتسن وانظر) بغير هاء

---

١ ـ المتقي الهندي، كنز العمال، تح، الشيخ بكري حياني، ج٢، ص٣٥١.

2 - Gilchrist, John, JAM' AL-QUR'AN, p 109 – 110.

فغيرها لم يتسنه ...»[1]، أما رواية تغيير الحجاج للمصحف فهى مروية عن عباد بن صهيب، وعباد بن صهيب راوي هذه الرواية مطعون عليه عند أهل الجرح والتعديل وعلماء الحديث، فقد قال عنه البخاري والنسائي: متروك الحديث[2] وقال ابن المديني ذهب حديثه وقال بن حبان كان قدرياً داعية ومع ذلك يروي المناكير عن المشاهير التي إذا سمعها المبتدئ في هذه الصناعة شهد لها بالوضع[3] وقال ابن عدي (٢٧٧ ـ ٣٦٥هـ) في كتابه الكامل في الضعفاء: «متروك الحديث قال الشيخ ومن الرواة من إذا حدث عنه يقول (ثنا أبو بكر الكليبي) ولا يسميه لضعفه عنده»[4].

وعلى هذا فالرواية مروية عن راوٍ مطعون عليه ومتهم بالوضع. ومن ثم فهى رواية موضوعة. وما هذا إلا نموذج من عدة نماذج التي يستند إليها جلكريست في نتائجه عن جمع القرآن.

ورداً على دعوة أن الحجاج لما قام بنصرة بني أمية أسقط من القرآن آيات كثيرة كانت قد نزلت فيهم، وزاد فيه ما لم يكن فيه، وأجرى تعديلات على النص القرآني، قال السيد الخوئي: «وهذه الدعوى تشبه هذيان المحمومين، وخرافات المجانين والأطفال، فإن الحجاج واحد من ولاة بني أمية، وهو أقصر باعاً، وأصغر

---

١ ـ المصاحف لابن أبي داود، باب ما كتب الحجاج بن يوسف في المصحف، ص٤٩، وباب ما غيّر الحجاج في مصحف عثمان، ص١١٧.

٢ ـ ظ: البخاري، الضعفاء الصغير، ص٧٥، باب العين. وينظر: النسائي، الضعفاء والمتروكين، ص٧٤، باب العين.

٣ ـ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، ص٣٦٧. وينظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، لسان الميزان، ج٣، ص٢٣٠. وينظر: ابن حبان، كتاب المجروحين، ج٢، ص١٦٤.

٤ ـ ابن عدي، عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، تح: يحيى مختار غزاوي، ج٤، ص٣٤٦.

قدراً من أن ينال القرآن بشيء، بل وهو أعجز من أن يغير شيئاً من الفروع الإسلامية، فكيف يغير ما هو أساس الدين، وقوام الشريعة؟ ومن أين له القدرة والنفوذ في جميع ممالك الإسلام وغيرها مع انتشار القرآن فيها؟ وكيف لم يذكر هذا الخطب العظيم مؤرخ في تاريخه، ولا ناقد في نقده مع ما فيه من الاهمية، وكثرة الدواعي إلى نقله، وكيف لم يتعرض لنقله واحد من المسلمين في وقته، وكيف أغضى المسلمون عن هذا العمل بعد انقضاء عهد الحجاج، وانتهاء سلطته؟ وهبْ أنه تمكّن من جمع نسخ المصاحف جميعها، ولم تشذ عن قدرته نسخة واحدة من أقطار المسلمين المتباعدة، فهل تمكن من إزالته عن صدور المسلمين وقلوب حفظة القرآن؟ وعددهم في ذلك الوقت لا يحصيه إلا الله، على أن القرآن لو كان في بعض آياته شيء يمس بني أمية، لاهتم معاوية بإسقاطه قبل زمان الحجاج وهو أشد منه قدرة، وأعظم نفوذاً، ولاستدل به أصحاب عليٍ على معاوية، كما احتجوا عليه بما حفظه التاريخ، وكتب الحديث والكلام»[1].

***

١ ـ السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢١٩-٢٢٠.

الخاتمة

وفيها أهم ما ترشح من نتائج علمية مهمة والتي وإن كان بعضها مكرر في دراسات أخرى مشابهة، إلا أن أسلوب استخراجها واستنباطها مختلف إلى حدٍ ما:

أولاً ـ أهم النتائج التي أثمرت وتأكدت في أغلب المطالب، ثبت أن القرآن الكريم مدوناً ومجموعاً كاملاً في عهد النبي صلى الله عليه وآله وتحت إشرافه المباشر، بوابل من الأدلة النقضية والحلّية، تجدها في كل فصل ومبحث ومطلب من الكتاب.

ثانيا ـ تبين في طيات البحث، بأنه لا زالت أبحاث المستشرقين ونظرتهم حول النص القرآني باقية لم تتقدم، ربما إلا خطوة واحدة، بدليل هذا المستشرق جون جلكريست، اجتر لنا نفس الأبحاث وذات النظرة للمستشرقين حول النص القرآني، سوى أنها اصطبغت بلون المهنية والمنهجية الحديثة، وألبسها ثوب الموضوعية، وهي بعيدة عن ذلك كما هو ظاهر للعيان.

ثالثاً ـ ثبت بكل وضوح، أن المصدر الرئيسي لشبهات المستشرقين في

موضوع جمع القرآن، هو التراث الحديثي الإسلامي، ولنقترب أكثر من التشخيص وتحديداً (التراث الإسلامي السني) والذي أخذ بعنق البحث العلمي لهذه النتيجة، دليلٌ يفرض نفسه، وهو: أن المستشرق جلكريست، استدل على شبهاته بروايات وأحاديث جمّة، ولا توجد فيها رواية واحدة في كتابه من الفريق الثاني (التراث الإسلامي الشيعي).

وهنا لا أريد القول: بأن المصادر الشيعية خالية من الروايات التي تسبب إثارة شبهة، بل توجد، إلا أن الأمر مختلف بين الفريقين، فإن روّاد الفريق الثاني (الشيعي) قد يكونوا حاولوا تصحيح وإصلاح تراثهم الحديثي، بدليلٍ بسيط، وهو لا يوجد لديهم كتاب يأخذون منه كيف يشاؤون ومتى يشاؤون، بحجة أنه أصح الكتب بعد كتاب الله، والى الآن عندما يريد علمائهم أن يستدلوا برواية يضعونها بين مطرقة علم الرجال وسندان علم الحديث، أي يحاكمون السند والمتن معاً، وموافقتها لروح القرآن الكريم، وآخرها المحاولة المعاصرة الجادّة لتصحيح التراث الشيعي التي بدأ بها العلامة المعاصر السيد كمال الحيدري، حيث قال ما مضمونه: يجب تصحيح تراثنا بأنفسنا ولا ننتظر من الآخر[مستشرقون وغيرهم] أن يدلّنا على هفوات تأريخنا، وبعد أن يبني النتائج الخاطئة فوق الركام المدسوس في رواياتنا وأحاديثنا، نكون قد وضعنا أيدينا على موضع الخلل[1].

رابعاً ـ هنا نتيجة أخرى، ولبيانها توجد لها مقدمات، هذه المقدمات في الحين ذاته، هي نتائج توصل إليها الباحث، فمن حيثية هذه النتيجة، هي مقدمات، ومن حيثية هذا الكتاب، هي نتائج:

---

١ ـ للوقوف على تفصيل ذلك مراجعة: موقع السيد كمال الحيدري، حلقات برنامج مطارحات في العقيدة ـ شهر رمضان لسنة ١٤٣٤هـ والتي ستخرج على شكل كتاب بإذن الله تعالى.

١ ـ حاولت جاهداً في كل فصل ومبحث ومطلب من الكتاب، إثبات سقوط روايات في جمع القرآن عن الإعتبار يُشمّ منها رائحة التحريف ـ وهي أغلبها كما مرّ ـ وقد ثبت ذلك بأدلة وافرة، أهمها، مخالفة أغلبها صريح القرآن الكريم.

٢ ـ لا توجد روايات صريحة ـ بحسب استقراء الباحث ـ بديلة وكافية في مرحلة ما بعد النبي عن تلك التي سقطت عن الاعتبار، تبيّن لنا آلية دقيقة معتبرة لجمع القرآن، بدل آلية الجمع تلك التي بينتها الروايات المقابلة. سوى في جمع الإمام علي عليه السلام عندما جمع القرآن وحمله إلى القوم عند المسجد، وإلا لو كان لبان.

٣ ـ ثبت أن سكوت الإمام علي عليه السلام وإمضائه على القرآن الموجود بين الدفتين آنذاك بعد النبي صلى الله عليه وآله وأثناء خلافة الخلفاء الأوائل وصولاً لمدة خلافته، إلى أن وصل إلينا عبر السلسلة الذهبية للأئمة الأطهار عليهم السلام، دليلٌ كاف على صحة وتمامية النص القرآني، بغض النظر عن الطريقة التي جُمع بها، وأيضاً بغض النظر عن جمع الإمام عليه السلام للقرآن في مصحف منفرد عن البقية، إذ لو كان مصحفه يخالف النص الأصلي للوحي القرآني؛ لما جاز له أن يسكت؛ لأنه السمت الذي لا يميل والميزان الذي لا يخطأ بقول النبي صلى الله عليه وآله (عليٌ مع الحق والحق مع علي).

النتيجة:

بضم هذه المقدمات الثلاث، وهي، سقوط ثلة من روايات جمع القرآن، وعدم وجود روايات كافية بديلة عنها، وإمضاء الإمام علي والأئمة عليهم السلام

على تمامية القرآن، وبضم أدلة كثيرة أثبتت أن التدوين والجمع تم في عهد الرسول صلى الله عليه وآله، كل ذلك يُثبت، أن القرآن لا ينتظر أن يكون هناك سبباً لجمعه، ولا يجب أن يتفرق من بيت النبي بعد أن كان فيه، كي يحتاج إلى دافع يدفع الآخرين لجمعه (كمعركة اليمامة وغيرها من الأسباب)، ومن البديهيات التي لا تقبل النقاش أنه كان في بيت النبي صلى الله عليه وآله، فيظهر ويتبين أن القرآن موجود ومجموع ببداهة وطبيعة الأشياء والأحوال، متوفر عند أغلب الصحابة والمسلمين، وقد قرأنا سابقاً: أن ذلك كان بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فيها القرآن منتشراً فجمعها جامع [أياً كان الجامع] وربطها بخيط حتّى لا يضيع منها شيء.

فيثبت عند عرض كل الاحتمالات المطروحة، لايصمد أمام البحث والتوثيق الدقيق، إلا خيار واحد، هو جمعه في عهد النبي صلى الله عليه وآله، وإكمال الإمام علي عليه السلام بجعله بين دفتين.

وإلاّ كيف يُعقلُ أن النبيَّ الكريمَ يوصينا: إذا أتتكم الفتنُ كقطعِ الليلِ المظلمِ، فعليكم بالقرآن، ولو سألنا الرسولَ: يا نبيَّ الله أين نجدُ هذا القرآن، سيقول: تجدونَه في ذهنِ الصحابي الفلاني وفي صدرِ الصحابي الآخر وآيةٌ منه مكتوبةٌ على جلدٍ عند آخر وآيةٌ أخرى عند إعرابي في البادية، فهل يُعقل هذا في القرآن !!

خامساً ـ إنكشف وثبت بالبرهان الذي لايقبل الشك، تعمُّد المستشرقين، الفهم الخاطئ للمفردة القرآنية، كما فعل جلكريست مع مفردة ومادة (نسيان) قوله: (كلمة ننسها أصلها من فعل نسي الذي يعني أينما وجد في القرآن فقدان الشيء من ذاكرة الإنسان)، وقد تبين بطلانه.

سادساً ـ ثبت واستقر البحث على نتيجة، هي أنّ الأمة الإسلامية أمة سماع، أي أنّ لها ذوقاً سمعياً عالٍ للقرآن الكريم، والكلام لا سيما عن الصدر

الأول للإسلام، بغضّ النظر عن مسألة حفظ القرآن عن ظهر قلب، ولا يخفى أن الحفظ شيء والذوق السمعي شيء آخر، فلا يعتد بعد ذلك بمن يشكك بكتابة القرآن وتدوينه بأن قد يُزاد عليه أثناء نقله حرفٌ أو حركة إعرابية تغير المعنى؛ كون القرآن كان بلا تنقيط ولا تشكيل.

فلو قُرئ القرآن أمام أحدهم ـ سواء كان يحفظ القرآن أم لم يحفظه ـ لايمكن أن يمر ويعبر عليه خطأ لا في المعنى ولا في الشكل أي الحركات الإعرابية، والمسألة ممكن تصورها فلو إنك كتبت سورة الفاتحة الآن في وقتنا المعاصر لأي مسلم يتشهد الشهادتين، لو كتبتها بلا نقط وبلا حركات إعرابية، فسوف يقرأها صحيحة وبالشكل المضبوط ويمكن أن يضع لها نقاط وحركات من دون الاستعانة بشيء. والشواهد على هذه النتيجة كثيرة، منها ما ورد وما اشتهر أن أبا الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) سمع رجلاً يقرأ ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (التوبة: ٣)، بالجر ـ بجر كلمة رسوله ـ فقال : لا أظنني يسعني إلا أن أضع شيئاً يصلح به لحن هذا .

وقيل إن زياداً بعث إلى أبي الأسود، فقال له: يا أبا الأسود إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله، فأبى ذلك أبو الأسود، فوجه زيادٌ رجلاً وقال له اقعد في طريق أبي الأسود فإذا مر بك فاقرأ شيئاً من القرآن وتعمد اللحن فيه، ففعل ذلك فلما مرّ به أبوالأسود رفع الرجل صوته فقرأ (إن الله بريء من المشركين ورسولِه) بالجر، فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال: عز وجهُ الله أن يبرأ من رسوله، ثم رجع من فوره إلى زياد فقال: يا هذا قد أجبتك إلى ما سألت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن، فابعث إليّ ثلاثين رجلاً، فأحضرهم زياد فاختار منهم أبو الأسود عشرة

ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلاً من عبد القيس، فقال: خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد (الحبر) فإذا فتحتُ شفتيّ فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، فإذا كسرتها فاجعل النقطة من أسفل الحرف، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة (يقصد تنويناً) فانقط نقطتين. فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك.

سابعاً ـ ثبت خلال البحث أن المستشرقين حاولوا في هذا الباب ـ جمع القرآن ـ الاستقاء والاستناد إلى مصادر من طرف دون آخر، وترتيب النتائج والفرضيات على هذا الأساس، وعدم الالتفات المتعمد إلى شطر كبير من مصادر المسلمين والنظر بعين واحدة ومن زاويةٍ ضيقةٍ؛ وذلك لحاجةٍ في نفس يعقوب قضاها.

ثامناً ـ كشف الباحث وانتزع خلال البحث إعتراف من المستشرقين ومن جلكريست ـ الذي يمكن القول بأنه يمثل الصورة التبشيرية للمستشرقين ـ بأن الإنجيل قد امتدت يد التحريف إليه، لكنه لم يسمّها تحريفاً، بل أطلق عليها إختلافات في نسخ الإنجيل لا تؤثر برأيه على محتواه، وكشف الباحث المحاولة البائسة للمستشرقين وجلكريست بجرّ ما حدث للانجيل إلى القرآن، لكي يكونا كلاهما في مركب واحد، وهذا نصه: «والحقيقة هي أن تاريخ نصوص القرآن يشابه تماماً تاريخ نصوص الإنجيل، فكلا الكتابين حُفظ جيدًا بطريقة ظاهرة، وكلٌ منهما في تكوينه الأساسي ومحتواه تسجيل مقبول لما كان عليه في الأصل. لكن لم يُحفظ أيٌ من الكتابين كليةً بدون خطأ أو عيب نصّي.

لقد عانى كلٌ من الكتابين ـ هنا وهناك ـ من تفسيرات مختلفة في النسخ الأولى المعروفة لنا، لكن لم يُحَرَّف أيٌ منهما بأي شكل من الأشكال. وإنّ المسيحيين والمسلمين الجادّين سوف يقرّون هذه الحقائق بأمانة».

تاسعاً ـ تبين من خلال البحث إلى أن أغلب المستشرقين ينظرون إلى الإسلام متمثلاً بصورته السنية دون غيرها، فيعدون الدين الرسمي للمسلمين، هو الإسلام السني؛ مما جاز لهم الغوص في مصادر هذا القسم واستخراج النتائج المتماهية مع توجهاتهم. وأوضح مثال مونتجمري واط عندما قال: فيمكن أن يقال إن المذهب السني أصبح المذهب الرسمي للخلافة، وصار أمراً واقعاً.

عاشراً ـ المشكلة الأساسية في أبحاث المستشرقين، هي عدم إيمانهم بأن النبي محمداً ﷺ رسولٌ مرسل من قِبل السماء كما إرسال عيسى وموسى والانبياء عليهم السلام، لا أقل إيمان بالمعنى الأعم، فنحن في المقام لا نطالبهم بالايمان بمعنى أن يدخلوا في الإسلام، إنما لكم دينكم ولِيَ دين.

فخلّفت هذه العقدة وراءها تركة ثقيلة في بحوثهم، فقالوا عنه: هو مؤلف القرآن، نقله عن الإنجيل والتوراة، علّمه وساعده أشخاص آخرين، وهكذا أقوال تشبه أقوال المشركين الأوائل الذين لم يؤمنوا بنبوة الخاتم. ولو آمنوا بذلك من دون الفرعيات الاخرى، لحُلّت الكثير من المشاكل العالقة في البحث القرآني الإسلامي.

في الختام أسأل الله العلي القدير أن يغفر لنا خطايانا في هذه المسيرة البحثية وأن يوفق ويسدّد خطى الجميع لما فيه الخير والهداية والصلاح.

«وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ»

رباح صعصع

***

قائمة المصادر والمراجع

خير ما يُبتدئ به كتاب الله القرآن الكريم.

أولاً ـ المصادر والمراجع العربية:

❖ الخرم آبادي : آية الله السيد حسن طاهري.

١- تحريف القرآن أسطورة أم واقع، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، ط١ ـ ٢٠٠٦م.

❖ أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي (ت ٣٠٧هـ).

٢- مسند أبي يعلى، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث ـ دمشق، ط١ ـ ١٩٨٤م.

❖ الألباني: أبو عبدالرحمن محمد ناصرالدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم (ت ١٤٢٠هـ).

٣- ضعيف سنن الترمذي، أشرف على استخراجه وطباعته والتعليق عليه وفهرسته زهير الشاويش بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط١،١٩٩١ م .

❖ الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن احمد (ت ٤٣٠ هـ).

٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط٤،١٤٠٥هـ.

❖ الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ ـ ١١٠٨ م).

٥- المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعه: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م.

❖ الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني، (١٢١٧-١٢٧٠هـ، ١٨٠٢-١٨٥٤م).

٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ .

٧- كتاب صحيح أبي داود، مؤسسة غراس للنشر، الكويت، ط١ ـ ٢٠٠٢ م.

❖ الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر المالكي (ت ٤٠٣ هـ).

٨- الإنتصار للقرآن، تح: د.محمد عصام القضاة، دار الفتح للنشر، عمان ـ الاردن، دار ابن حزم للطباعة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

❖ البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي (ت٢٥٦هـ).

٩- الجامع الصحيح المختصر المعروف بصحيح البخاري، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت، ط٣ ـ ١٩٨٧م.

١٠- الضعفاء الصغير، تح: محمود إبراهيم زايد، دارالوعي ـ حلب ط١، ١٣٩٦هـ.

١١- الأدب المفرد، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية،بيروت، ط٣، ١٩٨٩.

❖ بدوي، عبد الرحمن.

١٢- موسوعة المستشرقين

❖ البرقي، أحمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤هـ) .

١٣- المحاسن، تصحيح وتعليق: جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ ١٣٣٠هـ .

❖ البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بْن ثابت بْن أَحْمَد بْن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ).

١٤- تاريخ بغداد، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ـ ١٤١٧هـ

❖ البقاعي: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥ هـ).

١٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ بحيدر آباد ـ الهند، ط١، ١٩٧١م.

❖ البلاذري: أبوالحسن، وقيل أبو بكر، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٩٧ هـ).

١٦- فتوح البلدان، وضع ملاحقه وفهارسه: الدكتور صلاح الدين المنجد، والنشر والطبع مكتب النهضة المصرية ـ مطبعة لجنة البيان العربي ـ القاهرة، ط: بلا (د.ت).

❖ إبن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي (ت ٣٢٧ هـ).

١٧- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم الرازي)، تح: اسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، بيروت، ط: بلا، ١٤١٩ هـ .

❖ إبن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥هـ).

١٨- المصنف في الأحاديث والآثار، المعروف بمصنف ابن أبي شيبة، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد ـ الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ

❖ ابن الأثير: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح،

(ت ٦٣٧ هـ).

١٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: عادل أحمد الرفاعي دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م .

❖ إبن بشران: أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشْران البغدادي (ت٤٣٠هـ).

٢٠- أمالي ابن بشران، ضبط نصه: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٩٩٧ م.

❖ إبن الجزري: الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، (ت٨٣٣ هـ).

٢١- النشر في القراءات العشر: أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع ـ شيخ عموم المقارئ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ط: بلا (د .ت).

❖ إبن الجزي: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله، الكلبي الغرناطي (ت٧٤١هـ).

٢٢- التسهيل لعلوم التنزيل، تح: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الارقم، بيروت، ط١ ـ ١٤١٦ هـ.

❖ ابن الجعد: علي بن الجعد بن عبيد الهاشمي، الجوهري، أبو الحسن، شيخ بغداد. (ت٢٣٠هـ).

٢٣- مسند إبن الجعد، تح:عبد المهدي بن عبد القادر، مكتبة الفلاح ـ الكويت، ط١، ١٩٨٥م.

❖ إبن حبان:محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبوحاتم البستي السجستاني (ت٣٥٤هـ).

٢٤- صحيح ابن حبان، تح: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط١ ـ ١٩٨٨م.

٢٥- كتاب المجروحين، تح:محمود إبراهيم زايد، دار الوعي ـ حلب، ط: بلا (د.ت).

❖ ابن حنبل، أحمد: أبوعبدالله بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسدالشيباني (ت٢٤١هـ).
٢٦- مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة ـ القاهرة، ط: بلا (د.ت).
٢٧- فضائل الصحابة، تح: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط١-١٩٨٣م.
❖ إبن سعد: أبو عبدالله، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت٢٣٠هـ -٨٤٤ م).
٢٨- الطبقات الكبرى، تح: إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت، ط١، ١٩٦٨م.
❖ إبن سيده : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨ هـ).
٢٩- المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
❖ إبن طاووس: رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن محمّد الطاووس العلوي الفاطمي (ت٦٦٤ هـ).
❖ إبن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م).
٣٠- التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ط: بلا، ١٩٨٤ م .
❖ إبن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (ت : ٤٦٣هـ)
٣١- جامع بيان العلم وفضله، تح: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١،١٩٩٤ م .
❖ إبن عجيبة: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الصوفي (ت١٢٢٤ هـ).
٣٢- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي ـ القاهرة، ط: بلا، ١٤١٩ هـ .
❖ إبن عساكر، أبوالقاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبدالله الشافعي (ت٥٧١هـ).
٣٣- تاريخ دمشق، تح:علي شيري،دارالفكر للطباعة،بيروت ـ لبنان،ط١،١٩٩٨ م.
❖ إبن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ).

٣٤- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، منشورات محمد علي بيضون، ط١-١٩٩٧م .

❖ إبن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)

٣٥- تفسير بن كثير:، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر،بيروت، ط٢، ١٩٩٩م.

٣٦- البداية والنهاية، مكتبة المعارف ـ بيروت، ط: بلا(د.ت).

❖ ابن ماجه: أبوعبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ).

٣٧- سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، دارالفكر ـ بيروت، ط: بلا (د.ت).

❖ إبن المقرئ:محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الخازن الاصبهاني(ت ٣٨١ هـ).

٣٨- المعجم، تح: أبي عبد الحمن عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م .

❖ إبن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١ هـ).

٣٩- لسان العرب، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط١، (د.ت).

❖ إبن النديم: محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، (ت ٤٣٨ هـ).

٤٠- الفهرست، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨ ط: بلا، (د.ت).

٤١- سعد السعود للنفوس، تح: فارس تبريزيان الحسّون، سلسلة الكتب المؤلفة في رد الشبهات (٦٠) إعداد مركز الأبحاث العقائدية.

❖ أبو زهرة، محمد .

٤٢- محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي ـ القاهرة، ط٣ (د.ت).

❖ أبو الشيخ الأصبهاني: أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري (ت٣٦٩هـ).

٤٣- كتاب الأمثال في الحديث النبوي، تح: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية ـ بومباي ـ الهند، ط٢ ـ ١٩٨٧م.

❖ أبو العلا، محمد حسين.

٤٤- القرآن وأوهام مستشرق، المكتب العربي ـ مصر، ط١ ـ ١٩٩١.

❖ أبو ليلة: محمد محمد .

٤٥- القرآن الكريم في المنظور الاستشراقي، دار النشر للجامعات ـ مصر، ط١، ٢٠٠٢م .

❖ البيضاوي: ناصرالدين أبوسعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ).

٤٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط١ ـ ١٤١٨ هـ

❖ البيهقي: علي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر (ت ٤٥٨ هـ)

٤٧- السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند ـ حيدرآباد، ط١، ١٣٤٤ هـ.

٤٨- شعب الإيمان، تح: محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ١٤١٠هـ

٤٩- دلائل النبوة للبيهقي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١ ـ ١٤٠٥ هـ .

٥٠- معرفة السنن والآثار، تح:عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي ـ باكستان)، دار قتيبة (دمشق ـ بيروت)، دار الوعي (حلب ـ دمشق)، دار الوفاء (المنصورة ـ القاهرة)،ط١ ـ ١٩٩١م .

❖ الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩هـ)

٥١- سنن الترمذي، الجامع الصحيح، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط: بلا، (د.ت).

❖ توفيق، محمود محمد سعد . أستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف شبين الكوم.

٥٢- الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ ـ ١٤٢٤هـ

❖ الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ).

٥٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن تح: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دارإحياء التراث العربي،بيروت،لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

❖ الجرجاني: عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد، (ت ٣٦٥ هـ).

٥٤- الكامل في ضعفاء الرجال، تح: يحيى مختار غزاوي دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م

❖ الجصاص: أحمد بن علي المكنى بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ)

٥٥- أحكام القرآن، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ـ ١١٩٩٤م .

❖ الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)

٥٦- الصحاح في اللغة، تح: أحمد عبدالغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢ ـ ١٩٧٩م .

❖ حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ).

٥٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى ـ بغداد ـ ١٩٤١م بيروت، ١٤٠٢ هـ .ط: بلا .

❖ الحاكم: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) .

٥٨- المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١ ـ ١٩٩٠.

❖ الحسني: السيد هاشم معروف الحسني، (١٩١٩ ـ ١٩٨٣).

٥٩- دراسات في الحديث والمحدثين، دارالتعارف للمطبوعات بيروت،ط٢،١٩٧٨ م.

❖ الحكيم، رياض (١٩٥٨ ـ معاصر)

٦٠- مراجعات قرآنية، الناشر: داراالهلال، المطبعة: ستارة، إيران ـ قم، ط٣ ـ ٢٠١٢م.

❖ الحكيم، محمد باقر محسن الحكيم الطباطبائي (ت ٢٠٠٣ م).

٦١- علوم القرآن، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الاشرف ـ العراق، ط٥ ـ ٢٠١٠.

❖ الحكيم: السيّد محمّد تقي بن السيّد سعيد الطباطبائي الحكيم (ت ١٤٢٣هـ)

٦٢- الاصول العامة للفقه المقارن، دار الاندلس للطباعة، ط٢ ـ ١٩٧٩.

❖ الحويزي: الشيخ عبد على بن جمعة العروسى (ت ١١١٢).

٦٣- تفسير نور الثقلين، تصحيح وتعليق، السيّد هاشم الرسولي المحلاتي، ط. قم .

❖ الحيدري: السيد كمال بن باقر بن حسن (١٩٥٦م ـ معاصر)

٦٤- صيانة القرآن من التحريف، دار جواد الائمة، بيروت ـ لبنان، ط١ ـ ٢٠١٠م.

٦٥- معالم الإسلام الأموي: محاضرات السيد كمال الحيدري، بقلم: ابراهيم البصري، مؤسسة الهدى ـ بيروت ـ لبنان، ط٣ ـ ٢٠١١م.

❖ الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم تاج الدين الموسوي (١٨٩٩ ـ ١٩٩٢م).

٦٦- البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط٣ ـ ١٩٧٤.

❖ الدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان البغدادي (ت ٣٨٥هـ).

٦٧- سنن الدارقطني حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١ ـ ٢٠٠٤ م .

٦٨- كتاب الأحاديث التي خولف فيها مالك بن أنس، تح: أبي عبد الباري رضا بن خالد الجزائري، شركة الرياض للنشر ـ الرياض، ط١ ـ ١٩٩٧م .

❖ الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت ٢٥٥هـ).

٦٩- سنن الدارمي، تح: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١ ـ ٢٠٠٠ م.

❖ الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ).

٧٠- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تح: د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١ ـ ٢٠٠٣ م .

٧١- تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ط١ ـ ١٩٩٨م .

٧٢- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٩ ـ ١٩٩٣م .

٧٣- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان، ط: بلا، (د.ت).

❖ الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين (ت٦٠٦هـ).

٧٤- تفسير مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

❖ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٦٦٦هـ).

٧٥- مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٩٨١م.

❖ الراوندي: هو أبو الحسين، وقيل أبو الحسن قطب الدين سعيد بن عبدالله بن الحسين ابن هبة الله بن الحسن بن عيسى الراوندي الكاشاني، المشهور بقطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) .

٧٦- قصص الأنبياء، تصحيح وتعليق: غلام رضا عرفانيان، نشر: مجمع البحوث الإسلامية ـ ايران ـ مشهد، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، ط١ ـ ١٤٠٩هـ.

❖ رضوان :د عمر بن ابراهيم.

٧٧- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دار طيبة، بيروت، ط١ ـ ١٩٩٢م.

❖ الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني، أبو الفيض، مرتضى، الزبيدي (ت١٢٠٥ هـ).

٧٨- تاج العروس من جواهر القاموس،تح:مجموعة من المحققين، دارالهداية، ط:بلا.

❖ الزرقاني: محمد عبد العظيم

٧٩- مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر ـ بيروت، ط١ ـ ١٩٩٦م.

❖ الزركشي: محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله بدر الدين (ت ٧٩٤ هـ).

٨٠- البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة ـ بيروت، ط: بلا ١٣٩١هـ .

❖ الزركلي: خيرالدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي(ت١٣٩٦ هـ).

٨١- الاعلام، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت ط٥، ١٩٨٠م.

❖ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله. (ت ٥٣٨هـ).

٨٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط٣ ـ ١٤٠٧ هـ

❖ الزنجاني : أبو عبد الله (ت ١٣٦٠ ه).

٨٣- تأريخ القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣ ـ ١٩٦٩ م.

❖ السبحاني: جعفر محمد حسين الخيابانى (١٩٢٨م ـ معاصر).

٨٤- محاضرات في الالهيات، على هدى الكتاب والسنة والعقل، بقلم الشيخ حسن محمد مكي العاملي، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ط٧ ـ ١٤٣٠هـ .

❖ السجستاني: سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمروالأزدي (أبي داود) (ت٢٧٥هـ).

٨٥- سنن ابي داود، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط: بلا، (د.ت).

❖ السجستاني: عبد الله بن سليمان بن الاشعث الازدي أبو بكر المعروف بابن أبي داود(ت ٣١٦ هـ)

٨٦- المصاحف ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١، ١٩٣٦م.

❖ سعيد، محمد رأفت، أستاذ الشريعة والدراسات الإسلامية وكيل كلية الآداب ـ جامعة المنوفية عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٨٧- تاريخ نزول القرآن، دار الوفاء ـ المنصورة، مصر، ط١ ـ ٢٠٠٢ م .

❖ السلفي: أبو طاهر، أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفه (ت ٥٧٦ هـ).

٨٨- كتاب أخبار وتراجم أندلسية، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط١ ـ ١٩٦٣.

❖ السيوطي :جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) .

٨٩- الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، ط: بلا، ١٩٦٧ م.

٩٠- جامع الأحاديث، ضمن المكتبة الشاملة القرص، الاصدار الثاني (غير موافق للمطبوع).

٩١- الدر المنثور، دار الفكر ـ بيروت، ط: بلا، ١٤٠٣هـ .

❖ سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت ١٩٦٦م)

٩٢- في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ .

❖ شاهين، عبد الصبور .

٩٣- تاريخ القرآن، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٦ م، ط: بلا.

❖ شحرور، محمد ديب.

٩٤- الكتاب والقرآن، الأهالي للطباعة والنشر، سورية ـ دمشق، ط: بلا (د.ت).

❖ الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن

إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام (ت ٤٠٦ هـ).

٩٥- نهج البلاغة: مجموعة خطب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تح: الشيخ فارس الحسّون، مركز الأبحاث العقائدية: إيران ـ قم المقدسة، العراق ـ النجف الأشرف، المطبعة: ستارة، ط١، ١٤١٩ هـ.

❖ الشيرازي: محمد بن المهدي الحسيني، (ت ٢٠٠١م).

٩٦- متى جُمع القرآن، منشورات ديوانية الامام الشيرازي ـ الكويت، ط١ ـ ١٩٩٨.

❖ الشيرازي: ناصر بن محمد كريم بن محمد باقر مكارم (١٣٤٥ هـ شيراز معاصر).

٩٧- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، الاميرة للطباعة والنشر ـ بيروت، ط٢ ـ ٢٠٠٩م .

❖ صدر المتألهين، الشيخ صدر الدين محمّد بن إبراهيم بن يحيي القوامي الشيرازي، المعروف بملا صدرا، (ت ١٠٥٠هـ).

٩٨- الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط٤ ـ ١٩٩٩ م.

❖ الصدر: محمد باقر بن السيد حيدر (ت ١٩٨٠م).

٩٩- الاسس المنطقية للاستقراء، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت، ط٥ ـ ١٩٨٦م.

١٠٠- بحوث في علوم القرآن، تح: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للامام الشهيد الصدر، الناشر: مجمع الثقلين العلمي، المطبعة: المعارف، العراق ـ بغداد، ط٢ ـ ٢٠٠٥م.

١٠١- كتاب (المرسل، الرسول، الرسالة) مؤسسة بضعة الرسول ـ بغداد، ط١، ٢٠١٢م.

❖ الصدر: السيد محمد بن محمد صادق بن محمد مهدي بن إسماعيل (١٩٤٣ ـ ١٩٩٩).

١٠٢- موسوعة الإمام المهدي ـ تاريخ الغيبة الكبرى، مركز بني الزهراء عليها السلام

للطباعة والنشر، ايران ـ قم المقدسة، ط٢ (د.ت) .

❖ الصدوق، أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى، (ت ٣٨١هـ) .

١٠٣-من لا يحضره الفقيه، اشرف على تصحيحه: الشيخ حسين الاعلمي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٦م .

❖ الصغير: د. محمد حسين علي، أستاذ الدراسات القرآنية في جامعة الكوفة.

١٠٤- تاريخ القرآن، الدار العالمية، بيروت ـ ١٩٨٣ ط: بلا .

١٠٥-المستشرقون والدراسات القرآنية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١ ـ ١٩٩٩م .

❖ الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١ هـ).

١٠٦-مصنف عبد الرزاق، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢-١٤٠٣هـ.

❖ الضامن: د. حاتم صالح، رئيس قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد، ولد ١٩٣٨م.

١٠٧-فقه اللغة، مطبعة دارالحكمة للطباعة والنشر ـ الموصل ـ ١٩٩٠م، ط: بلا (د.ت).

❖ الطباطبائي: محمد حسين، (ت ١٤٠٢ هـ)

١٠٨-القرآن في الإسلام، مؤسسة المحبين للطباعة والنشر، ط١ ـ ٢٠٠٤م.

١٠٩-الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ـ بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

❖ الطبراني: أبوالقاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي(ت ٣٦٠هـ).

١١٠-المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين ـ القاهرة، ط: بلا (د.ت).

١١١-المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم ـ

الموصل، ط٢ ـ ١٩٨٣م.
١١٢-المعجم الصغير، تح:محمد شكور محمود الحاج أمرير،الناشر : المكتب الإسلامي، دار عمار ـ بيروت، عمان، ط١-١٩٨٥م .
❖ الطبرسي: أبوعلي الفضل بن الحسن بن الفضل (ت ٥٤٨ هـ).
١١٣-مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم، بيروت ـ لبنان، ط١ ـ ٢٠٠٥م .
❖ الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ)
١١٤-جامع البيان في تأويل القرآن، تح، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ ـ ٢٠٠٠م.
١١٥- تاريخ الامم والملوك، دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
❖ الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي المصري (ت ٣٢١هـ).
١١٦-شرح مشكل الآثار، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١-١٤٩٤ م.
❖ الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن الملقب بشيخ الطائفة (ت ٤٦٠هـ ـ ١٠٦٧م).
١١٧-التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ ـ ١٤٠٩هـ.
❖ الطوسي: نصير الدين (ت ٦٧٢هـ).
١١٨-تجريد العقائد، تح: د.عباس محمد حسن سليمان،دار المعرفة الجامعية، مصر ١٩٩٦م.
❖ العاملي: الشيخ جمال الدين الحسن نجل الشهيد الثاني زين الدين (ت ١٠١١هـ).
١١٩-معالم الدين وملاذ المجتهدين، تح: لجنة التحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ـ ايران، ط: بلا (د.ت).
❖ العاملي: السيد جعفر مرتضى

١٢٠- حقائق هامة حول القرآن الكريم، المركز الإسلامي للدراسات، ط٤ ـ ٢٠٠٦.

❖ العاملي، الشيخ مُحمّدْ بن الحسن الحُر (ت ١١٠٤ هـ).

١٢١- وسائل الشيعة تح: مؤسّسة آل البيتِ عليهم السلام لإحياء التُّراثِ، الناشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التُّراثِ، إيران ـ قم المقدسة، ط: بلا (د.ت).

❖ عبد الحميد، هشام كمال.

١٢٢- الحقيقة والأوهام في قضية جمع القرآن، دار البشير ـ القاهرة،ط١ ـ ٢٠١١م.

❖ عبد النور، جبور (١٩١٣م ـ معاصر).

١٢٣- المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط٢ ـ ١٩٨٤م.

❖ العثيمين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ).

١٢٤- مصطلح الحديث، مكتبة العلم، القاهرة، ط١ ـ ١٩٩٤م.

❖ العسقلاني: أبوالفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر الشافعي(ت٨٥٢ هـ).

١٢٥- تقريب التهذيب تح: محمد عوامة، دار الرشيد ـ سوريا، ط١ ـ ١٩٨٦م .

١٢٦- تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية ـ الهند، ط١ ـ ١٣٢٦هـ .

١٢٧- الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل ـ بيروت، ط١، ١٤١٢م .

١٢٨- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩هـ .

١٢٩- لسان الميزان، تح: دائرة المعرف النظامية ـ الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، ط٣ ـ ١٩٨٦م .

١٣٠- هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح: محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٣٧٩هـ ط: بلا .

❖ العسكري: السيّد مرتضى بن السيّد محمّد إسماعيل بن محمّد شريف (ت١٤٢٨ هـ).

١٣١- القرآن الكريم وروايات المدرستين،المجمع العالمي لأهل البيت، بيروت ط١ ـ ٢٠١٠م.

١٣٢-معالم المدرستين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١ ـ ١٩٨٦م.

❖ عمر، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) .

١٣٣-معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، ط١ ـ ٢٠٠٨ م.

❖ العكبري: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة (ت٣٨٧هـ).

١٣٤-الإبانة الكبرى لابن بطة، تح الجزء الخامس: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢ ـ ١٤١٨ هـ.

❖ عوض، د ابراهيم.

١٣٥-المستشرقون والقرآن، دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه، مكتبة زهراء الشرق ـ القاهرة، ط١ ـ ٢٠٠٣م.

❖ العياشي: أبي النضر محمد بن مسعود بن عياش، السمرقندي.

١٣٦-تفسير العياشي، تح: الحاج هاشم الرسولى المحلاتى، الناشر: السيد الجليل الحاج السيد محمود الكتابى واولاده صاحب، المكتبة العلمية الإسلامية، إيران ـ طهران، ط: بلا (د.ت) .

❖ الغزالي، د. مشتاق بشير.

١٣٧-القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، دار نفائس للطباعة، بيروت، ط١ ـ ٢٠٠٨م.

❖ الفيروز آبادي: العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ).

١٣٨-القاموس المحيط، تح : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٨-٢٠٠٥م .

❖ الفيض الكاشاني: محمد محسن بن مرتضى بن محمود (ت ١٠٠٧ هـ).

١٣٩-التفسير الصافي، مؤسسة الهادى ـ قم المقدسة، ط٢ ـ ١٤١٦هـ مكتبة

الصدر بطهران.

❖ القاسم بن سلام: أبو عُبيد القاسم بن سلام بن عبدالله الهروي البغدادي (ت٢٢٤هـ).

١٤٠- فضائل القرآن للقاسم بن سلام، تح: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت، ط١ ـ ١٩٩٥ م .

❖ القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل الدمشقي (١٣٣٢ هـ).

١٤١- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية،بيروت، ط: بلا، (د.ت).

❖ القدسي، أحمد .

١٤٢- انوار الاصول، تقريراً لأبحاث الاستاذ آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، المطبعة: أمير المؤمنين عليه السلام، ط: بلا .

❖ القرطبي : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله (ت ١٢٠٤ هـ).

١٤٣- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ـ القاهرة، ط١،١٩٦٤ م.

❖ القسطلاني: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، شهاب الدين (ت ٩٢٣هـ).

١٤٤- إرْشَادُ السَّارِي لِشرح صَحِيح البخَاري المطبعة الكبرى الأميرية،مصر،ط٧ ـ ١٣٢٣ هـ

❖ القضاعي: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي المصري (ت٤٥٤هـ).

١٤٥- مسند الشهاب، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط٢ ـ ١٩٨٦م .

❖ القمي: أبي الحسن علي بن ابراهيم .

١٤٦- تفسير القمي، تصحيح السيّد طيب الموسوي الجزائري، ط. قم، ١٤٠٤ هـ .
❖ كحالة: عمر رضا.
١٤٧-معجم المؤلفين، مكتبة المثنى ـ بيروت ـ دار إحياء التراث العربي، ط: بلا (د.ت).
❖ الكليني، ثقة الإسلام ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت ٣٢٩ هـ)
١٤٨-الاصول من الكافي، منشورات الفجر ـ بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
❖ الكوراني: الشيخ علي الكوراني العاملي، (معاصر).
١٤٩- تدوين القرآن، الناشر: دار القرآن الكريم، المطبعة: باقري، ط١، ١٤١٨هـ .
❖ اللنكراني: الشيخ محمّد الفاضل (معاصر).
١٥٠-مدخل التفسير، تحقيق ونشر: مركز فقه الأئمّة الأطهارعليهم السلام ط: بلا(د.ت).
❖ المتقي الهندي: علاءالدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥هـ).
١٥١-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٩٨٩، ط: بلا.
❖ المجلسي :محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١هـ).
١٥٢- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢،١٩٨٣
❖ مجموعة مؤلفين: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار.
١٥٣-المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية ـ القاهرة، دارالدعوة، ط: بلا (د.ت).
❖ المحمدي: د فتح الله.
١٥٤- سلامة القرآن من التحريف، دار مشعر، إيران ـ طهران ـ ١٤٢٤هـ ط: بلا.
❖ مراد، يحيى .

١٥٥-أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م .

❖ المري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد، الإلبيري بابن أبي زَمَنِين (ت ٣٩٩ هـ).

١٥٦- تفسير القرآن العزيز، المعروف بتفسير ابن أبي زمنين، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ـ محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة، مصر ـ القاهرة،ط١ ـ ٢٠٠٢م.

❖ المسعودي: أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦هـ).

١٥٧-التنبيه والاشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي القاهرة، ط: بلا.

❖ مسلم، بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ).

١٥٨-صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط١ ـ ١٩٥٥م.

❖ المشهدي: الميرزا محمد بن محمد رضا بن اسماعيل بن جمال الدين القمي (توفي حدود عام ١١٢٥هـ).

١٥٩- تفسير كنز الدقائق، تح: الحاج آقا مجتبى العراقي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٧ هـ ط: بلا .

❖ المظفر: محمد رضا، (ت ١٣٨٣ هـ).

١٦٠-اصول الفقه، تح: صادق حسن زادة المراغي، منشورات العزيزي، قم المقدسة، ط٢ ـ ٢٠٠٧م.

❖ معرفة، محمد هادي .

١٦١-التمهيد في علوم القرآن، مؤسسةالتمهيد، إيران ـ قم المقدسة، ط١ ـ ٢٠٠٧م.

❖ مغنية: محمّد جواد بن مهدي بن محمّد بن عليّ بن حسن بن حسين بن محمود العامليّ (ت١٩٧٩م).

١٦٢- في ظلال نهج البلاغة، دار العلم للملايين ـ بيروت لبنان، ط٣ ـ ١٩٧٩م .
❖ المقدادي: الشيخ فؤاد كاظم .
١٦٣-الإسلام وشبهات المستشرقين، مجمع الثقلين العلمي، العراق ـ بغداد، ط٣ ـ ٢٠٠٧م.
❖ مقدمتان في علوم القرآن:
١٦٤-مقدمة كتاب (المباني لنظم المعاني) ومقدمة ابن عطية، تصحيح: المستشرق، آرثر جفري، مكتبة الخانجي ـ مصر، ومكتبة المثنى ببغداد، المطبعة: السنة المحمدية ـ ١٩٥٤م .
❖ المناوي:زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣٠هـ).
١٦٥-الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، ط: بلا (د.ت).
❖ الموسوي، السيد هاشم.
١٦٦-القرآن في مدرسة أهل البيت، الكتاب موجود ضمن المكتبة الشاملة القرص: الاصدار الثاني (غير موافق للمطبوع).
❖ ناجي، عبد الجبار .
١٦٧-التشيع والاستشراق، منشورات الجمل ـ بيروت، ط١ ـ ٢٠١١م .
١٦٨-تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، دارالجاحظ ـ بغداد -١٩٨١م، ط: بلا.
❖ النحاس: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر (ت ٣٣٨ هـ).
١٦٩-الناسخ والمنسوخ، تح: محمد عبدالسلام محمد، مكتبة الفلاح ـ الكويت، ط١ ـ ١٤٠٨م.
❖ النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت ٣٠٣ هـ).

١٧٠-خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تح: أحمد ميرين البلوشي مكتبة المعلا ـ الكويت، ط١-١٤٠٦م.
١٧١-السنن الكبرى، تح: دكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١-١٩٩١ م.
١٧٢-الضعفاء والمتروكين، دار الوعي ـ حلب تح: محمود إبراهيم زايد، ط١، ١٣٦٩هـ.
❖ النوري: أبو الفضل السيد أبو المعاطي، (ت١٤٠١هـ).
١٧٣-المسند الجامع، حققه وضبط نصه: محمود محمد خليل، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٩٣ م.
❖ الهيتمي: أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر السعدي الانصاري(ت٩٧٤ هـ).
١٧٤-الصواعق المحرقة، تح: عبدالرحمن بن عبدالله التركي وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط١ ـ ١٩٩٧.
❖ الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، (ت ٨٠٧ هـ).
١٧٥-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت ـ ١٤١٢ هـ، ط: بلا.
❖ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي (توفي بعد ٢٩٢ هـ).
١٧٦-تاريخ اليعقوبي مصدر الكتاب:ضمن المكتبة الشاملة القرص، الاصدار الثاني (غير موافق للمطبوع).

ثانياً ـ الكتب المترجمة:

❖ أحمد ديدات (ت ٢٠٠٥م).
١٧٧-حوار مع مبشر، ترجمة: علي عثمان، المختار الإسلامي للنشر، القاهرة، ط: بلا (د.ت).

❖ آرنولد، السير توماس.

١٧٨-الخلافة، ترجمة: حسن حيدرالشيباني، مطبعة دار التضامن ـ بغداد، ١٩٦١م.

❖ ارفنج، واشنطن.

١٧٩-حياة محمد، ترجمة دكتور علي حسن الخربوطلي، دار المعارف ـ مصر.

١٨٠-محمد وخلفاؤه، ترجمة: د.هاني يحيى نصري،المركزالثقافي العربي،ط١٩٩٩،١م.

❖ إيرنست، كارل.

١٨١-على نهج محمد، ترجمة: حمزة الحلايقة، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

❖ بارت، رودي (ت ١٩٨٣م).

١٨٢-الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية. ترجمة : د. مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي، القاهرة، ط: بلا، ١٩٦٧ م.

١٨٣-محمد والقرآن، ترجمة: رضوان السيد، مؤسسة شرق غرب ـ ديوان المسار للنشر ـ الإمارات ـ دبي، ط١، ٢٠٠٩م.

❖ بلاشير، ريجيس (ت ١٩٧٣).

١٨٤-القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ترجمة: رضا سعادة: دار الكتاب اللبناني ـ بيروت، ط١، ١٩٧٤م.

❖ بودلي، رونالد فكتور.

١٨٥-حياة محمد الرسول، ترجمة: عبد الحميد جودة السحار ومحمد محمد فرج، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط: بلا، ١٩٦٤م .

❖ بوكاي، موريس .

١٨٦-القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، مكتبة مدبولي ـ القاهرة، ط٢، ٢٠٠٤م.

❖ بول ـ Buhl

١٨٧-دائرة المعارف الإسلامية الألمانية، تعريب: أحمد الشنتناوي، ابراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، دار الشعب، القاهرة ١٩٦٩م.

❖ بويرينغ، غيرهارد .

١٨٨-القرآن في محيطه التاريخي، كتاب يتضمن مجموعة من البحوث، اعداد جبرئيل سعيد رينولدز، ترجمة: سعد الله السعدي، منشورات الجمل، بيروت ـ بغداد، ط١، ٢٠١٢م .

❖ تسدل، كلير (ت ١٩٢٨م).

١٨٩-مصادر الإسلام، منشورات أسمار ـ باريس ط: بلا ٢٠٠٧م.

❖ تيرنر، كولين: معاصر

١٩٠-الإسلام الاسس، ترجمة: نجوان نور الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ـ بيروت، ط١، ٢٠٠٩م .

❖ جاكسون، روي.

١٩١-خمسون شخصية أساسية في الإسلام، ترجمة: رشا جمال، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ـ بيروت، ط١، ٢٠١٠م .

❖ جفري، آرثر (ت ١٩٥٩ م).

١٩٢-بحثاً عن محمد التاريخي، The Quest of the Historical Muhammad ،ترجمة: مالِك مِسْلمانِي، كتيب منشور على الانترنت على موقع شبكة الملحدين العرب:

١٩٣-مقدمة في القرآن، وهي مقدمة كتاب المصاحف لابن أبي داود، المطبعة الرحمانية ـ مصر، ط١، ١٩٣٦م .

❖ جلكريست، جون، معاصر.

١٩٤- الكتاب المقدس هو كلمة الله، ط١، ١٩٨٧.The Good Way

CH ـ 8486 Rikon, Switzerland

❖ جولد تسيهر، أجنس (ت ١٩٢١م)

١٩٥-مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة علي حسن عبد القادر، ط: بلا، الناشر المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت ـ ٢٠١٣

١٩٦-العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى وعبد العزيز عبدالحق، وعلي حسين عبدالقادر، دار الرائد العربي، القاهرة، ط: بلا، ١٩٤٦م.

❖ جيورجيو، كونستانس .

١٩٧-نظرة جديدة في سيرة رسول الله، ترجمة: محمد التونجي، الدار العربية للموسوعات ـ بيروت، ط: بلا، ١٩٦٦م .

❖ درمنغم، إميل،

١٩٨-حياة محمد، ترجمة محمد عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة، ط٢، ١٩٤٩م.

❖ ديموميين، غ . موريس.

١٩٩-النظم الإسلامية، ترجمة: صالح الشماع وفيصل السامر، مطبعة الزهراء ـ بغداد، ط: بلا، ١٩٥٢ .

❖ دينيه، اتيين، (ت ١٩٢٩م).

٢٠٠-محمد رسول الله، وشارك في تأليفه: الجزائري، سليمان أبراهيم، ترجمة: د. عبدالحليم محمود ومحمد عبدالحليم محمود، دارالمعارف ـ القاهرة، ط٣، د.ت.

❖ روجرسون، برنابي .

٢٠١-ورثة محمد، جذور الخلاف السني الشيعي، ترجمة: د عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م .

❖ سال، جرجس (ت ١٧٣٦م).

٢٠٢-مقالة في الإسلام، ترجمة: هاشم العربي، المطبعة الإنكليزية الاميركانية

ببولاق ـ مصر، ط٣، ١٩١٣.

❖ سعيد، إدوارد .

٢٠٣-الاستشراق، المعرفة. السلطة. الإنشاء، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط٢، ١٩٨٤م.

❖ سل ،كانون .

٢٠٤- تدوين القرآن، ترجمة: مالك مسلماني،

www.muhammadanism.org

طبع في:

s.p.c.k. press,vepery,madras 1909

❖ سوفاجيه، جان، وكلود كاين.

٢٠٥-مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة، د. عبد الستار حلوجي و د. عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، ط: بلا، ١٩٩٨م.

❖ سيديو، لويس أميلي (Louis-Amélie Sédillot) (ت ١٨٧٥ م).

٢٠٦- تاريخ العرب العام ـ Histire des Arabes ترجمة: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة، ط: بلا، ١٩٤٨م.

٢٠٧-خلاصة تاريخ العرب ترجمة: عادل زعيتر، دار الآثار للطباعة ـ بيروت، ظ: بلا(د.ت).

❖ غارديه، لويس

٢٠٨-أثر الإسلام في العقلية العربية، ترجمة: خليل احمد خليل، دار الفكر اللبناني للطباعة -بيروت، ط١، ١٩٩٢م .

❖ فان إس، جوزيف (Josef van Ess) وهانس كونج.

٢٠٩-التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، ترجمة: الدكتور السيد محمد الشاهد، المؤسسة الجامعية للنشر ـ بيروت، ط١، ١٩٩٤م .

❖ فيرشتيخ، كيس .

٢١٠-اللغة العربية، تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة محمد الشرقاوي، ط١، ٢٠٠٣م .

❖ فنسنك، أرند جان، A.J Wensinck (ت ١٩٣٩ م).

٢١١-دائرة المعارف الإسلامية الألمانية، تعريب: أحمد الشنتناوي، ابراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، دار الشعب، القاهرة ١٩٦٩م.

❖ فوك، يوهان .

٢١٢-تاريخ حركة الاستشراق، ترجمة: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي ـ بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.

❖ كارل، بروكلمان (ت ١٩٥٦م).

٢١٣-تاريخ الادب العربي، ترجمة: د عبد الحليم النجار، دار المعارف ـ القاهرة، ط٥، ١٩٦٨م.

❖ كارليل، توماس (ت ١٨٨١م).

٢١٤-محمد رسول الله المثل الأعلى، ترجمة: محمد السباعي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: بلا، ١٩٩٣م.

❖ لابيدس، أيرا.م

٢١٥-تاريخ المجتمعات الإسلامية، ترجمة، فاضل جتكر، دار الكتاب العربية ـ بيروت، ط٢، ٢٠١١.

❖ لامنس، هنري، H. Lammens

٢١٦-دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة وتحرير، ابراهيم زكي خورشيد، احمد الشنتناوي، د عبدالحميد يونس،، دار الشعب، القاهرة ١٩٦٩م.

❖ لاندو، روم .

٢١٧-الإسلام والعرب، ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط: بلا، ١٩٦٢.

❖ لوبون، غوستاف (ت ١٩٣١م)

٢١٨-حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مطبعة عيسى الحلبي ـ نابلس، ط٤ ١٩٦٤ م .

❖ ماسيه، هنري (ت ١٩٦٩م)

٢١٩-الإسلام، ترجمة: بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ط٣، ١٩٨٨.

❖ موير، ويليام (ت ١٩٠٥م)

٢٢٠-القرآن، نظمه وتعاليمه؛ وشهادته للكتب المقدسة، ترجمة: مالك مسلماني.

❖ نولدكه، تيودور (ت ١٩٣٠م) .

٢٢١-تاريخ القرآن، تعديل فريديريش شفالي، ترجمة: جورج تامر، ط١، بيروت، ٢٠٠٤ حقوق النشر محفوظة لمؤسسة كونراد ـ أدناور.

❖ هاينه، بيتر .

٢٢٢-الإسلام، ترجمة: اسامة الشحماني، مؤسسة شرق غرب، ديوان المسار للنشر ـ الإمارات ـ دبي، ط١، ٢٠١٢م.

❖ وات، مونتجمري، (ت ٢٠٠٦م).

٢٢٣-الإسلام والمسيحية، ترجمة د عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: بلا، ١٩٩٨م .

٢٢٤-الفلسفة وعلم الكلام الإسلامي، ترجمة كاظم سعد الدين، الناشر: بيت الحكمة ـ بغداد ـ ٢٠١٠، ط: بلا .

ثالثاً ـ الكتب الاجنبية:

❖Dr. Md. Mahmudul Hasan

٢٢٥- ahmed deedat, International Islamic University Malaysia , 2011.

❖W. Montgomery, Watt .

٢٢٦- ISLAMIC PHILOSOPHY AND THEOLOGY,

Edinburgh Univery - Britain –Second edition 1958.

- W. Irving

٢٢٧- Life Of Mahomet, (PARIS BAUDRY) 1850.

- Josh McDowell and John Gilchrist

٢٢٨- Josh McDowell and John Gilchrist vs. Ahmed Deedat in The Islam Debate, PUBLISHED BY: HERE'S LIFE PUBLISHERS,INC, CALIFORNIA 1983

- BELL ،RICHARD

٢٢٩- Bell's, Introduction to the Quran, Revised by Montgomery Watt . CHICAGO:EDUINBURGHAT THE UNIVERSITY PRESS1963 .

- Gilchrist, John

٢٣٠- Sharing the Gospel with Muslims, life challenge assistance network, Kenya , 2003

٢٣١- CHRIST IN ISLAM AND CHRISTIANTIY, PRINTED IN: The Good Way Publishing 2010 - *http://www.the-good-way.com*

٢٣٢- FACING THE MUSLIM CHALLENGE , Life Challenge Africa, Rep of South Africa, 1999.

٢٣٣- JAM' AL-QUR'AN, publisher: jesus to the muslims, republic of south Africa –benoni , printers in : industrial press 1989

٢٣٤- The Textual History of the Quran, , printers in : The Good Way Publishing - 2010 *http://www.the-good-way.com*

٢٣٥- Deedat in the Balance

(ديدات في الميزان) كتيب منشور على شبكة الانترنت على موقع:

http://answering-islam.org/Responses/Deedat/deedat.html

- DERMENGHEM, EMILE

٢٣٦- THE LIFE OF MAHOMET, PRINTED IN GREAT BRITAIN BY STEPHEN AUSTIN AND SONS, LTD. 1930

- Burton . J

٢٣٧- The Collection of the Qur'an. Cambridge University Press, first published Cambridge, England.

(بيرتون، جون. جمع القرآن. مطبعة جامعة كامبريدج، إنجلترا. ١٩٧٧).

الكتب باللغة الفرنسية:

❖ Saint Hilair, J . Barthélemy

٢٣٨- Mahomet et Coran, DIDIER ET C, LIBRAIRES-EDITEURS,PARIS, 1865 .

❖H . MASSE

٢٣٩- L"Islam, librairi arman colin, paris, 3me ed ,1940 .

❖Montet . E

٢٤٠- Mahomet le Coran, payot, paris, 1944.

الكتب باللغة الألمانية:

❖PARET, RUDI

٢٤١- MOHAMMED UND DER KORAN , STUTTGART: W.KOHAMMER1975.

رابعاً ـ الرسائل الجامعية والأطاريح:

❖ أبو زيد، محمد شرعي.

٢٤٢- جمع القرآن في مراحله التاريخية من العصر النبوي إلى العصر الحديث، رسالة ماجستير، كلية الشريعة بجامعة الكويت ـ ١٤١٩ هـ.

❖ مغلي، محمد البشير .

٢٤٣- مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة الجزائر ١٤١٠-١٩٩٠.

خامساً ـ البحوث والمقالات في المجلات والنشرات :

❖ بوقرين: أحمد محمد، قسم أصول الدين ـ بالجامعة الأمريكية المفتوحة.

٢٤٤- الرد على شبهات المستشرقين ومن شايعهم من المعاصرين حول السنة، بحث موجود ضمن المكتبة الشاملة (قرص) : الاصدار الثاني .

❖ سليم قبعين.

٢٤٥-مقالة ترجمها للعربية، عن جريدة ترجمان الروسية، ونشرها في كتاب، حكم النبي محمد، ص٥٣، للفيلسوف الروسي تولستري، ترجمة: سليم قبعين، دار الكتب المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧م.

❖ السيد، رضوان .

٢٤٦-الاستشراق والمستشرقون بين الغلو والمغالاة، مقال منشور في مجلة الفكر العربي، العدد: ٣١-١٩٩٩م.

❖ الشحود، علي بن نايف .

٢٤٧-المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، بحث موجود ضمن المكتبة الشاملة، القرص: الاصدار الثاني .

❖ الصدر: محمد باقر بن السيد حيدر (ت ١٩٨٠م).

٢٤٨-بحث حول المهدي عليه السلام ضمن تقديم لكتاب تاريخ الغيبة الصغرى، من موسوعة الامام المهدي للسيد الصدر، محمد محمدصادق، مركز بني الزهراء عليها السلام للطباعة والنشر، ايران ـ قم المقدسة، ط٢ (د.ت) .

❖ عزوزي حسن عزوزي .

٢٤٩-مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، بحث منشور على شبكة الانترنت موقع مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الاديان.

http://al-maktabeh.com

❖ الغريفي: السيد محمود المقدس.

٢٥٠-بحث: حديث «ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله» قراءةٌ في سنده ودلالته، مجلة المصباح، الصادرة من الروضة الحسينية المطهرة، العدد العاشر ـ صيف ٢٠١٢م.

❖ معارف، د مجيد .

٢٥١-مسألة جمع القرآن رؤية استشراقية وحقائق موضوعية، بحث منشور في مجلة المنهاج، العدد: ٥٥ خريف ـ ٢٠٠٩م .

❖ نقرة، التهامي .

٢٥٢-القرآن والمستشرقون، بحث منشور في كتاب مناهج المستشرقين، المنظمة

العربية للتربية والثقافية والفنون، الرياض ـ ١٩٨٥ م، ط: بلا .

سادساً ـ مواقع شبكة الانترنت:

❖ موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة:

http://en.wikipedia.org/wiki/Shabir_Ally

٢٥٣-السيرة الذاتية لـ(شبير حليف Shabir Ally) من إعداد إدارة الموقع.

❖ موقع اليوتيوب.

٢٥٤-مجموعة تسجيلات فديو لمناظرات بين المستشرق جون جلكريست وبعض من علماء المسلمين على الرابط:

http://www.youtube.com/results?search_query=Shabir+Ally+John+Gilchrist&oq=Sha

❖ موقع: المرشد للطريق والحق والحياة: http://almurshid.com

٢٥٥-مامعنى التبشير ومن هو المبشّر؟ مقال: للقس لوديي:

❖ موقع الشيخ ديدات: http://ahmed-deedat.net

٢٥٦-السيرة الذاتية والعلمية للشيخ أحمد ديدات، من إعداد إدارة الموقع .

❖ موقع طريق الإسلام http://ar.islamway.net/article

٢٥٧-البروتستانتية، من إعداد إدارة الموقع .

❖ موقع: منتدايات رب المجد:

http://www.christian-ogma.com/vb/showthread.php

٢٥٨-معضلة القرآن، كتاب من إعداد موقع The Quran.com طبع في كندا، ٢٠١٠.

سابعاً ـ كتب الشرائع السماوية:

٢٥٩-الإنجيل، الكتاب المقدس.

❊❊❊

فهرس الكتاب

مقدمة..... ٥
بين يدي البحث..... ١٣
أولاً ـ أهم مصطلحات البحث..... ١٥
الاستشراق..... ١٥
المستشرق..... ١٥
جمع القرآن لغةً واصطلاحاً..... ١٦
التدوين لغةً واصطلاحاً..... ١٧
الترتيب لغةً واصطلاحاً..... ١٧
ثانياً ـ محاكاة الضمير الاستشراقي جون جلكريست ـ انموذجاً ـ..... ١٧
ثالثاً ـ منهج البحث..... ٢٥
رابعاً ـ كتاب (جمع القرآن) للمستشرق جون جلكريست..... ٢٧

الفصل الأول

الرؤية الإسلامية حول جمع القرآن الكريم

توطئة..... ٣١
المبحث الأول: الاتجاه القائل بجمع القرآن بعد الرسول صلى الله عليه وآله..... ٣٢

المطلب الأول: في عهد الخليفة الأول أبي بكر ٣٢
المطلب الثاني: في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ٤٤
المطلب الثالث: في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ٤٩
المبحث الثاني: الاتجاه القائل بجمع القرآن في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ٥٩
أدلة هذا الاتجاه: أولاً ـ الروايات ٦٢
ثانياً ـ جُمّاع القرآن ٦٦
ثالثاً ـ كلام السيد المرتضى ٧١
رابعاً ـ دلالة ترتيب الآيات ٧٣
خامساً ـ قراءة القرآن وختمه وكتابته ٧٦
سادساً ـ عليٌّ وجمع القرآن ٨٠
سابعاً ـ روايات حديث الثقلين ٨٤

الفصل الثاني

جمع القرآن الكريم في المنظور الاستشراقي

المبحث الأول: مصادر المستشرقين في جمع القرآن ٨٩
المطلب الأول: المستشرقون والتراث الحديثي الإسلامي ٩٠
١ ـ نظرة عامة في واقع المصادر الإسلامية ٩٠
٢ ـ كيف تعامل المستشرقون مع المصادر الإسلامية؟ ٩٤
٣ ـ استغلال المستشرقين للروايات المكذوبة: ٩٩
المطلب الثاني: طبيعة المستندات التي تفاعل المستشرقون معها ١٠٠
المبحث الثاني: آراء المستشرقين في تدوين القرآن الكريم ١٢٠
المطلب الأول: عرض آرائهم في التدوين ١٢٢
المطلب الثاني: مناقشة الآراء ١٣٣
أولاً ـ المستشرقون القائلون بتدوين القرآن في عهد النبي ١٣٤

ثانياً ـ عرض الأحاديث على القرآن..... ١٤٣
المبحث الثالث: آراء المستشرقين في جمع القرآن الكريم..... ١٥٠
المطلب الأول: متى ومن جمع القرآن؟..... ١٥١
المحور الأول: إطلالة على مؤلفات المستشرقين حول جمع القرآن..... ١٥١
المحور الثاني: تضارب المستشرقين في شخص وزمن جمع القرآن..... ١٥٤
المطلب الثاني: سبب جمع القرآن وعلته..... ١٦٠
خلاصة الأقوال..... ١٧٤

الفصل الثالث

كتاب جمع القرآن ـ جون جلكريست

المبحث الأول: نبذة عن حياة المؤلِّف..... ١٧٩
المطلب الأول: التعريف بالمؤلِف، اهتماماته، مؤلفاته ١٧٩
أولاً ـ بلده وعمله ١٧٩
ثانياً ـ مناظراته مع ديدات..... ١٨٣
ثالثاً ـ مؤلفاته..... ١٨٥
المطلب الثاني: أهداف ودواعي تأليف الكتاب..... ١٨٧
المطلب الثالث: موارد الكتاب..... ١٩٤
المبحث الثاني: بحوث على هامش جمع القرآن..... ٢٠١
المطلب الأول: موضوع النسخ..... ٢٠٢
أولاً ـ ما تسمى بآية (طمع بني آدم)..... ٢٠٥
ثانياً ـ ما تسمى (بآية الرجم) ٢٠٩
خلاصة ونتيجة..... ٢١٥
المطلب الثاني: موضوع شبهة تحريف القرآن..... ٢١٦
أولاً ـ إمكانية شهادة آيات القرآن على كمال القرآن..... ٢١٧

ثانياً ـ مناقشة دعوى نقص القرآن وعدم كماله (تحريف القرآن)..... ٢٢٠
ثالثاً ـ مقدمتان وإستدلالان: ـ المقدمة الأولى..... ٢٢١
١ ـ وقفة مع علم الله عزّ وجل وقدرته..... ٢٢١
٢ ـ علمه سبحانه بالاشياء قبل إيجادها..... ٢٢١
٣ ـ علمه سبحانه بالاشياء بعد إيجادها..... ٢٢٢
٤ ـ قدرة الله عزّ وجل..... ٢٢٣
استدلال..... ٢٢٣
المقدمة الثانية والاستدلال الثاني..... ٢٢٤
المطلب الثالث: آيات شاهدة بحفظ القرآن مقابل دعوى جلكريست..... ٢٢٨
الآية الأولى..... ٢٢٨
الآية الثانية..... ٢٣٠
الآية الثالثة..... ٢٣٢
الآية الرابعة..... ٢٣٤
الآية الخامسة..... ٢٣٤

الفصل الرابع

مع المستشرق جون جلكريست في جمع القرآن

المبحث الأول: دراسة في المنهج..... ٢٣٩
المطلب الأول: رؤية جلكريست حول المرحلة الأولى لجمع القرآن..... ٢٣٩
أولاً ـ القرآن في عهد النبي محمد صلى الله عليه وآله..... ٢٤٠
ثانياً ـ الأسباب الداعية لعدم جمع القرآن..... ٢٤٣
ثالثاً ـ مناقشة الأسباب..... ٢٤٤
رابعاً ـ الجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر..... ٢٤٨
خامساً ـ تقييم جلكريست لمصادر جمع القرآن..... ٢٥٠

المطلب الثاني: رؤية جلكريست للمرحلة الثانية لجمع القرآن..... ٢٥٦
أولاً ـ جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان..... ٢٥٦
ثانياً ـ مناقشة كلام المستشرق جلكريست..... ٢٥٨
ثالثاً ـ إحراق عثمان للمصاحف..... ٢٦٢
رابعاً ـ قرار إحراق المصاحف وتداعياته..... ٢٦٨
المبحث الثاني: تعدد المصاحف..... ٢٧١
المطلب الأول: إشكالية اختلاف المصاحف ٢٧١
أولاً ـ تحرير محل الاشكال..... ٢٧١
ثانياً ـ بيان وحل الإشكالية..... ٢٧٢
المطلب الثاني: توحيد المصاحف..... ٢٧٩
أولاً ـ مصحفي ابن مسعود وأُبي بن كعب..... ٢٧٩
ثانياً ـ (لجنة توحيد المصاحف)..... ٢٨٣
ثالثاً ـ خلاصة تحليلية ونتيجة..... ٢٩٢

الفصل الخامس

حقائق جمع القرآن تجاه شبهات جلكريست

المبحث الأول: حقيقة مصطلح جمع القرآن ومصطلحات أخرى..... ٢٩٩
١ ـ مصطلح الجمع..... ٢٩٩
٢ ـ الكتاب..... ٣٠٤
٣ ـ المصحف..... ٣٠٧
المبحث الثاني: حقيقة ارتباط النسخ بجمع القرآن..... ٣١١
أولاً ـ تحرير محل النزاع ٣١٢
ثانياً ـ مناقشة الاستدلال بآية ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ ٣١٣
ثالثاً ـ مناقشة الاستدلال بآية ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ ٣١٦

المبحث الثالث: حقيقة روايات جمع القرآن..... ٣٢٧
المحور الأول ـ نتائج المستشرق جون جلكريست..... ٣٢٧
المحور الثاني ـ نقد الروايات ٣٣١
الجهة الأولى: عدم اتصالها بالرسول صلى الله عليه وآله..... ٣٣١
الجهة الثانية: من جهة تناقض واختلاف أحاديث جمع القرآن..... ٣٣٣
١ ـ الاختلاف في زمن جمع القرآن متى كان؟..... ٣٣٣
٢ ـ الاختلاف فيمن تصدى لجمع القرآن..... ٣٣٣
٣ ـ الاختلاف في التدوين الكامل..... ٣٣٤
٤ ـ الاختلاف في المصدر الذي جُمع منه القرآن ٣٣٥
٥ ـ الاختلاف في من كتب المصحف الإمام وأرسل منه نسخاً للبلاد.. ٣٣٥
٦ ـ الاختلاف في الآيتين من سورة التوبة والأحزاب..... ٣٣٦
الجهة الثالثة: معارضة روايات الجمع بروايات أخرى ٣٣٧
الجهة الرابعة: تعارض أحاديث الجمع مع القرآن الكريم..... ٣٤١
الجهة الخامسة: مخالفة أحاديث الجمع لحكم العقل..... ٣٤٣
الجهة السادسة: مخالفة هذه الروايات لضرورة تواتر القرآن..... ٣٤٤
خلاصة..... ٣٤٦
المحور الثالث: عليٌ عليه السلام الخيار الأوحد في جمع القرآن..... ٣٤٧
الخاتمة..... ٣٥٥
قائمة المصادر والمراجع..... ٣٦٣
الفهرس..... ٣٩٥

***